أعلام الظرفاء

إعداد

دكـتور/ رجب محمود إبراهيم بخيت



مكتبة جزيرة الورد

القاهــرة : ٤ ميـــدان حليـم خلــف بنــك فيصـــل

ش ٢٦ يوليو ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦

Tokoboko_5@yahoo.com

بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الـورد

اسم الكتاب: أعلام الظرفـاء

إعـــــداد: رجب محمود إبراهيم بخيت

رقم الإيداع:

الطبعه الاولى ٢٠١٣

مكتبة جزيرة الورد

القاهــرة : ٤ ميــدان حليــم خلــف بنــك فيصــل

ش ٢٦ يوليو ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦

tokoboko_5@yahoo.com

المقدمـة

الحمد لله العزيز الوهاب الذي أنزل على عبده ورسوله محمد الكتاب، هدى وذكرى لأولي الألباب، وأودع فيه من العلوم النافعة والبراهين القاطعة والدلائل الجلية والأحكام الشرعية، وحفظه من التغيير والتبديل مهما طال الدهر وتوالت الأحقاب، وجعله معجزة خالدة يشاهدها من عاش في زمن الوحي ومن غاب، فهو حجة للمؤمن الأواب، وحجة على الكافر المرتاب، وهو حبل الله المتين والذكر الحكيم والصراط المستقيم من سلكه وعمل به فله البشرى والثواب، ومن أعرض عنه فله معيشة ضنكا وفي الآخرة سوء العذاب.

وصلى الله وسلم وبارك على محمد المصطفى من أطهر الأنساب وأشرف الأحساب الذي أيده ربه بالمعجزات الباهرات وعلى آله وصحبه الأكرمين خير أهل وأصحاب الذين وعدهم ربهم - سبحانه - بالنصر والتمكين وأورثهم الجنة وحسن المآب.

{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾} [آل عمران: ١٠٢].

{يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾} [النساء: ١].

{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

وبعد ..

فمن المعلوم أن الضحك والفكاهة المسموح بهما في الإسلام أنهما باباً من أبواب الخير والصدقة كما قال رسول الله ﷺ :《**تبسمك في وجه أخيك**

صدقة﴾ [١].

وبالفكاهة والبشاشة تكسب مودة الناس: كما قال رسول الله ﷺ: **لن تَسَعُوا الناس بأموالكم، فليسعهم منكم بسط الوجه** [٢].

و قال الجاحظ في مقدمة كتاب البخلاء، شارحاً بعض فضائل الضحك: (وكيف لا يكون موقعه من سرور النفس عظيماً ومن مصلحة الطباع كبيراً، وهو شيء من أصل الطباع ومن أساس التركيب؛ لأن الضحك أول خيرٍ يظهر من الصبي، وبه تطيب نفسه، وعليه ينبت شحمه ويكثر دمه الذي هو علّة سروره ومادة قوته).

ولفضل خصال الضحك عند العرب فإنها تسمّي أولادها ب: الضحاك وبسام.

وعالم أهل الظرف والفكاهة عالمٌ كالبحر واسع الجنبات، يمتد من جانب حتى يصل بالملحة والنادرة المحبّبة اللطيفة الظريفة إلى عالم الظرف والرّقة، ويمتد من جانب آخر حتى يصل بالتهكم والهجاء والسخرية إلى عالم المأساة والترويع، ويشتمل فيما بين ذلك على ألوان من الابتسام، وصنوف متفاوتة في درجات الخِفة والثقل، ومقادير الحلاوة والمرارة، ومراتب الرفق والعنف، وعناصر الفكر والعاطفة والنشاط، وأساليب التلميح والتصريح، وما إلى ذلك.

ولن يكون الظريف ظريفاً، حتى تجتمع فيه خصال أربع: الفصاحة، والبلاغة، والعفة، والنزاهة.

وسأل بعض الظرفاء عن الظرف فقال: التودد إلى الإخوان، وكف الأذى عن الجيران.

وقال آخر: ظرف ظلف النفس، وسخاء الكف، وعفة الفرج.

(١) أخرجه الترمذي وحسنه وأحمد، وابن حبان وصححه.
(٢) أخرجه البزار، والحاكم، وأبو نعيم وهو ضعيف.

و لا يكون الظرف إلا في اللسان. يقال: فلان ظريف، أي هو بليغ، جيد المنطق، ومنه حديث عمر بن الخطاب، رضي الله عنه: " إذا كان اللص ظريفاً لم يقطع " أي لأنه يكون له لسان فيحتج به، فيدفع عن نفسه.

قال: وروي عن محمد بن سيرين أنه قال: الظرف مشتق من الفطنة.

والظَّرْفُ في اللسان: البَلاغَةُ وفي الوجْه: الحُسْنُ وفي القَلْب: الذَّكاءُ.

- ومنه حديث معاوية " قال: كيف ابنُ زِيَاد؟ قالوا: ظَرِيف عَلَى أن يَلْحَن قال: أو ليس ذلك أظَرفَ له؟ "

- ومنه حديث ابن سِيرين " الكلامُ أكثرُ منْ أن يكْذِب ظَرِيف " أي أن الظَّرِيف لا تضيقُ عليه مَعَاني الكلام فهو يكْنِي ويُعَرِّض ولا يكذِب[1] والظريف الذي قد تأدب، وأخذ من كل العلوم، فصار وعاءً لها، فهو ظرف.

وسؤلت بعض متظرفات القصور عن الظرف، فقالت: من كان فصيحاً عفيفاً كان عندنا متكاملاً ظريفاً، ومن كان غنياً عاهراً كان ناقصاً فاجراً.

قال أبو عبد الله بن إبراهيم بن عرفة نِفْطَوَيْه:

ليس الظريف بكامل في ظرفه ::: حتى يكون عن الحرام عفيفا
فإذا تورع عن محارم ربه ::: فهناك يدعوه الأنام ظريفا[2]

وهذه صفحات من حياة بعض أعلام الظرفاء وأهم المواقف والطرائف قولاً وفعلاً، وجداً وهزلاً، التي مرت عليهم في حياتهم، والتي جمعت بين الكرم والظرف والمروة والفتوة، مع المداعبة والمطايبة،علها

(١) أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ٣٤٨/٣.

(٢) الوشاء، الموشى، ص١٨.

ترسم الابتسامة علي وجوه العابسين، أو تفرج بعضاً من كرب المكروبين، أو تنسي بعضاً من آلام المكدورين، في زمن ندرت فيه الابتسامة والضحكة، لما تمر به الأمة من محن ومآس وآلام.

أضعها بين أيديكم كالمائدة تختلف عليها أصناف الأطعمة لاختلاف شهوات الآكلين، وأنا لا أدعي - معاذ الله - أني أتيت فيها بجديد، ولكني - بفضل الله وحده - جمعتها من بطون الكتب لتكون بين أيديكم لعل الله عز وجل أن ينفع بها.

وما يجده القاريء الكريم في كتابنا هذا هذا ليس علماً من عند أنفسنا، يجب لنا السؤال عنه، ولا يلحقنا فيه عيب من عاب، إن عاب، ولكنا ألفناه وجمعناه من أقوال وأفعال ومواقف جماعة من الظرفاء والمتظرفات، وأهل الظرف في كل فن من فنون العلم، فأحببنا أن نجمع ذلك، ونجعله سلويً لمن أراد سماعه، وعلماً لمن أراد اتباعه، وهدياً لمن أراد رشده، ومناراً لمن أراد قصده، وطيباً لمن أراد شمّه، وأدباً لمن أراد فهمه.

وأنا أعتذر إلى القارئ الكريم من خَلَل يَرَاه أو لفظ لا يرضاه، وأعيذه أن يَرِدَ صَفْوَ منهلِهِ ويشرب عَذْب زُلاله ثم يسعي لتَغْوير مَنَابعه بالنقد والإساءة بل المأمولُ أن يسد خَلَله ويُصلْح زَلَله فقلما يخلو إنسان من نِسيان وقلم من طغيان.

وشريطتنا على قارئ كتابنا الإقصار عن طلب عيوب أخطائنا. والصفح عن ما يقف عليه من إغفالنا. والتجاوز عن ما ينتهي إليه من إهمالنا. وإن أداه التصفح إلى صواب نشره. أو إلى خطأ ستره. لأنه قد تقدمنا بالإقرار.

ولا بد للإنسان من زلل وعثار. وليس كل الأدب عرفناه. ولا كل العلم دريناه. وعلينا في ذلك الاجتهاد. وإلى الله الإرشاد. وقلَّ ما نجا مؤلف لكتاب من خطأ أو سهو يقع فيه.، وقد كان يقال من ألف كتاباً فقد استشرف. وإذا أصاب فقد استهدف. وإذا أخطأ فقد استقذف. وكان يقال لا

يزال الرجل في فسحة من عقله ما لم يقل شعراً أو يضع كتاباً.

وأسأل الله عز وجل أن ينفع بهذا العمل وأن يتقبله مني ويثيبني عليه.

رب تقبل عملي ولا تخيب أملي.

أصلح أموري كلها قبل حلول الأجل.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين..

الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورضوانه

رجب محمود إبراهيم بخيت

* * *

الفكاهة والضحك في الإسلام:

يقول ابن الجوزي: إن النفس قد تمل من ملازمة الجد وترتاح إلى بعض المباح من اللهو كما ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال لحنظلة: **ساعة وساعة**[1].

---

(١) ورواية الحديث كاملة: عن أبي ربعِي حنظلة بن الربيع الأسَيِّدِيِّ الكاتب أحدِ كتّاب رَسُول الله ، قالَ: لَقِيَنِي أبُو بَكر - رضي الله عنه -، فقالَ: كيْفَ أنْتَ يَا حنْظلةُ؟ قُلتُ: نَافقَ حَنْظَلَةُ! قالَ: سُبْحَانَ الله مَا تقولُ؟! قُلتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُول الله ﷺ يُذَكِّرُنَا بالجَنَّةِ وَالنَّارِ كأنَّا رَأيَ عَيْنٍ فإذا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُول الله عَافسْنَا الأزْواجَ وَالأوْلادَ وَالضَّيْعَاتِ نَسينَا كثِيراً، قالَ أبُو بكر - رضي الله عنه -: فوَالله إنَّا لنَلقى مِثْلَ هَذَا، فانْطَلَقتُ أنَا وأبُو بَكْر حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُول الله . فقُلتُ: نَافقَ حَنْظَلَةُ يَا رَسُول اللهِ! فقالَ رَسُول الله : ﴿وَمَا ذَاكَ؟﴾ قُلتُ: يَا رَسُول اللهِ، نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بالنَّار والجَنَّةِ كأنَّا رَأيَ العَيْن فإذا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافسْنَا الأزْواجَ وَالأوْلادَ وَالضَّيْعَاتِ نَسينَا كثِيراً. فقالَ رَسُول الله : ﴿وَالَّذِي نَفْسي بِيَدِهِ، لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونونَ عِنْدِي، وَفي الذِّكْر، لَصَافَحَتْكُمُ المَلائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفي طُرُقِكُمْ، لَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وسَاعَةً﴾ ثَلاثَ مَرَاتٍ. رواه مسلم ٩٤/٨ (٢٧٥٠) (١٢).

وعن علي رضي الله عنه أنه قال: روحوا القلوب بطرائف الحكم فإنها تمل كما تمل الأبدان.

وكان رجل يجالس أصحاب رسول الله ويحدثهم فإذا أكثروا وثقل عليه الحديث قال إن الأذن بحاجة، وإن القلوب خمصة هاتوا من أشعاركم وحديثكم.

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: إني لاستجم نفسي بشيء من الباطل كراهة أن أحملها من الحق ما يملها.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يحدث أصحابه ساعة ثم يقول حمضونا فيأخذ في أحاديث العرب وأشعارهم ومثله عن الزهري ومالك بن دينار.

وكان شعبة يحدث فإذا رأى أبا زيد قال له إيه أبا زيد.

استعجمت دارُ نُعمٍ ما تكلِّمُنا ::: والدارُ إن كلمتنا ذاتُ أخبار

ووصف رجل عند ابن عائشة فقيل: هو جدّ كله، فقال ابن عائشة: لقد أعان على نفسه وقصر لها طول المدى ولو فكهها بالانتقال من حال إلى حال نفس عنها ضيق العقد ورجع إلى الجد بنشاط.

وقال الرشيد: النوادر تستحدّ الأذهان وتفتق الآذان.

وقال آخر: لا يحب الملح إلا ذكران الرجال ولا يكرهها إلا مؤنثوهم.

والضحك أحيانا جلاء، فان قال قائل ذكر النوادر والطرائف يوجب الضحك وقد روي عن النبى أنه قال:**إن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوى بها أبعد من الثريا** (١) فالجواب إنه محمول على أنه يضحكهم بالكذب.

---

(١) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (١٦٤/٣) وقال: غريب. وأخرجه أيضًا: أحمد (٤٠٢/٢، رقم ٩٢٠٩)، وابن حبان (٢٤/١٣، رقم ٥٧١٦)، وابن عدى (٢٢٤/٣، ترجمة ٧١٨ زبير بن سعيد الهاشمى).

وقد يجوز للانسان أن يقصد إضحاك الشخص فى بعض الأوقات ففي أفراد مسلم من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال: لأكلمن رسول الله لعله يضحك، قال: قلت: لو رأيت ابنة زيد امرأة عمر سألتنى النفقة فوجأت عنقها، فضحك رسول الله .

وإنما يكره للرجل أن يجعل عادته إضحاك الناس لأن الضحك لا يذم قليله فقد كان الرسول يضحك حتى تبدو نواجذه، وإنه يكره كثيره لما روي عنه عليه السلام أنه قال:**كثرة الضحك تميت القلب** [(١)].

ومزح الشعبي يوماً، فقيل له: يا أبا عمرو أفتمزح؟ قال: إن لم يكن هذا متنا من الغم، هواء داخل، وهواء خارج [(٢)].

وقد قيل: لابد للمصدور أن ينفث.

وأنشد أبو نواس:

أُروّح القلب ببعض الهزلِ ::: تجاهلاً منّي بغير جهلِ
أَمزح فيه مزحَ أَهل الفَضل ::: والمزحُ أَحياناً جِلاء العقلِ

وأنشد أبو الفتح البستي:

أفد طبعَك المكدودَ بالجدّ راحةً ::: يَجمَّ وعلّله بشيء من المزحِ
ولَكن إِذا أَعطيتَه المزح فليكن ::: بمقدار ما تعطي الطَّعامَ من الملحِ

قال الأبيرد:

إِذا جدّ عند الجِد أَرضاك جدُّه ::: وذو باطلٍ إن شئت أَلهاك باطله

وقال أبو تمام:

الجِدُّ شيمتُه وفيه فكاهةٌ ::: طوراً ولا جِدُّ لمن لم يلعب [(٣)]

---

(١) أخرجه أحمد (٢/٣١٠، رقم ٨٠٨١)، والترمذى (٤/٥٥١، رقم ٢٣٠٥)، وقال: غريب، والبيهقى فى شعب الإيمان (٧/٧٨، رقم ٩٥٤٣).

(٢) ابن عبد البر، بهجة المجالس وأنس المجالس، ١/١٢٥.

(٣) أبو البركات بدر الدين محمد بن محمد الغزي، المراح في المزاح، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، دار النشر: دار ابن حزم - بيروت - ١٤١٨ هـ ١٩٧٧م، ص ٤٢.

وعلى هاتين الحالتين كان مزح رسول الله وأصحابه وتابعيه والعلماء والأئمة. روى بكر بن عبد الله المزني أنه قال:إِنِّي لأَمـزَحُ وَلاَ أَقُـولُ إِلاَّ الحَقّ. وفي روايةٍ إِلاَّ حَقًّا [(١)].

وعن أبي هريرة قال: قالوا: يا رسول الله إنك تداعبنا قال: إنّي لاَ أقُولُ إلاَّ حَقًّا [(٢)].

والمداعبة مطلوبة محبوبة لكن في مواطن مخصوصة فليس في كل آن يصلح الضحك والفكاهة ولا في كل وقت يحسن الجد قال:

أهازل حيث الهزل يحسن بالفتى ::: وإني إذا جد الرجال لذو جد

وقال الراغب: الضحك والفكاهة إذا كان على الاقتصاد محمودًا والإفراط فيه يذهب البهاء ويجري السفهاء وتركه يقبض المؤانس ويوحش المخالط.

وقد سئل سفيان: المزاحُ سبة؟ فقال: بل سنة لقوله عليه السلام إني لأمزح ولا أقول إلا الحق.

فالضحك سنة ولكن من يحسنه وإنما كان يمزح لأن الناس مأمورون بالتأسي به والاقتداء بهديه، فلو ترك اللطافة والبشاشة ولزم العبوس والقطوب لأخذ الناس من أنفسهم بذلك على ما في مخالفة الغريزة من الشفقة والعناء فمزح ليمزحوا.

وقال الماوردي: العاقل يتوخى بمزاحه أحد حالين لا ثالث لهما:

أحدهما: إيناس المصاحبين والتودد إلى المخالطين، وهذا يكون بما

(١) أخرجه الطبرانى فى الأوسط (٣٠٥/٨، رقم ٨٧٠٦)، قال الهيثمى (١٧/٩): إسناده حسن. وأخرجه أيضًا: أحمد (٣٤٠/٢، رقم ٨٤٦٢)، والبخارى فى الأدب المفرد (١٠٢/١، رقم ٢٦٥)، والبيهقى (٢٤٨/١٠، رقم ٢٠٩٦٣).

(٢) وأخرجه الترمذي في " السنن " (١٩٩٠)، وفي " الشمائل " (٢٣٧)، والبيهقي في " السنن " ٢٤٨/١٠، وفي " الآداب " (٤٠٦)، والبغوي (٣٦٠٢) من طريق علي بن الحسن، عن ابن المبارك، بهذا الإسناد. وانظر (٨٤٨١).

أنس من جميل القول وبسط من مستحسن الفعل كما قال حكيم لابنه: يا بني اقتصد في مزاحك فإن الإفراط فيه يذهب البهاء ويجري السفهاء والتقصير فيه نقص بالمؤانسين وتوحش بالمخالطين.

والثاني: أن ينبغي من المزاح ما طرأ عليه وحدث به من هم وقد قيل لا بد للمصدور أن ينفث.

ومزاح النبي لا يخرج عن ذلك، وأتى رجل عليا كرم الله وجهه فقال: احتلمت بأبي قال: أقيموه في الشمس واضربوا ظله الحد.

أما مزاح يفضي إلى خلاعة أو يفضي إلى سبة فهجنة ومذمة، قال ابن عربي: ولا يستعمل المزاح أيضا في أحكام الدين فإنه جهل قال تعالى مخبرا عن قصة البقرة:{ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾} [البقرة: ٦٧]، قال معناه لا أمزح في أحكام الدين فإن ذلك فعل الجاهلين ولكن اذبحوها فستروا الحقيقة فيها.

وقال أنس بن مالك: كان رسول الله من أفكه الناس.

ومن مزاحه ما رواه أنس قال: إن كان رسول الله ليخالطنا حتى يقول لأخ لي صغير:**يا أبا عمير ما فعل النغير** [١]؟ كان له نغير يلعب به فمات [٢].

وما رواه الحسن قال: أتت عجوز من الأنصار إلى النبي فقالت:

---

(١) النغير: تصغير النغر، وهو طائر يشبه العصفور أحمر المنقار.

(٢) إسناده صحيح على شرط مسلم، وأخرجه عبد بن حميد (١٢٧٩) عن هاشم بن القاسم، بهذا الإسناد، وأخرجه البخاري في " الأدب المفرد " (٣٨٤) عن موسى بن إسماعيل، عن سليمان بن المغيرة، به.وأخرجه ابن سعد ٤٣١/٨، وعبد بن حميد (١٣٣١)، وأبو يعلى (٣٣٩٨)، والطحاوي ١٩٥/٤، وابن حبان (٧١٨٨)، وأبو الشيخ في " أخلاق النبي " ص ٣٣ من طريق عمارة بن زاذان، عن ثابت، عن أنس - والحديث عند ابن سعد وأبي يعلى وابن حبان ضمن حديث طويل.

يا رسول الله ادع لي بالمغفرة فقال لها:**أَمَا عَلِمتِ أَنَّ الجَنَّةَ لاَ يَدخلُهَا العَجَائِزُ** وفي روايةٍ العجوزَ، وفي رواية:**لاَ تَدخُلُ الجَنَّةَ عَجُوزٌ** فبكت، وفي رواية: فصرخت فتبسم رسول الله وقال لها:**لَستِ يَومَئِذٍ بِعَجُوز أَمَا قَرَأتِ قَولَهُ تعالى:**{إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ ﴿٣٥﴾ فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتۡرَابٗا ﴿٣٧﴾} [الواقعة: ٣٥ - ٣٧](١).

وروى زيد بن أسلم أن امرأة يقال لها أم أيمن جاءت النبي في حاجة لزوجها فقال لها:**مَن زَوجُكِ؟** فقالت: فلان، فقال:**الذِي فِي عَينِهِ بَيَاضٌ؟** فقالت: أي رسولَ الله ما بعينه بياض، قال:**بلى إِنَّ بِعَينِه بَيَاضاً** فقالت: لا واللهِ فقال النبي :**وَمَا مِن أَحَدٍ إِلاَّ بِعَينِهِ بَيَاضٌ** وفي رواية: فانصرفت عَجلى إلى زوجها، وجعلت تتأمّل عينيه فقال لها:**ما شأنكِ؟** فقالت: أخبرني رسولُ الله أن في عينيك بياضاً فقال لها: أما ترين بياضَ عيني أكثر من سوادها؟ (٢).

وعن أنس أن رجلا استحمل فقال رسول الله فقال:**إِنّي حَامِلُكَ عَلَى وَلَدِ نَاقَةٍ** فقال: ما أصنع بولد الناقةِ؟ فقال رسول الله :**وهَل تَلِدُ الأبِلَ إِلاَّ النُّوقُ؟** (٣).

---

(١) رواه الترمذي في الشمائل في باب مزاح النبي من حديث المبارك ابن فضالة عن الحسن قال أتت عجوز للنبي فقالت: ﴿يا رسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة فقال:يا أم فلان إن الجنة لا يدخلها عجوز﴾ قال: فولت وهي تبكي فقال:أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز إن الله يقول:{إنا أنشأناهن إنشاء}ـــ الآية.؟؟؟

(٢) أخرجه الزبير بن بكار في كتاب الفكاهة والمزاح ورواه ابن أبي الدنيا من حديث عبيدة بن سهم الفهري مع اختلاف.

(٣) إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين أخرجه الضياء في " المختارة " (١٩٠١) من طريق عبد الله بن أحمد بن حنبل، عن أبيه، بهذا الإسناد.وأخرجه البخاري في " الأدب "
(٢٦٨)، وأبو داود (٤٩٩٨)، والترمذي في " السنن " (١٩٩١)، وفي " الشمائل " (٢٣٨)، وأبو يعلى (٣٧٧٦)، وأبو الشيخ في " أخلاق النبي " ص ٨٦، والبيهقي ٢٤٨/١٠، والبغوي (٣٦٠٥)، والضياء (١٨٩٩) و (١٩٠٠) من طرق عن خالد بن عبد الله، به.

وعن عائشة رضى الله عنها قالت: سابقني رسول الله فسبقته، فلما حملت اللحم سابقني فسبقني فقال:**هذِهِ بتلك** [1].

وقال للشفاء بنت عبد الله:**عَلّمِي حَفصَةَ رُقيَةَ النَّملِة كَمَا عَلَّمتها الكِتَابَة** [2].

والنملةُ قروحٌ تَخرج في الجنب ورُقيَتُها شيءٌ كانت تستعمله النساء يعلم كلُّ من يسمعه أنهُ كلامٌ لا يضرّ ولا ينفع وهو أن يقال: العرسُ تحتفل، وتختضب وتكتحل، وكلَّ شيء تفتعل، غير أن لا تعصي الرّجُل، أراد عليه السلام بهذا المقال تأنيبَ حفصة لأنه ألقى إليها سِرًّا فأفشته فكان هذا من المُزاح ولغز الكلام.

وعن النعمان بن بشير قال استأذن أبو بكر رضي الله عنه على النبي فسمع صوت عائشة عاليا، فلما دخل تناولها ليلطمها وقال: لا أراكِ ترفعين صوتَك عَلَى رسول الله ، فجعل رسول الله يَحجُزُهُ وخرج أبو بكر مغضبا فقال النبي حين خرج أبو بكر: كَيف رَأيتِني أنقَذتُكِ مِنَ الرَّجُل؟ قال: فمكث أبو بكر أياماً ثم استأذن فوجدهما قد اصطلحا فقال لهما: أدخلاني في سِلمِكما كما أدخلتماني في حربكما فقال النبي : **قَد فَعَلنا** [3].

وعن ربيعة بن عثمان أنه بلغه أن خوّات بن جبير كان جالسا إلى نسوة من بني كعب بطريق مكة فطلع عليه رسول الله فقال:**يَا أَبَا عَبدِ الله مَالَكَ مَعَ أُولاء النِسوَةِ؟** قال: يَفتِلنَ ضفُيَراً لجملٍ لي شَرُودٍ قال: فمضىَ رسول الله لحاجته ثم طلع علّي فقال:**أَبَا عَبدِ الله مَا تَرَك ذلِكَ الشّرِادَ بَعدُ؟**

(١) حديث صحيح، وهو عند أبي شيبة كذلك ١٢ / ٥٠٩، كما عند الطبراني في " الكبير " ٢٣ / (١٢٣) وحسن بن موسى وثلاثتهم عن حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن عائشة.

(٢) أخرجه أحمد (٣٧٢/٦، رقم ٢٧١٤٠)، وأبو داود (١١/٤، رقم ٣٨٨٧). وأخرجه أيضًا: النسائى (٣٦٦/٤، رقم ٧٥٤٣).

(٣) النسائي في سننه الكبرى ج ٥/ ص ٣٦٥ حديث رقم: ٩١٥٥.

قال: فسكت واُستحيَيتُ، فكنت بعد ذلك أتفرد منه كلما رأيته حياءً منه حتى قدمت المدينة وبعد ما قدمت المدينة حتى طلع علّي وأنا أُصلي في المسجد إلّي فطولت فقال: **لاَ تُطَوّل فَإِنّي أَنتظركَ** فلما فرغت قال: **يَا أَبَا عَبدِ الله مَا تَرَك ذِلِك الجَمَلَ الشّرادَ بَعدُ؟** قال: فسكت واستحيَيتُ، فقام، فكنت أتفردَ منه حتى لحقني يوماً وهو على حمار وأنا أريد قُبا، وقد جعل رجليه في شق واحد فقال: **أَبَا عَبدِ الله مَا تَرَك ذِلكَ الجَمَل الشّرادَ بَعدُ؟** قلت: والذي بعثك بالحقّ ما شَرَدَ منذ أسلمتُ قال: **اللهُ أكبر اللهم اهد أبا عبد الله** (1).

قال الراوي: فحسن إسلامه وهداه الله وله الحمد. وذكر غير واحد أنه لما قال له: **ما فعل جملك الشرود** قال: عقله الإسلام يا رسول الله. وهو خوّات بن جبير بن النعمان بن أمية بن امرئ القيس، كسر أو نهش في غزوة بدر فرده النبي وضرب له بسهم وشهد المشاهد كلها بعد وعاش حتى كف بصره ومات في سنة اثنتين وأربعين في أول ولاية معاوية
وله عقب.

عن الواقدي قال: قال خوّات بن جبير: فعلت ثلاثة أشياء لم يفعلهن أحد قط: ضحكت في موضع لم يضحك فيه أحد قط، ونمت في موضع لم ينم فيه أحد قط، وبخلت في موضع لم يبخل فيه أحد قط. انتهيت يوم أحدٍ إلى أخي وهو مقتول وقد شق بطنه وقد خرجت حشوته، فاستعنت بصاحب لى عليه فحملناه وختل المشركين حوالينا فأدخلت حشوته في جوفه وشددت بطنه بعمامتي وحملته بيني وبين الرجل، سمعت صوت حشوته رجعت في بطنه ففزع صاحبي فطرحه فضحكت، ثم مشينا فحفرت له بسية قوسيى وكان عليها الوتر فحللته، وبخلت به مخافة أن

(1) أخرجه الطبراني في الكبير من رواية زيد بن أسلم عن خَوَّات بن جبير مع اختلاف ورجاله ثقات، وأدخل بعضهم بين زيد وبين خَوَّات: ربيعة بن عمرو.

ينقطع، فحفرت له فدفنته، فإذا أنا بفارس قد سدد رمحه نحوي يريد أن يقتلني فوقع علي النعاس فنمت في موضع ما نام فيه أحد قط، فانتبهت فلم أر فارسا ولا غيره ولا أدري أي شيء كان ذلك[١].

وعن صهيب قال: قدمت على رسول الله وهو بقباء ومعه أبو بكر وعمر، وبين أيديهم رطب، وقد رمدت فى الطريق فأصابنى مجاعة شديدة، فوقعت فى الرطب، فقال عمر: يا رسول الله ألا ترى صهيبا يأكل الرطب وهو أرمد فقال رسول الله :**يا صهيب تأكل الرطب وأنت أرمد** فقال صهيب: يا رسول الله إنما آكل بشق عينى هذه الصحيحة، فتبسم [٢].

وإنما استجاز صهيب أن يعرض لرسول الله بالمزح في جوابه، لأن استخباره قد كان يتضمن المزح، فأجابه عنه بما وافقه من المزح مساعدة لغرضه وتقربا من قلبه، وإلا فليس لأحد أن يجعل جواب رسول الله مزحا، لأن المزح هزل ومن جعل جواب رسول الله المبين عن الله عزَّ وجلّ أحكامه المؤدي إلى خلقه أوامره هزلا ومزحا، فقد عصى الله تعالى ورسوله، وصهيب كان أطوع لله سبحانه ولرسوله أن يكون بهذه المنزلة.

وقد كان أصحاب رسول الله يمزحون حتى بحضرته، وكذلك من بعدهم من التابعين والعلماء والأئمة.

روى البخارى عن بكر بن عبد الله المزني: كان أصحاب رسول الله يتبادحون بالبطيخ، فإذا كانت الحقائق كانوا هم الرجال. وسئل النخعي: هل كان أصحاب رسول الله يضحكون؟ قال:**نعم والإيمان في قلوبهم مثل الجبال الرواسي.**

وعن يحيى ابن أبي كثير قال: كان رجل من أصحاب رسول الله ضحاكا، فذكر ذلك النبي كأنهم يعيبون ذلك، فقال النبي عليه السلام: **أَنَّى**

(١) المراح في المزاح، ص ٥٣.
(٢) أخرجه ابن عساكر (٢٣١/٢٤).

تَعجَبُونَ إِنَّهُ لَيَدخُلُ الجَنَّةَ وَهُوَ يَضحكُ [(١)].

وعن عثمان بن نائل مولى عثمان بن عفان عن أبيه قال: خرجت مع مولاي عثمان في سفرة سافرناها مع عمر في حج أو عمرة، وكان عمر وعثمان وابن عمر أيضا، وكنت وابن عباس وابن الزبير في شبان معنا أيضا، ومعنا رَباح بن المعترف الفهري، فكنا نترامى بالحنظل وكان عمر يقول لنا: لا تُنفّروا علينا رِكابَنا قال: فقلنا ذاتَ ليلةٍ: احدُ لنا قال: مع عمر؟ قلنا: احدُ فإن نهاك فانتَهِ قال: حتى إذا كان السَّحَر قال له عمر: كُفَّ فإن هذه ساعةُ ذكرٍ، فلما كانت الليلة الثانية قلنا: يا رَباح انصب لنا نَصب العرب قال: مع عمر؟ قلنا: انصِب فإن نهاك فانتَهِ، فنصب لنا نَصبَ العرب حتى إذا كان السَّحَرُ قال له عمر: كُفَّ فإنّ هذه ساعة ذكر، فلما كانت الليلة الثالثة قلنا: يا رَباح غَنّنا غِناء القِيَان، قال: مع عمر؟ قلنا غَنّهِ فإن نهاك فانتِهِ قال: فغني، فوالله تركه أن قال له: كُفَّ فإن هذا يُنَفِرّ القلوب.

وعن ابن أبي نجيح عن أبيه قال: قال عمر بن الخطاب إني ليعجبني أن يكون الرّجل وفي أهله مثلَ الصبي، فإذا بُغي منه حاجة وُجد رجلاً.

* * *

(١) أخرجه ابن أبى شيبة (١٧٠/٧، رقم ٣٥٠٥٢).

نُعَيْمانُ بنُ عمرٍو

أعــلام الظرفــاء

الصحابي نُعَيْمانُ بنُ عمرٍو

هو نُعيمانُ بن عمرو بن رفاعة بن الحارثِ بن سَواد بن مالك بن غَنْم بن مالك بن النجّار الأنْصاري، شهد بدراً، وكان من قدماءِ الصحابةِ وكبارِهم، وكانت فيه دعابة زائدة، وله أخبار طريفة في دعابته، وهو الذي حدَّه النبيُّ في شرب الخمر. وقال ابن عبد البر: إنه كان رجلاً صالحاً، وإن الذي حدَّه النبيُّ في الخمرِ كان ابنهُ.

وأم نعيمان، فكيهة بن بني النجار، ولا عقب لها، وقيل: فاطمة بنت عمرو بن عطية بن خنساء بن بني مازن بن النجار [1].

ونعيمان تصغير نعمان، وشهد نعيمان العقبة الآخرة مع السبعين من الأنصار، وشهد بدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله .

قال عقبة بن الحارث: أتى رسول الله بالنعيمان وقد شرب الخمر، وفي رواية: وهو سكران، فأمر رسول الله من في البيت، فضربوه بالأيدي والجريد والنعال، قال؛ وكنت فيمن ضربه.

قال زيد بن أسلم: أتي بالنعيمان أو ابن النعيمان إلى النبي فجلده، ثم أتي به فجلده قال: مراراً أربعاً أو خمساً، يعني في شرب النبيذ، فقال رجل: اللهم العنه، ما أكثر ما يشرب! وأكثر ما يجلد! فقال النبي: لا تلعنه؛ فإنه يحب الله ورسوله.

وممن اشتهر بالمزاح والضحك علي عهد النبي نعيمان بن عمرو بن رفاعة الأنصاري ممن شهد العقبة وبدرا والمشاهد بعدها قال ابن الاثير في ترجمته من أسد الغابة كان كثير المزاح يضحك النبي من مزاحه وهو صاحب سويبط بن حرملة، وكان من حديثهما أن ابا بكر خرج الى

---

(١) انظر: طبقات بن سعد، ٤٩٣/٣، طبقات خليفة، ٨٧، التاريخ الكبير، ١٢٨/٨، الثقات، ٣/ ٤١٨، الجرح والتعديل، ٥٠٧/٨، جمهرة ابن حزم، ١٢٦، ٣٤٩، الاستيعاب،

الشام ومعه نعيمان وسويبط بن حرملة، وكلاهما بدري، وكان سويبط على الزاد فجاءه نعيمان فقال أطعمني فقال: لا حتى يجيء أبو بكر وكان نعيمان رجلا مضحاكا فقال: لأغيظنك فجاء إلى أناس جلبوا ظهرا فقال لهم: ابتاعوا مني غلاما عربيا فارها وهو ذو لسان، ولعله يقول أنا حر فإن كنتم تاركونه لذلك فدعوه لا تفسدوا علي غلامي، فقالوا: بلى بل نبتاعه منك بعشر قلائص، فأقبل بها يسوقها، وأقبل بالقوم حتى عقلها، ثم قال: دونكم هو هذا فجاء القوم فقالوا: قم قد اشتريناك، فقال سويبط: هو كذاب أنا رجل حر، فقالوا: قد أخبرنا خبرك فطرحوا الحبل في رقبته، وذهبوا به فجاء أبو بكر فأخبر، فذهب هو وأصحاب له فردوا القلائص، وأخذوه فلما عادوا إلى النبي وأخبروه الخبر ضحك النبي حولا وأصحابه.

وعن ربيعة بن عثمان قال: دخل أعرابي عَلَى رسول الله عليه وأناخ ناقته بفنائه، فقال بعض أصحاب النبي للنعيمان الأنصاري: لو عقرتّها فأكلناها، فإنا قد قَرِمنا إلى اللحم، ويغرَم رسولُ الله قال: فعقره النعيمان فخرج الأعرابي فرأى راحلته فصاح: واعُقراه يا محمد، فخرج رسول الله فقال:مَن فَعَلَ هذا؟ فقيل: النُّعيمان فاتبعه يسأل عنه حتى وجده في دار ضبُاعَة ابنة الزُّبير بن عبد المطلب، وقد حفرت خنادق وعليها جريد، فدخل النُّعيمان في بعضها، فمر رسول الله يسأل عنه، فأشار إليه رجلٌ ورفع صوته يقول: ما رأيته يا رسول الله، وأشار بأصبعه حيث هو قال: فأخرجه رسولُ الله وقد سقط على وجهه السعف وتغير وجهه فقال:مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعتَ؟ قال: الذين دلُّوك علّي يا رسول الله هم الذين أمروني قال: فجعل رسولُ الله يمسح وجهه، ويضحك قال: ثم غَرِمها رسولُ الله للأعرابي.

وأخباره في المزاح مشهورة، وكان يشرب الخمر فيوتى به النبي فيضربه بنعله ويأمر أصحابه فيضربونه بنعالهم، ويحثون عليه التراب،

فلما كثر ذلك منه قال له رجل من أصحاب رسول الله : لعنك الله فقال النبي :**لا تفعل فإنه يحب الله ورسوله** [(١)].

وكان لا يدخل المدينة رسل ولا طرفة إلا اشترى منها، ثم أتى النبي فيقول: يا رسول الله هذا قد اشتريته لك وأهديته لك فإذا جاء صاحبها يتقاضاه بالثمن، جاء به النبي وقال: يا رسول الله أعطه ثمن متاعه، فيقول له :**أو لم تهده لنا** فيقول: يا رسول الله إنه لم يكن عندي ثمنه وأحببت أن تأكل منه، فيضحك النبي ويأمر لصاحبه بثمنه [(٢)].

وروي أنه أهدى النبي جرة عسل اشتراها من أعرابي بدينار، وأتى بالأعرابي باب النبي فقال: خذ الثمن من ها هنا، فلما قسمها النبي نادى الأعرابي: ألا أعطنى ثمنَ عسلي، فقال :**إِحدى هنات نُعيمان** وسأله لم فعلت هذا؟ قال: أردت برّك ولم يكن معي شيء، فتبسم النبي وأعطى الأعرابيّ حقّه.

قال عبد الله بن مصعب: كان مخرمة بن نوفل بن أهيب الزهري بالمدينة وهو شيخ كبير أعمى، وكان قد بلغ مائة وخمس عشرة سنة، فقام يوما في المسجد يريد أن يبول فصاح به الناس، فأتاه نعيمان ابن عمرو بن رباعة بن الحارث بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجار فتنحى به ناحية من المسجد، ثم قال له: اجلس ها هنا، فأجلسه يبول ثم تركه، فصاح به الناس، فلما فرغ قال: من جاَءَ بي إلى هذا المجلس؟ قالوا: نعيمان بن عمرو قال: فعل الله به وفعل، أما إنَّ الله علّي إن ظفرت به أن أضربه بعصاي هذه ضربةً تبلغ منه ما بلغت، فمكث ما شاء الله

(١) قال الحافظ السيوطي في قوت المغتذي على جامع الترمذي الصحابة خصوا في باب الحدود بما لم يخص به غيرهم، ولهذا لا يفسقون بما يفسق به غيرهم خصوصية لهم ثم أورد هذه القصة قائلا علم النبي من باطنه صدق محبته لله ورسوله، فأكرمه، بترك القتل وله أن يخص من شاء بما شاء من الأحكام.

(٢) أخرجه الزبير بن بكار في الفكاهة ومن طريقه ابن عبد البر من رواية محمد بن حزم مرسلا وقد تقدم أوله.

حتى نسي ذلك مخرمة ثم أتاه يوما وعثمان قائم يصلي في ناحية من المسجد، وكان عثمان إذا صلى لا يلتفت فقال له: هل لك في نُعَيمان؟ فقال: نعم أين هو؟ دُلَّني عليه، فأتى به حتى أوقفه على عثمان فقال: دونك هذا هو، فجمع مخرمة يديه بعصاه فضرب عثمان فشَجَّه، فقيل له: إنما ضَربتَ أمير المؤمنين عثمان قال: فسمعت بذلك بنو زهرة فاجتمعوا في ذلك فقال عثمان: دعوا نُعيمان، لعن الله نُعيمان: وروي أن مخرمة قال: من قادني؟ قيل: نعيمان، قال: لا جَرَمَ لا عَرَضتُ له بشَرٍ أبداً [1].

وشكى عيينة بن حصن إلى نعيمان صعوبة الصيام فقال: صُمِ الليل، فروى أنه دخل عُيَينة على عثمان وهو يفطر في شهر رمضان فقال: العَشاء فقال: أنا صائم فقال عثمان: الصوم بالليل؟ فقال: هو أخفُّ عليَّ، فيقال: إن عثمان قال: إحدى هَنات نُعيمان.

وقال علُّى بن أبي طالب رضي الله عنه: لا بأس بالمفاكهة يخرج بها الرّجلِ عن حدّ العُبوس، وعن بكر بن أبي محمد قال: أهدى المجوس لعلي ابن أبي طالب فالوذجاً فقال علُّي: ما هذا؟ فقيل له: اليوم النيروز فقال علُّي: ليكن كلُّ يومٍ نيروزاً، وأكَل. وفي رواية قيل له: اليوم المِهرَجان فقال: مَهرِجُونا كل يوم هكذا.

وعن عمرو بن دينار عن محمد بن علي قال: طرحت لعلي بن أبي طالب وسادة فجلس عليها وقال: لا يأبي الكرامة إلاّ حمار.

وأتى رجلٌ علي بن أبي طالب فقال: إني احتلمت عَلَى أُمي فقال: أقيموه في الشمس واضربوا ظلَّه الحدَّ، وفي رواية أن رجلاً أتاه برجلٍ فقال: إن هذا زعَم أنه احتلم عَلَى أُمي فقال: أقِمه في الشمس فاضرب ظلَّه.

وروي عن أبي الدَّرداء أنه كان لا يتحدث إلا وهو يتبسم فقالت له

---

(١) أبو البركات بدر الدين محمد بن محمد الغزي، المراح في المزاح، ص ٦٣.

امرأته أم الدَّرداء: إني أخاف أن يرى الناسُ أنك أحمق فقال: ما رأيت رسول الله حدّث حديثاً إلاّ وهو يتبسّم في حديثه[1].

وفي حديث آخر بمعناه عن مروان بن قيس: ثم أتي به الرابعة وعمر عنده، فقال عمر: ما تنتظر به يا نبي الله؟ هي الرابعة، اضرب عنقه، فقال رجل عند ذلك: لقد رأيته يوم بدر يقاتل قتالاً شديداً. وقال آخر: لقد رأيت له يوم بدر موقفاً حسناً، فقال النبي: كيف وقد شهد بدراً؟

قال ربيعة بن عثمان: دخل أعرابي على رسول الله ، وأناخ ناقته بفنائه، فقال بعض أصحاب النبي لنعيمان: لو عقرتها فأكلناها، فإنا قد قرمنا إلى اللحم، وغرم رسول الله . قال: فعقرها النعيمان، فخرج الأعرابي، فرأى راحلته، فصاح: واعقراه يا محمد.

فخرج رسول الله فقال: من فعل هذا؟ قالوا: النعيمان، فاتبعه يسأله عنه حتى وجده في دار ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب، وقد حفرت لها خنادق، وعليها جريد، فدخل النعيمان في بعضها، فمر رسول الله يسأل عنه، فأشار إليه رجل، ورفع صوته: ما رأيته يا رسول الله وأشار بإصبعه حيث هو. قال: فأخرجه رسول الله وقد أسقط على وجهه السعف، وتغير وجهه، فقال:**ما حملك على ما صنعت؟** قال: الذين دلوك علي يا رسول الله هم الذين أمروني.

قال: فجعل رسول الله يمسح عن وجهه ويضحك، ثم غرمها رسول الله للأعرابي.

روي الإمام أحمد في مسنده عن أم سلمة رضي الله عنها، ورواه أيضاً الطيالسي و ابن ماجة وغيرهم، بسند فيه رجل يقال له زمعة بن صالح، وزمعة بن صالح هذا فيه مقال، وإن كان مسلم خرج له في الصحيح، ولكن فيه ضعف يسير.

(١) أبو البركات بدر الدين محمد بن محمد الغزي، المراح في المزاح، ص ٦٤.

والحديث له شاهد آخر عند الزبير بن بكار في كتاب الفكاهة والمزاح: أن أبا بكر رضي الله عنه خرج في تجارة إلى الشام، إلى بصرى، قبل أن يموت النبي بنحو سنة.

وكان معه نعيمان هذا، ومعه رجل اسمه سويبط أو سليط بن حرملة [(١)]، وكان سليط بن حرملة هو المسؤول عن التموين في تلك السفرة، فجاء إليه نعيمان يوماً، وقال له: أطعمني، فقال له: لا، حتى يأتي أبو بكر، فألح عليه فقال: لا، حتى يأتي أبو بكر، فقال: لأسوأنك، فمر قوم من العرب، فجاء إليهم نعيمان وقال: هاهنا عندي عبد فاره قوي جيد، أتريدون أن تشتروه مني؟ قالوا: نعم، قال: هاهو، ولكنه رجل لسن - لسانه طويل - فإذا شريتموه سيقول: أنا حر، أنا ابن عمه، أنا كذا أنا كذا، فإذا كنتم ستطلقونه فلا تفسدوا عليَّ عبدي، قالوا: لا، نحن نمسك به، فاشتروه منه بعشر قلائص - عشر نوق - فأخذها نعيمان.

ثم جاء إلى سليط، فقال: هذا هو فأمسكوا به ووضعوا العمامة في عنقه وجروه، فقال: أنا حر، هذا يضحك عليكم، هذا يريد أن يسوءني، هذا ابن عمي، هذا كذا هذا كذا، قالوا: لا، قد أخبرنا أمرك.

وذهبوا به، فلما جاء أبو بكر رضي الله عنه، أخبره بالخبر فلحق بهم وأطلقه ورد إليهم قلائصهم، فكان الرسول وأصحابه يضحكون من هذه القصة حولاً كاملاً وهم يضحكون من هذا الخبر.

وكان نعيمان الأنصاري يدور في أسواق المدينة، فإذا دخل السوق طرفة من طرب أو فاكهة أو غير ذلك اشتراه، فأهداه النبي .

---

(١) هو سويبط بن سعد بن حرملة بن مالك بن عميلة بن السباق بن عبد الدار بن قصي بن كلاب أبو حرملة القرشي العبدري له صحبة من سيدنا رسول الله ، وهاجر الهجرتين، وشهد بدراً، وقيل: إن اسمه سليط، وهو صاحب القصة المشهورة مع نعيمان لما خرجا مع أبي بكر الصديق رضي الله عنهم في تجارة إلى بصرى قبل فتح الشام. مختصر تاريخ دمشق، ٣ /٤١٩، الإصابة في تمييز الصحابة، ٣ /٢٢٢.

وكان فقيراً، فإذا كان من آخر النهار راح إلى النبي ومعه صاحب الحق، فيقول؛ يا نبي الله، أعط هذا حقه من ثمن كذا وكذا، فيقول له النبي :**أو ما أهديته إلينا يا نعيمان؟** فيقول: والذي بعثك بالحق، ما معي قليل ولا كثير، ولقد رأيته فلم تطب نفسي أن أجوزه وأدعه، أو يشتريه أحد فيأكله قبل رسول الله .

قال: فيضحك رسول الله ، ويأمر بدفع حق الرجل إليه.

وكان مخرمة بن نوفل بن أهيب الزهري بالمدينة، وهو شيخ كبير أعمى، وكان قد بلغ مئة وخمس عشرة سنة، فقام يوماً في المسجد يريد أن يبول، فصاح به الناس، فأتاه نعيمان فتنحى به ناحية من المسجد، ثم قال: اجلس ههنا، فأجلسه يبول، فلما أجلسه وبال، ذهب وتركه، فصاح به الناس، فلما فرغ قال: من جاء بي، ويحكم إلى هذا الموضع؟ قالوا: نعيمان بن عمرو، قال: فعل الله به وفعل، أما إن لله علي إن ظفرت به أن أضربه بعصاتي هذه ضربة تبلغ منه ما بلغت.

فمكث ما شاء الله حتى نسي ذلك مخرمة، ثم أتاه يوماً وعثمان قائم يصلي في ناحية من المسجد، وكان عثمان إذا صلى لا يلتفت، فقال له: هل لك في نعيمان؟ قال: نعم، أين هو؟ دلني عليه، فأتى به حتى أوقفه على عثمان، فقال: دونك هذا هو، فجمع مخرمة يديه بعصاه فضرب عثمان فشجه.

فقيل له: إنما ضربت أمير المؤمنين عثمان، فاجتمع بنو زهرة في ذلك، فقال عثمان: دعوا نعيمان، لعن الله نعيمان.

توفي نعيمان في خلافة معاوية، ولم يعقب[1].

* * *

(١) ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، ٨ /٢٨، المعافى بن زكريا، الجليس الصالح والأنيس الناصح، ص ٢٠٩.

جُحـا

أعـلام الظرفـاء

جُحـــا

هو جحا الكوفي الفزاري، واسمه دجين بن ثابت اليربوعي وكنيته أبو الغصن،كانت أمه خادمة لأم (أنس بن مالك) ويقال: أنه كان في الكوفة إبان ثورة أبي مسلم الخراساني، وأدخله عليه مولاه يقطين فقال: يا يقطين أيكما أبو مسلم؟ وكان الجاحظ أول مؤلف عربي ذكر جحا في مؤلفاته، ذكره في رسالة عن علي والحكمين، وذكره في كتاب البغال.

وجحا شخصية فكاهية حقيقية، لكنها سرعان ما انفصلت عن واقعها التاريخي، وأصبحت رمزًا فنيًا، ونموذجًا نمطيًا للفكاهة في التراث العربي. ومن هنا قيل على لسانه آلاف النوادر أو الحكايات المرحة، على مر العصور. لقد نسي الناس جذوره التاريخية، ولكنهم لم ولن ينسوا أبدًا أسلوبه الضاحك وفلسفته الساخرة.

وعلى الرغم من كثرة أعلام الفكاهة في التراث العربي، فإن جحا يبقى أشهر شخصية نمطية فكاهية، لاتزال حيّة فاعلة ـ حتى اليوم ـ في الذاكرة الجمعية العربية، الأدبية والفولكلورية والثقافية. وشهرته الفنيِّة لا تلغي الدور التاريخي الذي يؤكد أن جحا شخصية حقيقية. فهو أبو الغصن دُجَيْن ابن ثابت الفزاري، ولقبه جحا، وقد عرف بين معاصريه بالطيبة والتسامح الشديدين، وأنه كان بالغ الذكاء، وتنطوي شخصيته على قدر كبير من السخرية والفكاهة. ووسيلته إلى ذلك ادّعاء الحمق والجنون، أو بالأحرى التحامق والتباله في مواجهته لصغائر الأمور اليومية، استعلاء منه على حياة فانية، وشعورًا بعبثية الصراع الدنيوي، وإحساسًا بالجانب المأساوي للوجود الإنساني (الموت) في وقت معًا. ولذلك لا غرو أن يعمّر جحا، وأن يعيش مائة سنة، كما يقول الجاحظ. وقد شهدت الفترة التاريخية التي عاصرها جحا أحداثًا جسامًا كان لها أبعد الأثر في أسلوبه وفلسفته في الحياة والتعبير، منها مأساة السقوط الدموي للدولة الأموية، وهيمنة الدولة العباسية ـ بقوة السيف ـ على مقدرات الأمور العربية

الإسلامية، وسط مناخ ثقافي حافل آنذاك بالصراع السياسي والعسكري والمذهبي والعرقي[1].

وفي مثل هذه الظروف التاريخية الاجتماعية حدث أن استدعى أبو مسلم الخراساني ـ عندما نزل الكوفة ـ جحا لشهرته، عسى أن يظفر منه بطرفة أو فكاهة في خضم حروبه الدموية، فخشى جحا على نفسه، وادعى الحمق والجنون في حضرته. وبالرغم من ذلك فقد أعجب به أبو مسلم، وحدث عنه الخليفة العباسي أبا جعفر المنصور، الذي بادر فاستدعاه إلى دار الخلافة في بغداد لعله يصلح نديمًا أو مضحكًا (مهرجًا) في بلاطه. وقد أدرك جحا عاقبة مثل هذا الدور وهامشيته ومخاطره وقيوده، فما هو بمهرج وما ينبغي له أن يكون كذلك. فتمادى في ادعائه الحمق والجنون حتى أفرج عنه المنصور بعد أن أجزل له العطاء. وكان لمثل هذا اللقاء أثره البالغ أيضًا في ازدياد شهرته، وطلب الناس له في مجالسهم، والإغداق عليه. وهم سعداء به وبنوادره، وبرؤيته الساخرة للحياة والأحياء جميعًا، وهنا قال جحا قولته الساخرة المشهورة: " حُمْق يعولني خيرٌ من عقلٍ أعوله ".

ومن الطريف الدال على أن جحا استمرأ هذا الأمر ـ التغابي أو التحامق ـ ما دام يعفيه من تبعات الناس، ويتيح له قدرًا كبيرًا من الشجاعة في قول الحق، وحكمة الرأي وأن يكون صريحًا في التعبير عن نفسه، أنه دائمًا يستسلم لرغباته في لحظاته، وإنْ اتهمه الناس بالحمق والجنون ـ فليس ثمة عندئذ من حرج ـ مما يجعله بريئًا من الخوف أو الكبت وقادرًا على قول " المسكوت عنه " دائمًا، اجتماعيًا وأخلاقيًا وسياسيًا وإنسانيًا.

وشرع اسمه يتردد في أدبيات القرنين الثاني والثالث للهجرة، مقرونًا ببعض النوادر، كما ذكر الجاحظ، ولكن ما نكاد نصل إلى القرن الرابع

(١) انظر: الموسوعة العربية العالمية.

الهجري حتى تكون نوادره المتواترة شفهيًا قد عرفت طريقها إلى التدوين في أسواق الوراقين باسم كتاب نوادر جحا الذي كان من الكتب المرغوب فيها على حد تعبير ابن النديم في الفهرست. ومن أقدم التراجم التاريخية التي وصلت إلينا عن جحا، تلك الترجمة الضافية التي ذكرها الآبي (المتوفي سنة ٤٢١هـ، ١٠٣٠م) في موسوعته نثر الدر. ثم توالت التراجم له في كثير من المصادر الأدبية والتاريخية اللاحقة. وعلى الرغم من أنها أجمعت على الوجود التاريخي لهذه الشخصية، فإنها أنكرت عليه كل ما روي عنه من نوادر بلغت من الكثرة حدًا يستحيل ـ زمانًا ومكانًا ـ أن تكون جميعًا متصلة به، بل ذكر الآبي صراحة: " أن له جيرانًا كانوا يضعون عليه هذه النوادر " أي يؤلفونها وينسبونها إليه، بل أضافوا إليه أيضًا ـ كما يقول ـ نوادر غيره من نوادر الحمقى والمغفلين والأذكياء وعقلاء المجانين وأمثالها من النوادر الذائعة في التراث العربي. وهذا يعني أن الوجدان الشعبي العربي قد انتخب جحا رمزًا لكل ضروب الفكاهة، خاصة بعد أن تَزَيَّدَ الناس عليه، فنسبوا إليه، على مر العصور، آلاف النوادر حتى ليقول عباس محمود العقاد في كتابه جحا الضاحك المضحك عبارة طريفة ذات دلالة، هي أن جحا لو تفرغ في حياته لصناعة النوادر التي نسبت إليه، لمات قبل أن تنفد روايتها أو ينتهي هو من إبداعها. ومعني هذا أن جحا انفصل عن واقعه التاريخي وتحول إلى رمز فني استقطب معظم ما قيل من نوادر التراث العربي، الذائعة، وما أكثرها! بل شرع الشعب العربي، على تعدد أقطاره، يؤلف ما يؤلف من نوادر وينسبها إلى جحا على مر العصور.

وهذا يعني أن المأثور الجحوي الذي لايزال يتنامى حتى اليوم، لم يكن ـ بداهة ـ من تأليف جحا أو إبداعه، بل كان تعبيرًا جَمْعِيّاً من إبداع الشعب العربي بعامة، ترسيبًا للتجربة ونزوعًا إلى السمر في وقت ما. فأعلن المجتمع الشعبي على لسان جحا تأملاته في الحياة والأحياء، وجسّد

تصوراته السياسية والاجتماعية والدينية، بما في ذلك " المسكوت عنه " وصاغ رؤيته للعالم، ونظرته للقيم والمثل العليا، كما ينبغي أن تكون، وذلك في صياغة أدبية جمالية، ذات قالب سردي أو شكل فني متميز هو فن الحكاية المرحة أو ما عرف في تراثنا الأدبي باسم النوادر.

غير أن النقلة النوعية الكبرى في حياة النموذج الجحوي تحققت في القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي)، عندما دخل العرب تحت السيادة العثمانية، حيث استهوى الأتراك آنذاك هذا النموذج الجحوي العربي، فقاموا بنقل نوادره وترجمتها إلى التركية، ونسبتها إلى شخصية تركية شبيهة بالنموذج العربي، اشتهرت أيضًا بميلها للدعابة، وجنوحها إلي السخرية، وحبها للفكاهة، هي شخصية الخوجة نصر الدين، الذي كان معلمًا وفقيهًا وقاضيًا. وقد قُدّر له أن يلتقي ـ تاريخيًا ـ بتيمورلنك الطاغية المعروف؛ وأن تكون بينهما من المواقف والطرائف ما يعكس حمق هذا الطاغية وظلمه وجبروته ضد المستضعفين أفرادًا وجماعات.

وفي ضوء اتصال الثقافتين الإيرانية والتركية إبان العصور الوسطى، ادّعى الإيرانيون أيضًا لأنفسهم هذه الشخصية، وأطلقوا عليها اسم المُلاّ نصر الدين وزعموا أنها إيرانية لا تركية، ونسبوا إليها النوادر الجحوية، التركية والعربية معًا، فازدادت هذه الشخصية الفكاهية ثراء وشهرة وذيوعًا في تركيا وإيران، إلى جانب شهرته العربية بطبيعة الحال لكونه النموذج الأصل. وغدت هذه النماذج الجحوية الثلاثة جزءًا من التراث الشعبي الإسلامي، وعبر هذا التراث ـ عربيًا وتركيًا وفارسيًا ـ استطاع جحا العربي أن يعرف طريقه، باسمه وبنوادره معًا أو بنوادره دون اسمه، إلى الآداب العالمية، خاصة في إفريقيا وأوروبا وروسيا وبلاد البلقان والصين وغيرها. وذلك في الوقت الذي تجاهلت فيه ثقافتنا الرسمية السائدة حديثًا هذا النموذج الفني الإنساني، وغابت عنا أصوله العربية خاصة عندما شرع الناشرون العرب في طباعة كتب التراث

العربي، فذكروا في فهارسها ـ كلما ذكر جحا العربي ـ أنه المعروف باسم الخوجة نصر الدين. ولما جمعوا هذه النوادر في كتب مستقلة أذاعوها بين الناس تحت عنوان نوادر جحا الكبرى الشهير بنصرالدين خوجة إما جهلاً بأصوله العربية ونوادره الذائعة في كتب التراث العربي المدونة قبل ظهور الدولة العثمانية ذاتها، وهو الأرجح، وإما مجاملة لثقافة الطبقة التركية السائدة خلال القرون الأربعة الأخيرة التي كان العالم العربي فيها تابعًا للخلافة العثمانية.

ولما كان المجتمع الشعبي العربي لا يحفل بتراثه الشعبي إلا بقدر ما يحقق له هذا التراث من وظائف حيوية، فكرية وجمالية، فإنه ظل يردد ـ في موروثه الشعبي الشفهي ـ نوادر النموذج الجحوي العربي، بل صار كل قطر عربي يدعيه لنفسه، حتى بات هناك جحا المصري، وجحا الليبي، وجحا السوري، وجحا العراقي، وهكذا. واختلط الأمر على المثقفين العرب، ودبّجوا الكتب والمقالات في جحا الإقليمي، دون أن ينتبهوا أو يتبينوا أصوله العربية القومية الأساس. لكن الدراسات الفولكلورية المعاصرة أثبتت أنه ما من قطر عربي إلا وعرف النموذج الجحوي (العربي / القومي) بسَمْتِه وملامحه، وأسلوبه وفلسفته في الحياة والتعبير، فعرف فيه " صمام أمان وعصا توازن " في خضم تحدياته ومعوقاته ـ وتمثّلَ نوادره زادًا فنيًا ونفسيًا بعيد الأثر قد يدفعه إلى الابتسام والسخرية، وقد يدفعه إلى الضحك والدعابة، لما فيها من انحراف عن المألوف أو تلاعب باللفظ أو خطأ في القياس. ولكننا لو تجاوزنا قشرتها الخارجية، وتأملناها من الداخل لوجدناها وسيلة حيوية من وسائل الدفاع عن الذات العامة، مؤكدة ـ بالتناقض الظاهر أو الخفي ـ القيم الإنسانية العليا، والغايات القومية، التي تعمل الجماعة أو الأمة العربية على تحقيقها. وهذا الدور الوظيفي للنوادر في الثقافة الشفهية أقرب ما يكون إلى الدور الذي يلعبه الكاريكاتير المعاصر، في الثقافة والصحافة

المعاصرة.

وتتمثـل عبقريــة " الفلـسفة الجحويــة " أو بـالأحرى عبقريــة الـشعب العربي الذي أبدع هذه الشخصية الجحوية، في أمرين: أحدهما في أسلوب هذه الشخصية في المواجهة، حين اكتشفت بعبقريتها أن الماسأة يمكن أن تتحول إلى ملهاة، في ضوء الحالة النفسية التي نواجه منها وقائع وأعباء الحياة، فاندماج الإنسان ـ كما نعلم ـ في بؤرة الحدث أو الموقف يضنيه، وخروجه منه وفرجته به يسري عنه، وقد يضحكه، وهكذا استطاع جحا أن يكابد الحياة، ويضطرب فيها، وأن يخلق من نفسه شخصًا آخر بعيدًا عن الأول، يتفـرج بـه ويـسخر منـه. وهكـذا تحولـت المآسـي عنـده إلـى طرائف وملح ـ ذات طابع إنساني ـ تخفف عنه وتسري عن أفراد الشعب العربي تأسيًا به، الأمر الذي دفع الوجدان الشعبي إلى أن يسلك جحا ـ الواقع والرمز ـ مسلك الحكماء، في تعبيره الفني والأدبي. والآخر، فـي " تنميط " هذه الشخصية. فلم يكن الحمق أو الغباء السمة الغالبـة عليـه، ولكنه التحامق أو الذكاء الباحث عن جوهر الحقيقة. ولهذا لم يكن جحا مخبولاً أو نـاقص العقل ـ كمـا يتوهم ـ ولكنـه كـان الإنسان الذي يتنـاول الأمور ـ مهما بدت معقدة أو تظاهرنـا نحن بتعقيدها ـ من أقرب الزوايا إلـى الحق والواقع، فيبدو مناقضًا لصنيع الآخرين الذين لا يتصورون الحق قريبًا ويمدون أبصارهم إلى بعيد.

وقد ذهب القدماء إلى تصنيف نوادر جحا المدونة إلى قسمين كبيرين، أحدهما نوادر الحمق والجنون ـ حيث الحمق أو الجنون هنـا تعبير دلالـي يـستدعي نقيـضه (فـضيلة الـذكاء والتعقـل)، أو لغـة إرشـادية دالـة تبـوح بالمـسكوت عنــه (مـن حماقـات النــاس). والآخـر نـوادر الـذكاء. ولكـن المحدثين ذهبوا إلـى تـصنيف المـأثور الجحـوي الـشفاهي والكتـابي، طبقًـا لمحتـواه الـدلالي: فهنـاك النـوادر الـسياسية التـي تتنـاول علاقـة المجتمـع الشعبي بالسلطة الحاكمة (الـسلطان - القـضاء - الأمـن الـداخلي) وخاصـة

في عصور القهر العسكري والكبت السياسي، وفي عصور التحول التاريخي والاجتماعي وما تمور به من متناقضات اجتماعية ونفسية، وانحرافات سياسية واقتصادية. والمتأمل لما أثر عن جحا من نوادر سياسية، قالها الشعب العربي على لسان جحا، يراها تشكل في مجملها ـ أسلوبًا ووظيفة ـ بابًا واسعًا من أبواب النقد السياسي في الأدب العربي عامة والأدب الشعبي خاصة، فلا غرو أن يستمر احتفاء الوجدان القومي بهذه النوادر الجحوية على مر العصور، وأن يظل معتصمًا بها، كلما حزبه أمر أو حفزه موقف، في تلك المعركة الأزلية بين القوى السياسية والشعب الأعزل، وما ينشأ بينهما من علاقات سلبية، نتيجة حتمية لغياب القانون، وانحراف القضاء، واختلال ميزان العدالة في فترات تارتيخية مختلفة. ليس فقط من قبيل نقد الوضع القائم، وفضح المسكوت عنه ـ عندما يعِزُّ القول ـ بل أيضًا للقيام بدور " تعويضي " حيث النادرة السياسية هنا بمثابة " تنفيس " عن قهر سلطوي ضاغط، وتهدف إلى التخفيف من المخاوف، حيث يغدو الظالمون موضوعًا للضحك والسخرية، وعندئذ يخف العداء للتسلط، نصغره فنكبر، ونحقره فنرد لذواتنا الاعتبار. فالضحك رفض للظلم، وهذه هي الوظيفة السياسية للنادرة الجحوية. ومن الجدير بالذكر أن كثيرًا من النوادر السياسية الذائعة في المأثور الجحوي الشفهي الحديث لم تعرف طريقها إلى التدوين، بسبب حذر الناشرين من طباعتها ونشرها.

وهناك النوادر الاجتماعية، وهي من الكثرة بمكان، ولاتزال تتنامى إبداعًا وتذوقًا حتى الآن، وتتعاظم وظائفها الحيوية في نقد الواقع الاجتماعي، وما يمور به من سلبيات في القول والفعل والسلوك، مما هو سائد في حياتنا اليومية. ولهذا لم تشأ الأمة العربية أن تجعل هذه الشخصية التي أبدعتها بعبقريتها سلبية أو منعزلة، وإنما جعلتها شخصية رجل عادي من الناس، له مشاعرهم ومواقفهم وتجاربهم، وآمالهم

وآلامهم، عليه أن يسعى ـ في سبيل العيش ـ كما يسعى غيره، ويختلف إلى الأسواق، ويرحل إلى الأمصار، ويلتقي بالحكام ويتحدث إلى العامة. وهو رب أسرة، له زوج، بينه وبينها ما يكون بين الرجل وصاحبته من الأحداث والمواقف، وله معها نوادر تجسم فلسفته الخاصة في الحياة، بل تجسم ما يريده الشعب العربي من ترسيب التجربة ونقد الحياة الاجتماعية، واتصلت حياة جحا، فكان له ابن ينشئه بحكمته ويحاوره بفكاهته وسخريته، وكأنما أراد أن تمتد حياته وفلسفته أجيالاً متعاقبة. بل سوف نرى أن هذه الشخصية الساخرة تؤكد بدورها وحدة الحياة عند الأمة العربية، فلم تقتصر مواقف جحا على علاقاته بالناس، وخير ما يصور ارتباط جحا بالأحياء تعاطفه مع حماره الذي ارتقى به حتى جعل منه صديقًا أو شبه صديق، يتحدث إليه ويصب في أذنيه سخرياته اللاذعة من الحياة والأحياء. وبهذا يتكامل الثالوث الجحوي الشهير (امرأة جحا، ابنه، حماره).

ومن الجدير بالذكر أن الشعب العربي في نقده لجوانب الحياة الاجتماعية على لسان جحا، الذي سلك في ذلك مسلك الفكاهة، إنما كان يرى في ذلك التهكم الساخر ضربًا من الثأر السلمي أو القصاص العادل أو الجزاء الاجتماعي الذي تنتقم به الجماعة أو الأمة لنفسها من الخارجين على معاييرها ومثلها وقيمها، بغية الدفاع عن الذات العامة، وحفاظًا على تماسكها، وتعضيدًا لهويتها القومية. ذلك أن النوادر الجحوية بتركيزها على الجانب السلبي في الحياة والمجتمع، لا تنتقم أو تهجو فحسب، بل تعالج وتخفف من التوتر الداخلي، وتحد من مخاوف الجماعة أو الأمة، وتعيد اعتبار الذات للذات.

ومن اللافت للنظر، أن المأثور الجحوي بعامة، لم يكن وقفًا على النقد السياسي أو الاجتماعي فحسب، بل أدى وظائف أخرى، نفسية وجمالية، بالضرورة. فالنوادر الجحوية ليست إلا تعبيرًا عن واقع نفسي وخارجي

معًا، في بنية واحدة متعاضدة، إنها هنا تسخر، تنتقد، تنتقم، تفرج، تسرِّي، فهي تنفيس وتفريغ لشحنات انفعالية سالبة. وتأتي النوادر الجحوية ـ في وظائفها الجمالية والإمتاعية ـ تحقيقًا للجانب الباسم في مسرح الحياة، باعتبارها رواية هزلية كبرى كما يقال، وغايتها عندئذ التسلية والإمتاع، إما تحقيقًا لهذا الجانب الباسم من الحياة (ابتسم تبتسم لك الحياة)، وإما تسرية وترفيهًا وتفريجًا عن بعض كرب الحياة وضنك العيش (شر البلية ما يضحك). وبذلك تمنحنا هذه النوادر قدرًا من " التطهير " النفسي الذي يزود المرء أو الجماعة بقوة التحمل والصبر والتفاؤل في خضم الإحباط الفردي أو الجمعي (القومي) وكأنها جرعة إنقاذية وتنشيطية غايتها " تطعيم " الناس ضد واقع محبط، وراهن جارح، وبذلك تضفي هذه النوادر الجحوية على الحياة والواقع قدرًا من التجميل الخيالي والتطهير النفسي الذي يحتاجه الناس كثيرًا[1].

مواقف من حياته:

ليس يعرفك إلا سليمان بن داود الذي حبسك:

تأذى أبو الغصن جحا بالريح مرة فقال يخاطبها: ليس يعرفك إلا سليمان ابن داود الذي حبسك حتى أكلت خراك [2].

كل شيء لا تأخذه اليد لا يفقد:

وخرج يوما من الحمام في يوم بارد فضربته الريح فمس خصيتيه فإذا إحدى بيضته قد تقلصت فرجع إلى الحمام وجعل يفتش الناس، فقالوا: ما لك؟ فقال: قد سرقت إحدى بيضتي ثم إنه دفئ وحمي فرجعت البيضة

---

(١) انظر: الموسوعة العربية العالمية، الأعلام للزركلي، ٢ /١١٢، الصحاح للجوهري: مادة: غصن، الفهرست لابن النديم، ص ٤٣٥، أخبار الحمقى والمغفلين لابن الجوزي، ص ٢٥، ميزان الاعتدال، ٢ / ٣٢، حياة الحيوان للدميري، ١ / ٢٧٣، ثمرات الأوراق لابن حجة الحمري، ١ / ١٦٢، تبصير المنتبه لابن حجر، ٢ / ٥٥٨، سير أعلام النبلاء، ٨ /١٧٣.

(٢) ابن الجوزي، أخبار الحمقى والمغفلين، ص ٤٥.

فلما وجدها سجد شكرا لله وقال: كل شيء لا تأخذه اليد لا يفقد.

ويستريح من ضغطة القبر ومسألة منكر ونكير:

ومات جار له فأرسل إلى الحفار ليحفر له فجرى بينهما لجاج في أجرة الحفر، فمضى حجا إلى السوق واشترى خشبة بدرهمين وجاء بها فسئل عنها فقال: إن الحفار لا يحفر بأقل من خمسة دراهم وقد اشترينا هذه الخشبة بدرهمين لنصلبه عليها ونربح ثلاثة دراهم ويستريح من ضغطة القبر ومسألة منكر ونكير.

وحكي أن جحا تبخر يوما فاحترقت ثيابه فغضب وقال: والله لا تبخرت إلا عريانا.

وهبت يوما ريح شديدة، فأقبل الناس يدعون الله ويتوبون فصاح جحا: يا قوم لا تعجلوا بالتوبة وإنما هي زوبعة وتسكن.

يحفر له آبار ونكبسه فيها:

وذكر أنه اجتمع على باب دار أبي جحا تراب كثير من هدم وغيره فقال أبوه: الآن يلزمني الجيران برمي هذا التراب واحتاج إلى مؤنة وما هو بالذي يصلح لضرب اللبن، فما أدري ما أعمل به، فقال له جحا: إذا ذهب عنك هذا المقدار، فليت شعري أي شيء تحسن فقال أبوه: فعلمنا أنت ما تصنع به، فقال يحفر له آبار ونكبسه فيها (١).

يخاف أن يطلب مني الأجرة:

واشترى يوما دقيقا وحمله على حمال فهرب بالدقيق، فلما كان بعد أيام رآه جحا فاستتر منه فقيل له: ما لك فعلت كذا، فقال: أخاف أن يطلب مني الأجرة.

باعه صاحبه بالبراءة من كل عيب:

ووجهه أبوه ليشتري رأسا مشويا فاشتراه وجلس قي الطريق فأكل

(١) ابن الجوزي، أخبار الحمقى والمغفلين، ص ٤٦.

عينيه وأذنيه ولسانه ودماغه وحمل باقيه إلى أبيه، فقال: ويحك ما هذا؟ فقال: هو الرأس الذي طلبته قال فأين عيناه، قال: كان أعمى؟ قال: فأين أذناه؟ قال: كان أصم، قال: فأين لسانه؟ قال: كان أخرس، قال: فأين دماغه؟ قال: فكان أقرع، قال: ويحك رده وخذ بدله، قال: باعه صاحبه بالبراءة من كل عيب (١).

وحكى أن جحا دفن دراهم في الصحراء وجعل علامتها سحابة تظلها.

ومات أبوه فقيل له اذهب واشتر الكفن، فقال: أخاف أن أشتري الكفن فتفوتني الصلاة عليه.

وحكى أن المهدي أحضره ليمزح معه، فدعا بالنطع والسيف، فلما أقعد في النطع قال للسياف: انظر لا تصب محاجمي فإني قد احتجمت.

ورأوه يوما في السوق يعدو فقالوا: ما شأنك، قال: هل مرت بكم جارية رجل مخضوب اللحية.

ومر بقوم وفي كمه خوخ فقال: من أخبرني بما في كمي فله أكبر خوخة، فقالوا: خوخ، فقال: ما قال لكم هذا إلا من أمه زانية.

وسمع قائلا يقول: ما أحسن القمر، فقال: أي والله خاصة فى الليل.

لئلا يختلط الحنطة بالشعير:

وقال رجل: أتحسن الحساب بأصبعك؟ قال: نعم، قال: خذ جريبين حنطة فعقد الخنصر والبنصر، فقال له: خذ جريبين شعيرا، فعقد السبابة والإبهام وأقام الوسطى، فقال الرجل: لم أقمت الوسطى، قال: لئلا يختلط الحنطة بالشعير.

بمائة درهم:

ومر يوما بصبيان يلعبون بصقر ميت فاشتراه منهم بدرهم وحمله

(١) ابن الجوزي، أخبار الحمقى والمغفلين، ص ٤٦.

إلى البيت فقالت أمه: ويحك ما تصنع به وهو ميت، فقال لها: أسكتي فلو كان حيا ما طمعت في شرائه بمائة درهم [1].

أصحاب النذور يعطون لا يأخذون:

وقال جحا لأبي مسلم صاحب الدعوة: إني نذرت إن رأيتك أن آخذ منك ألف درهم. فقال: رأيت أصحاب النذور يعطون لا يأخذون، وأمر له بها.

يا بني لا تقم الصلاة فإني على غير وضوء:

وحكي عن جحا أن أباه قال له: دع ما أنت عليه من الجنون والمجون والخلاعة واتزن حتى أخطب لك بعض بنات أهل الثروة والشرف. فقال: نعم يا أبتاه، فتزيّن وتبخر وصار إلى مجمع الناس فقعد وهو صامت وقد حضر أشراف الناس وعظماؤهم، فقال له أبوه: تكلم يا بني، فقال: الحمد لله، أحمده وأستعينه حي على الصلاة حي على الفلاح. فقال أبوه: يا بني لا تقم الصلاة، فإني على غير وضوء.

سحابة في السماء كانت تظلها:

ومن حمقه، أن موسى بن عيسى الهاشمي مر به يوماً وهو يحفر بظهر الكوفة موضعاً، فقال له: ما بالك يا أبا الغصن لأي شيء تحفر؟ فقال: إني دفنت في هذه الصحراء دراهم ولست أهتدي إلى مكانها. فقال له موسى: كان ينبغي أن تجعل عليها علامة، قال: لقد فعلت، قال: ماذا؟ قال: سحابة في السماء كانت تظلها، ولست أدري موضع العلامة الآن.

هل كان لصاحبكم قرون:

ومن حمقه أيضاً أنه خرج يوما بغلس، فعثر في دهليز منزله بقتيل، فألقاه في بئر هناك، فعلم به أبوه فأخرجه ودفنه، ثم خنق كبشاً وألقاه في البئر، ثم إن أهل القتيل طافوا في سكك الكوفة يبحثون عنه، فتلقاهم جحا

---

(١) ابن الجوزي، أخبار الحمقى والمغفلين، ص ٤٧.

وقال: في دارنا رجل مقتول فانظروا لعله صاحبكم، فغدوا إلى منزله، فأنزلوه في البئر، فلما رأى الكبش، ناداهم هل كان لصاحبكم قرون. فضحكوا منه وانصرفوا.

أيكما أبو مسلم؟!:

ومن حمقه أيضاً أن أبا مسلم الخراساني، صاحب الدعوة، لما ورد الكوفة، قال لمن حوله: أيكم يعرف جحا فيدعوه إلي؟ فقال يقطين: أنا. فخرج ودعاه، فلما دخل لم يجد في المجلس غير أبي مسلم ويقطين، فقال جحا: يا يقطين أيكما أبو مسلم؟!

المعارض مع أمِّه:

جفا جحا أمه فقال: هذا جزائي وقد حملتك في بطني تسعة أشهر؟ فقال: ادخلي في استي حتى أحملك سنين وخلصيني.

وليس للثالثِ شيءٌ:

قيلَ لجحا: أتعلمتَ الحسابَ؟ قال: نعمْ. فما يُشكلُ على شيءٌ منه. قال له: اقْسم أربعة دراهَم على ثلاثة. فقال: لرجلين درهمان، درهمان، وليس للثالثِ شيءٌ.

رأيتم جنازة جارية حبشية:

وماتت لأبيه جاريةٌ حبشية: فبعثَ به إلى السُّوق ليشتري لها كفناً، فأبطأ عليه حتى أنفذ غيره، وحمل الكفن، وحُمِلتْ جِنازتُها، فجاء جُحا - وقد حُملتْ - فجعل يعدو في المقابر، ويقول: رأيتم جنازة جارية حبشية، كفنُها معي؟

في حاجةٍ للبغْلةِ:

وجمحت به بغلةٌ يوماً، فأخذتْ به في غير الطريق الذي أرادَه، فلقيه

صديقٌ له. فقال: أينَ عزمْت يا أبا الغصن؟ فقال: في حاجةٍ للبغْلةِ [١].

باركَ اللهُ لنا في الموت وفيما بعدَ الموتِ:

ومرت بـه جنـازة، فقـالَ: بـارك اللهُ لنـا فـي المـوت وفيمـا بعدَ المـوتِ. فقيل: إنـها جنازةُ نَصْراني. فقال: إذنْ لا بارك اللهُ لنا في الموتِ، ولا فيما بعد الموت.

ما لكُم؟:

وكانتْ لهم جاريةٌ يقال لها عميرةُ، فضربتْها أمُّه ذات يوم، وصـاحتِ الجاريةُ واجتمع الجيرانُ على الباب. فخـرجَ إليهم، وقـال: مـالكُم؟ عافـاكم الله. إنمـا هي أمي تجْلد عميرةَ.

فما سالَ منه شيءُ [2]:

وصلى بقوم - وفي كُمِّهِ جَرْو كلب - فلما ركَع سقط الجروُ، وصـاح، وتنحنْح. فالتفتَ إليهم، وقال: إنَّه سلُوقُّي عافاكم الله. وحمل جرةً خضراء إلى السوق يبيعُها. فقـالوا: هـي مثقوبـةٌ. فقـال: لـيس تـسيل، فإنَّـه كـان فيهـا قُطنٌ لوالدتي. فما سالَ منه شيءُ.

وأعطاه أبوه درهما يزنُه، فطرحَهُ في الكِفة، وطرَحَ في الكِفة الأخرى سنجة درهمين، وهو يحسبهما سَنْجة درهم، فلم يستويا، فطرح سنجة الدِّرهم على رأس الدِّرهم، فكانَ أقلَّ، فطرح حبتين أيضاً، ثم قـال لأبيـه: ليس في شيء، وينقُص حبتين.

احفَظ الباب:

وذهبتْ أمُّه في عرس، وتركتْـهُ فـي البيْتِ، وقالـتْ لـه: احفَظ البـاب. فجلَـس إلــى الظهـر. فلمــا أبطــأتْ عليـه قـامَ، فقلَـع البــابَ، وحملَـه علــى

---

(١) الآبي، نثر الدر،٥ /٢٠٧.

(2) تجلد عميرة: يكنّى بها العرب عن الاستمناء.

عاتِقِه[1].

الموضع أقرب:

وأراد جحا الخروجَ إلى ضيعةٍ، فقيلَ له: أحْسنَ الله صَحَابتَك: فقال: الموضعُ أقربُ مِنْ ذاك.

فأخبـزوه:

وعُجنَ في منزلِه، فطلبوا منْه حطباً. فقالَ: إنْ لم يكُن حطبٌ فأخُبزوه فطِيرا.

كان فيها دِرْهم ثقيلٌ:

ولما حذق الكتابة والحسابَ بعث به المعلم مع الصبيان إلى أبيه. فقال له أبوهُ كمْ عشرين في عشرين؟ فقال: أربعين ودانقين. فقال وكيف صارَ فيه دانقين؟ قال: كان فيها دِرْهم ثقيلٌ.

رؤوس الحق:

أكلَ جحا يوما مع قوم رؤساً، فلما فرغ من الأكل دعا للقوم، وقال: أطْعمكُم اللهُ مِنْ رؤوس أهل الجنة.

بقاء أمه:

وماتتْ أمه فجعلَ يبكي، ويقولُ: رَحمك الله فلقدْ كان بابُكِ مفتوحاً، ومتاعك مبذُولاً.

اسكتي أنا أبي:

دخلَ البيتَ وإذا جاريةٌ أبيه نائمةٌ، فاتكأ عليْها، فانتبَهتْ، وقالتْ: من ذا؟ قال: اسكُتي أنا أبي[2].

حتى يصْطلُوا بهذه النار:

(١) الآبي، نثر الدر،٥ /٢٠٨.
(٢) الآبي، نثر الدر،٥ /٢٠٩.

وبات ليلةً مع صبيانٍ له، فجعلوا يفُسون. فقال لامرأته: هذا - واللهِ - بليةٌ. قالت دَعْهم يفْسون فإنَّه أدفأ لهم. فقام وخرى وسطَ البيت، ثم قال: أنْبهى الصبيانَ حتى يصْطلُوا بهذه النار.

الوجه المستطيل:

قيل له: ما لوجهك مستطيلاً؟ قال: ولدتُ في الصيفِ، ولولا أن الشتاء أدركهُ لسال وجهي.

أصل تينك:

وكَانَ فِي دارهم شجرةُ تين، وكانتْ الدار لأمه. فدعا أبوه قوماً فسكِروا، وجعلوا يبولون فِي البستان. فقال لأمه: يَا أمه: هو ذي يبولون فِي أصْل تينك.

لا تحملوها:

وماتت ابنةٌ له فذهب ليشتري لها كفناً، فلما بلغ البزازين رجع مسرعاً فقال: لا تحملُوها حتى أجيءَ أنا.

في مجلة بني فلان:

ومرَّ في الميدانِ فرأى قصرا مشرفاً، فوقف ينظر إليه، ويتأمْله طويلاً، ثم قال أتوهمُ أني رأيتُه في مَجلَّةِ بني فُلان.

لكسرت أنفك:

ودخل البستان فتعلَّق ثوبُه بشجرة، فالتفت، وقال: لولا أنك بهيمة لكسرتُ أنْفك.

ويطفو فوق الماء:

وخرج يوما ومعه أناء يستقي فيه مِن ماء النهر، فسقط مِنْ يده وغرق فَقعد على شطِ النهر، فمرَّ به صاحبٌ له، فقال: ما يُقعِدك ها هُنا؟ قال: إناء لي قدْ غرق وأنا أنْتظِر أنْ ينتَفخَ ويطفُو فوقَ الماء.

ومن أين لك خردل تأكله به:

واشترى يوماً نقانق فانقض عليه عقابٌ، وانتسفَ بعض النقانِق فَطَار به فنظَرَ إليه، وقال: يا شقيٌّ. ومن أين لك خَردَلٌ تأكلُه به؟؟

بقي الطي:

وأسلمثه أمُّه في الخياطين، فقالتْ له بعْد حَولين: تعلمت شيئًا؟ قال: نعمْ. تعلمت نصْفَ العمل. قيل: وما تعلَّمتَ؟ قال: تعلمتُ النشرَ، بقي الطيُّ.

خشيت أن أوجعه:

وتعلَّق بلص في بعض الليل، فصاح اللصُّ: قُرحتي. فخلاهُ حتى مر، وقال: خشيتُ أنْ أوجعهُ [1].

إن صدقت الرؤيا مطرنا خرا:

كان جحا نائماً إلى جنب أمه، فضرطت فتشورت فقالت: يا بني رأيت رؤيا فيها رعد وبرق ودوي، فقال: يا أمي، إن صدقت الرؤيا مطرنا خرا[2].

أهل السجن يضرطون الليل والنهار:

وذكروا عنده الضراط وقيل: هو شؤم فقال: وما شؤمه؟ قالوا: يبدد الجماعات، ويفرق الشمل، قال: فهذا باطل، أهل السجن يضرطون الليل والنهار ولا يفترقون[3].

من له يحلف إذا كذبت:

قال ابن كناسة: كان جحا كوفياً، وكان مولى لبني أسد، وقد روى الحديث وحمل عنه؛ ومات صديق له، فظل يبكي خلف جنازته ويقول: من لي يحلف إذا كذبت، ومن لي يحثني على شرب الخمر إذا تبت، ومن لي يعطي عني في الفسوق إذا أفلست، لا ضيعني الله بعدك، ولا حرمني

(١) الآبي، نثر الدر،٥ /٢١٠.
(٢) أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ١٨١/١.
(٣) أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ٢٤٦/١.

أجرك[١].

وأما ديوك الناس لا:

نـام جحـا مـع أمـه فضرطت، فأحبت أن تعلم مـا عنده فقالـت: يـا أبـا الغصن هل صـاح الـديك؟ فقـال: أمـا ديكك فقد صـاح، وأمـا ديوك النـاس لا[٢].

لا تساوي أربعة دراهم:

نام جحا مع أمه فضرطت، وأحبت أن تعلم مـا عنده فقالت لـه: بكم اشترى أبوك هذه القطيفة؟ قـال: بـأربعين درهم، وإن بقـي ضـراطك فيهـا أصبحت لا تساوي أربعة دراهم[٣].

الطريق يا حمصي!:

قال أبو الحسن: نظر جحا إلى رجل بين يديـه يسير علـى بغلـة، فقـال للرجل: الطريق يا حمصي! فقـال الرجـل: مـا يـدريك أنـي حمصـي؟ قـال: رأيت حر بغلتك، فإذا هو يشبه الحاء، ورأيت فقحتهـا فرأيتهـا تـشبه المـيم ورأيت ذنبها فإذا هو يشبه الصـاد، فقلت: إنك حمصـي[٤].

* * *

(١) أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ٢٤٧/١.
(٢) أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ٢٦٣/١.
(٣) أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ٢٦٤/١.
(٤) الجاحظ، البغال،٥/١.

أشعب بن جبير

أعــلام الظرفــاء

أشعب بن جبير

هو أشعب بن جبير واسمه شعيب وكنيته أبو العلاء كان يقال لأمه أم الخلندج وقيل: بل أم جميل وهي مولاة أسماء بنت أبي بكر واسمها حميدة، عرف بالطامع، ويقال له ابن أم حميدة، ويكنى أبا العلاء وأبا القاسم: ظريف، من أهل المدينة. كان مولى لعبد الله بن الزبير. تأدب وروى الحديث، وكان يجيد الغناء.

وكان أبوه خرج مع المختار بن أبي عبيد وأسره مصعب فضرب عنقه صبراً وقال تخرج علي وأنت مولاي ونشأ أشعب بالمدينة في دور آل أبي طالب وتولت تربيته وكفلته عائشة بنت عثمان بن عفان.

وحكي عنه أنه حكى عن أمه أنها زنت فحلقت وطيف بها وكانت تنادي على نفسها من رآني فلا يزنين فقالت لها امرأة كانت تطلع عليها: يا فاعلة نهانا الله عز و جل عنه فعصيناه أو نطيعك وأنت مجلودة محلوقة راكبة على جمل [1].

يضرب المثل بطمعه. وأخباره كثيرة متفرقة في كتب الأدب. عاش عمرا طويلا، قيل: أدرك زمن عثمان رضي الله عنه وسكن المدينة في أيامه. وقدم بغداد في أيام المنصور.

روى قليلا عن: عكرمة، وسالم، وأبان بن عثمان، وروي عنه: معدي ابن سليمان، وأبو عاصم النبيل، وكان صاحب مزاح وتطفيل، ومع ذلك كذب عليه[2].

---

(١) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني،١٧ / ٤٧ - ٥٠.

(٢) سير أعلام النبلاء، ٧ /٦٦، الاغاني: ١٩ / ١٣٥ - ١٨٢، تاريخ بغداد: ٧ / ٣٧ - ٤٤، الكامل لابن الأثير: ٥ / ٦١٢، وفيات الأعيان: ٢ / ٤٧١ - ٤٧٥، نهاية الإرب: ٤ / ٢٤ - ٣٦، تاريخ الإسلام: ٦ / ١٦٧ - ١٧٠، ميزان الاعتدال: ١ / ٢٥٨ - ٢٦٢، عبر الذهبي: ١ / ٢٢٢، فوات الوفيات: ١ / ١٩٧ - ٢٠١، البداية والنهاية: ١١١،

مواقف من حياته:

خلتان لا تجتمعان في مؤمن:

قيل لأشعب: طلبت العلم وجالست الناس فلو جلست لنا لسمعنا منك، فقال: نعم، فجلس لهم فقالوا: حدثنا، فقال: سمعت عكرمة يقول سمعت ابن عباس يقول سمعت رسول الله يقول: خلتان لا تجتمعان في مؤمن، ثم سكت فقالوا: ما الخلتان؟ فقال: نسي عكرمة واحدة ونسيت أنا الأخرى.

فذاك أريد:

قال الواقدي: لقيت أشعب يوماً فقال لي: يا ابن واقد وجدت ديناراً فكيف أصنع به قلت: تعرفه للناس، قال: سبحان الله، قلت: فما الرأي؟ قال: اشتري به قميصاً وأعرفه، قلت: إذن لا يعرفه أحد، قال: فذاك أريد.

أحسن النشر:

وقال الهيثم بن عيد: أسلمته فاطمة بنت الحسين في البزازين، فقيل له: أين بلغت من معرفة البز فقال: أحسن النشر ولا أحسن أطوي وأرجو أن أتعلم الطي.

لعلهم يهدون إلينا فيه:

ومر برجل يتخذ طبقاً فقال: اجعله واسعاً لعلهم يهدون إلينا فيه فيكون كبيراً خيراً من أن يكون صغيراً[(١)].

وإنك لتعلم ما نريد:

خرج سالم بن عبد الله إلى ناحية من نواحي المدينة متنزهاً ومعه حرم. فبلغ أشعب خبره فوافى الموضع الذي هم فيه فصادف الباب مغلقاً فتسور الحائط فقال له سالم: ويحك بناتي وحرمي، فقال:{لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا لَنَا فِي

١٠ - ١١٣، لسان الميزان: ١ / ٤٥٠ - ٤٥٤، شذرات الذهب: ١ / ٢٣٦، تهذيب ابن عساكر: ٣ / ٧٨ - ٨٣.

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٢ /٤٧٢.

بَنَاتِكَ مِنۡ حَقّٖ وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ} [هود: ٧٩]، فوجه إليه بطعام أكل منه وحمل إلى منزله.

عجبت أن تفلح أو يفلح أبوك:

قال سليمان الشاذكوني: كان لي بني في المكتب فانصرف إلي يوماً فقال: يا أبه ألا أحدثك بطريف فقال: هات، فقال: كنت أقرأ على المعلم أن أبي يدعوك وأشعب الطامع عنده جالس، فلبس نعله وقال: امش بين يدي، فقلت: إنما أقرأ عشري، فقال: عجبت أن تفلح أو يفلح أبوك.

عن أبي عاصم النبيل قال: سمعت أشعب يقول: ما زفت بالمدينة امرأة قط إلى زوجها إلا كنست بيتي ورفعت ستري طمعاً في أن تهدي إلي.

هل رأيت أطمع منك؟:

وقيل لأشعب: هل رأيت أطمع منك؟ قال: نعم، شاة كانت لي على سطح فنظرت إلى قوس قزح فظنته حبل من طعام فأهوت إليه واثبة من السطح فاندق عنقها.

ما فعلت ولكني أفعل:

وقدم على يزيد بن حاتم مصر فجلس في مجلسه من الناس، فدعا يزيد بعض غلمانه وأسر له بشيء، فقام أشعب فقبل يده، فقال له: ولم فعلت هذا قال: رأيتك أسررت إلى غلامك بشيء فعلمت أنك قد أمرت لي بصلة، فضحك منه وقال: ما فعلت ولكني أفعل، وأمر له بصلة.

لا آكل لحم أبداً:

وتغدى أشعب مع زياد بن عبيد الله الحارثي فجاءوه بلحم ناضج فقال أشعب للخباز: ضعها بين يدي، فوضعها بين يديه، فقال زياد: من يصلي بأهل السجن قالوا: ليس لهم إمام، فقال: أدخلوا أشعب يصلي بهم، قال: أو

غير ذلك أصلح الله الأمير أحلف لا آكل لحم أبداً[1].

قبل أن يوحي الله إلى النحل:

وحكى المدائني قال: أتي أشعب بحلوي عند بعض الولاة فأكل منها فلم

توافقه، فقيل له: كيف تراها يا أشعب قال: امرأته طالق إن لم تكن عملت من قبل أن يوحي الله إلى النحل.

التسع خصال لك:

وحكى المدائني عن ابن خلف قال: حدثني رجل قال: قلت لأشعب: لو تحدثت عندي العشية، قال: أكره أن يجيء ثقيل، قلت: ليس غيرك وغيري، قال: فإذا صليت الظهر فأنا عندك، فصلى وجاء، فلما وضعت الجارية الطعام إذا صديق لي يدق الباب، قال: ألا ترى قد صرت إلى ما أكره، قلت: إن لك عندي فيه عشر خصال، قال: فما هي قلت: أولها أنه لا يأكل مع ضيف، قال: التسع خصال لك، أدخله.

يسألون عن أحاديث الملوك ويعطون عطاء العبيد:

وحكى الهيثم بن عدي قال: لقيت أشعب، فقلت له: كيف ترى أهل زمانك هذا؟ قال: يسألون عن أحاديث الملوك ويعطون عطاء العبيد.

ما كنت فاعلاً بي شيئاً من ذلك:

وحكى المدائني قال: بعث الوليد بن يزيد إلى أشعب بعدما طلق امرأته سعدى، فقال له: يا أشعب إن لك عندي عشرة آلاف درهم على أن تبلغ رسالتي سعدى، فقال له: أحضر المال حتى أنظر إليه، فأحضر الوليد بدرة فوضعها أشعب على عنقه وقال: هات رسالتك يا أمير المؤمنين، قال: قل لها: يقول لك:

أسعدى هل إليك لنا سبيل ::: وهل حتى القيامة من تلاق

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٢ /٤٧٣.

بلـــى ولعـــل دهـــراً أن يـــواتي ::: بمـــوت مـــن حليلـــك أو طـــلاق
فأصـــبح شـــامتاً وتقـــر عـــيني ::: ويجمـــع شملنـــا بعـــد افتـــراق

قال: فأتى أشعب الباب فأخبرت بمكانه فأمرت ففرش لها فرش وجلست فأذنت له فدخل فأنشدها ما أمره، فقالت لخدمها: خذوا الفاسق، فقال: يا سيدتي إنها بعشرة آلاف درهم، قالت: والله لأقتلنك أو تبلغه كما تبلغني، قال: هاتي رسالتك جعلت فداك، قالت: قل له:

أتبكي على لـــبنى وأنـــت تركتـــها ::: وقد ذهبت لبنى فما أنـــت صـــانع

فأقبل أشعب فدخل على الوليد فأنشده البيت فقال: أوه! قتلتني والله، ما تراني صانعاً بك يا بن الزانيه اختر إما أن أدليك في البئر منكساً أو أرمي بك من فوق القصر منكساً أو أضرب رأسك بعمودي هذا ضربة، فقال: ما كنت فاعلاً بي شيئاً من ذلك، قال: ولم قال: لأنك لم تكن لتعذب عينين قد نظرنا إلى سعدى، قال: صدقت يا بن الزانية، اخرج عني(١).

شجرة الموز:

قال ابن كليب: حدثت أشعب مرة فبكى فقلت: ما يبكيك؟ قال: أنا بمنزلة شجرة الموز إذا نشأت ابنتها قطعت هي، وقد نشأت أنت في موالي وأنا الآن أموت وأنا أبكي على نفسي(٢).

خبر أشعب مع زيد بن عمرو بن عثمان زوج سكينة بنت الحسين :

عن المدائني قال: كان زيد بن عمرو بن عثمان قد تزوج سكينة بنت الحسين رضي الله تعالى عنه فعتب عليها يوما، فخرج إلى مال له فذكر أشعب أن سكينة دعته فقالت له: إن ابن عثمان خرج عاتبا علي فاعلم لي حاله قلت لا أستطيع أن أذهب إليه الساعة فقالت أنا أعطيك ثلاثين دينارا فأعطتني إياها فأتيته ليلا فدخلت الدار فقال: انظروا من في الدار، فأتوه، فقالوا: أشعب فنزل عن فرشه وصار إلى الأرض، فقال: أشعيب؟ قلت:

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٢ /٤٧٤.
(٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٢ /٤٧٥.

نعم، قال: ما جاء بك؟ قلت: أرسلتني سكينة لأعلم خبرك أتذكرت منها ما تذكرت منك، وأنا أعلم أنك قد فعلت حين نزلت عن فرشك وصرت إلى الأرض، قال: دعني من هذا وغنني:

عُوجـــا بـــه فاســـتنطقاه فقـــد ::: ذكّـــرني مـــا كنـــتُ لم أذكـــر

فغنيته فلم يطرب ثم قال: غنني ويحك غير هذا، فإن أصبت ما في نفسي فلك خلتي هذه وقد اشتريتها آنفا بثلاثمئة دينار فغنيته

أحوجه مع عفافه إلى صلابة شـــعري ::: وأحوجني مع شهواتي إلى رقة شـــعره

وتغنى أشعب بشعره فأجازه

خبر ابن سريج المغني مع سكينة بنت الحسين عليهما السلام :

عن مصعب عن شيخ من المكيين قال: كان ابن سريج المغني قد أصابته الريح الخبيثة، وآلى يمينا ألا يغني ونسك ولزم المسجد الحرام حتى عوفي ثم خرج وفيه بقية من العلة، فأتى قبر النبي وموضع مصلاه فلما قدم المدينة نزل على بعض إخوانه من أهل النسك والقراءة فكان أهل الغناء يأتونه مسلمين عليه، فلا يأذن لهم في الجلوس والمحادثة، فأقام بالمدينة حولا حتى لم يحس من علته بشيء، وأراد الشخوص إلى مكة، وبلغ ذلك سكينة بنت الحسين فاغتمت اغتماما شديدا، وضاق به ذرعها، وكان أشعب يخدمها وكانت تأنس بمضاحكته ونوادره، وقالت لأشعب: ويلك إن ابن سريج شاخص وقد دخل المدينة منذ حول ولم أسمع من غنائه قليلا ولا كثيرا ويعز ذلك علي فكيف الحيلة في الاستماع منه، ولو صوتا واحدا، فقال لها أشعب: جعلت فداك وإني لك بذلك والرجل اليوم زاهد ولا حيلة فيه فارفعي طمعك والحسي تورك تنفعك حلاوة فمك.

فأمرت بعض جواريها فوطئن بطنه حتى كادت أن تخرج أمعاؤه وخنقنه حتى كادت نفسه أن تتلف، ثم أمرت به فسحب على وجهه، حتى أخرج من الدار إخراجا عنيفا، فخرج على أسوأ الحالات، واغتم أشعب غما شديدا وندم على ممازحتها في وقت لم ينبغ له ذلك، فأتى منزل ابن

سريج ليلا فطرقه فقيل: من هذا؟ فقال أشعب: ففتحوا له فرأى على وجهه ولحيته التراب والدم سائلا من أنفه وجبهته على لحيته وثيابه ممزقة وبطنه وصدره وحلقه قد عصرها الدوس والخنق ومات الدم فيها، فنظر ابن سريج إلى منظر، فظيع هاله وراعه فقال له: ما هذا؟ ويحك فقص عليه القصة.

فقال ابن سريج: إنا لله وإنا إليه راجعون، ماذا نزل بك والحمد لله الذي سلم نفسك لا تعودن إلى هذه أبدا.

قال أشعب فديتك هي مولاتي ولا بد لي منها، ولكن هل لك حيلة في أن تصير إليها وتغنيها، فيكون ذلك سببا لرضاها عني، قال ابن سريج: كلا والله لا يكون ذلك أبدا بعد أن تركته.

قال أشعب: قد قطعت أملي ورفعت رزقي، وتركتني حيران بالمدينة لا يقبلني أحد وهي ساخطة علي، فالله الله في وأنا أنشدك الله إلا تحملت هذا الإثم في فأبى عليه.

فلما رأى أشعب أن عزم ابن سريج قد تم على الامتناع، قال في نفسه: لا حيلة لي وهذا خارج وإن خرج هلكت فصرخ صرخة آذن أهل المدينة لها ونبه الجيران من رقادهم، وأقام الناس من فرشهم، ثم سكت فلم يدر الناس ما القصة عند خفوت الصوت بعد أن قد راعهم.

فقال له ابن سريج: ويلك ما هذا؟ قال: لئن لم تصر معي إليها لأصرخن صرخة أخرى لا يبقى بالمدينة أحد إلا صار بالباب، ثم لأفتحنه ولأرينهم ما بي ولأعلمنهم أنك أردت تفعل كذا وكذا بفلان - يعني غلاما كان ابن سريج مشهورا به - فمنعتك وخلصت الغلام من يدك، حتى فتح الباب ومضى، ففعلت بي هذا غيظا وتأسفا، وأنك إنما أظهرت النسك والقراءة لتظفر بحاجتك منه، وكان أهل مكة والمدينة يعلمون حاله معه، فقال ابن سريج: اغرب أخزاك الله، قال أشعب والله الذي لا إله إلا هو، وإلا فما أملك صدقة وامرأته طالق ثلاثا وهو نحير في مقام إبراهيم

والكعبة وبيت النار والقبر قبر أبي رغال، إن أنت لم تنهض معي في ليلتي هذه لأفعلن.

فلما رأى ابن سريج الجد منه، قال لصاحبه: ويحك أما ترى ما وقعنا فيه وكان صاحبه الذي نزل عنده ناسكا، فقال: لا أدري ما أقول فيما نزل بنا من هذا الخبيث، وتذمم ابن سريج من الرجل، صاحب المنزل فقال لأشعب: اخرج من منزل الرجل، فقال: رجلي مع رجلك فخرجا، فلما صارا في بعض الطريق قال ابن سريج لأشعب، امض عني، قال: والله لئن لم تفعل ما قلت لأصيحن الساعة حتى يجتمع الناس ولأقولن إنك أخذت مني سوارا من ذهب لسكينة على أن تجيئها فتغنيها سرا، وإنك كابرتني عليه وجحدتني وفعلت بي هذا الفعل، فوقع ابن سريج فيما حيلة له فيه فقال: أمض لا بارك الله فيك فمضى معه، فلما صار إلى باب سكينة قرع الباب، فقيل: من هذا؟ فقال: أشعب قد جاء بابن سريج ففتح الباب لهما ودخلا إلى حجرة خارجة عن دار سكينة فجلسا، ساعة ثم أذن لهما فدخلا إلى سكينة، فقالت: يا عبيد ما هذا الجفاء، قال: قد علمت بأبي أنت ما كان مني، قالت: أجل فتحدثا ساعة وقص عليها ما صنع به أشعب، فضحكت، وقالت: لقد أذهب ما كان في قلبي عليه، وأمرت لأشعب بعشرين دينارا وكسوة، ثم قال لها ابن سريج: أتأذنين بأبي أنت، قالت: وأين، قال: المنزل، قالت: برئت من جدي إن برحت داري ثلاثا وبرئت من جدي إن أنت لم تغن إن خرجت من داري شهرا وبرئت من جدي إن أقمت في داري شهرا، إن لم أضربك لكل يوم تقيم فيه عشرا، وبرئت من جدي إن حنثت في يميني أو شفعت فيك أحدا.

فقال أبو عبيد وا سخنة عيناه، وا ذهاب دنياه، وا فضيحتاه ثم اندفع يغني:

(أستعينُ الذي بكفّيْه نفْعِي ::: ورَجائي على التي قَتَلَتْنِي)

فقالت له سكينة: فهل عندك يا عبيد من صبر، ثم أخرجت حلي من ذهب كان في عضدها وزنه أربعون مثقالا، فرمت به إليه، ثم قالت:

أقسمت عليك لما أدخلته في يدك ففعل ذلك، ثم قالت لأشعب: اذهب إلى عزة، فأقرئها مني السلام، وأعلمها أن عبيدا عندنا فلتأتنا متفضلة بالزيارة، فأتاها أشعب فأعلمها فأسرعت المجيء، فتحدثوا باقي ليلتهم، ثم أمرت عبيدا وأشعب فخرجا فناما في حجرة مواليها.

فلما أصبحت هيئ لهم غداؤهم، وأذنت لابن سريج، فدخل فتغدى قريبا منها مع أشعب ومواليها، وقعدت هي مع عزة وخاصة جواريها، فلما فرغوا من الغداء قالت: يا عز إن رأيت أن تغنينا فافعلي قالت: إي وعيشك فتغنت لحنها في شعر عنترة العبسي:

(حُيِّيتَ مِنْ طَلَلٍ تقادَمَ عَهْدُهُ ::: أقوَى وأقفرَ بعد أمِّ الهَيْثَمِ)
(إن كنْتِ أزْمعْتِ الفِراقَ فإنما ::: زُمَّت رِكابُكُم بلَيْلٍ مُظْلِم)

فقال ابن سريج: أحسنت والله يا عزة وأخرجت سكينة الحلي الآخر من يدها فرمته إلى عزة وقالت: صيري هذا في يدك، ففعلت ثم قالت لعبيد: هات غننا فقال: حسبك ما سمعت البارحة فقالت: لا بد أن تغنينا في كل يوم لحنا فلما رأى ابن سريج أنه لا يقدر على الامتناع مما تسأله غنى:

قالت مَنْ أنْتَ على ذُكْرٍ – فقلت لها ::: أنا الذي ساقَهُ للحَيْن مقْدَارُ
قد حانَ منكِ – فلا تَبْعُدْ بك الدار – ::: بَيْنٌ وفي البَيْنِ للمَتْبُول إضْرَارُ

ثم قالت لعزة في اليوم الثاني غني فغنت لحنها في شعر الحارث بن خالد:

وقرَّتْ بها عَيْني وقد كنتُ قبْلَها ::: كثيرَ البكاء مُشْفقاً مِنْ صُدُودها
وَبِشْرَة خَوْدٌ مِثْل تمثالِ بيعَةٍ ::: تظلُّ النصارَى حَوله يَوْمَ عِيدها

قال ابن سريج: والله ما سمعت مثل هذا قط حسنا ولا طيبا.

ثم قالت لابن سريج هات فاندفع يغني

أرقتُ فلم أنَمْ طَرَبا ::: وبِتّ مُسَهَّداً نَصِبا
لِطَيْفِ أحبِّ خَلْقِ الله ::: إنساناً وإنْ غَضِبا

فلـــــــــم أردْ مقالَتَهـــــــــــا ::: ولم أكُ عاتبــــــــــاً عَتَبــــــــا)
ولكـــــــنْ صـــــــرَّمَتْ حَبْلِــــــي ::: فأمـــــسَّى الحَبْــــلُ مُنْقَــــضِيا

فقالت سكينة: قد علمت ما أردت بهذا وقد شفعناك ولم نردك، وإنما كانت يميني على ثلاثة أيام فاذهب في حفظ الله وكلاءته.

ثم قالت لعزة إذا شئت ودعت لها بحلة ولابن سريج بمثلها فانصرفت عزة وأقام ابن سريج حتى انقضت ليلته وانصرف فمضى من وجهه إلى مكة راجعا[١].

ولو لم أقطع الحروف لماتت فرحاً:

قال أشعب تعلقت بأستار الكعبة فقلت: اللهم أذهب عني الحرص والطلب إلى الناس فمررت بالقرشيين وغيرهم، فلم يعطني أحد شيئاً فجئت إلى أمي فقالت: مالك قد جئت خائباً، فأخبرتها، فقالت: لا والله لا تدخل حتى ترجع فتستقيل ربك، فرجعت فقلت: يا رب أقلني، ثم رجعت فلم أمر بمجلس لقريش وغيرهم إلا أعطوني ووهب لي غلام فجئت إلى أمي بحمار أحمل عليه من كل شيء، فقالت ما هذا الغلام؟ فخفت أن أخبرها بالقصة فتموت فرحاً، فقلت: وهبوا لي، قالت: أي شيء، قلت: غين، قالت: أي شيء غين؟ قلت: لام، قالت: وأي شيء لام؟ قلت: ألف قالت: وأي شيء ألف؟ قلت: ميم، قالت: وأي شيء ميم؟ قلت: غلام فغشي عليها، ولو لم أقطع الحروف لماتت فرحاً[٢].

وما أصنع به وهو في بطنك؟!:

حدث الأصمعي قال: ولى الخليفة العباسي المنصور زياد بن عبد الله الحارثي علي مكة والمدينة قال أشعب: فلقيته بالجحفة فسلمت عليه قال فحضر الغداء وأهدي إليه جدي فطبخه مضيرة، وحشيت القبة قال فأكلت أكلا أتملح به، وأنا أعرف صاحبي ثم أتي بالقبة فشققتها فصاح الطباخ إنا

(١) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني،١٧ / ٤٧ - ٥٠.
(٢) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ١٩ /١٤٩.

لله شق القبة، قال: فانقطعت فلما فرغت، قال: يا أشعب هذا رمضان قد حضر ولا بد أن تصلي بأهل السجن، قلت: والله ما أحفظ من كتاب الله إلا ما أقيم به صلاتي، قال: لا بد منه، قال: قلت أو لا آكل جديا مضيرة، قال: وما أصنع به وهو في بطنك، قال: قلت الطريق بعيد أريد أن أرجع إلى المدينة، قال: يا غلام هات ريشة ذنب ديك، قال أشعب: والجحفة أطول بلاد الله ريشة ذنب ديك قال فأدخلت في حلقي، فتقيأت ما أكلت، ثم قال: لي ما رأيك؟ قال: قلت لا أقيم ببلدة يصاح فيها شق القبة، قال: لك وظيفة على السلطان وأكره أن أكسرها عليك فقل ولا تشطط قال قلت نصف درهم أجرة حمار يبلغني المدينة قال أنصفت وأعطانيه (١).

فضحتني في الناس:

حدث عبد الله بن شعيب قال: جاء أشعب إلى أبي بكر بن يحيى من آل الزبير فشكا إليه فأمر له بصاع من تمر وكانت حال أشعب رثة، فقال له أبو بكر بن يحيى: ويحك يا أشعب أنت في سنك وشهرتك تجيء في هذه الحال فتضع نفسك فتعطى مثل هذا اذهب فادخل الحمام، فاخضب لحيتك قال أشعب ففعلت ثم جئته فألبسني ثياب صوف له وقال: اذهب الآن فاطلب قال: فذهبت إلى هشام بن الوليد، صاحب البغلة من آل أبي ربيعة، وكان رجلاً شريفاً موسراً فشكا إليه، فأمر له بعشرين ديناراً، فقبضها أشعب، وخرج إلى المسجد وطفق كلما جلس في حلقة، يقول أبو بكر بن يحيى جزاه الله عني خيراً أعرف الناس بمسألة فعل بي وفعل فيقص قصته، فبلغ ذلك أبا بكر فقال: يا عدو نفسه فضحتني في الناس أفكان هذا جزائي(٢).

من الطمع!

قال محمد بن القاسم: كان لأشعب خرق في بابه فينام، ويخرج يده

(١) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ١٩ /١٥٢.
(٢) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ١٩ /١٥٣.

من الخرق ويطمع أن يجيء إنسان فيطرح في يديه شيئاً من الطمع.

دية ماذا؟!

قال محمد بن القاسم: صلى أشعب يوما إلى جانب مروان بن أبان بن عثمان، وكان مروان عظيم الخلق والعجيزة، فأفلتت منه ريح عند نهوضه لها صوت، فانصرف أشعب من الصلاة، فوهم الناس أنه هو الذي خرجت منه الريح، فلما انصرف مروان إلى منزله، جاءه أشعب فقال له الدية، فقال: دية ماذا؟! فقال: دية الضرطة التي تحملتها عنك، والله وإلا شهرتك فلم يدعه حتى أخذ منه شيئاً صالحاً.

رعبتني رعبك الله:

قال يحيى بن محمد بن أبي قتيلة: غذا أشعب جديا بلبن زوجته وغيرها حتى بلغ الغاية قال: ومن مبالغته في ذلك أن قال لزوجته: أي ابنة وردان إني أحب أن ترضعيه بلبنك قال: ففعلت، قال: ثم جاء به إلى إسماعيل بن جعفر بن محمد فقال: بالله إنه لابني قد رضع بلبن زوجتي، وقد حبوتك، به ولم أر أحداً يستأهله سواك، قال فنظر إسماعيل إلى فتنة من الفتن، فأمر به فذبح وسمط فأقبل عليه أشعب، فقال: المكافأة، فقال: ما عندي والله اليوم شيء ونحن من تعرف، وذلك غير فائت لك، فلما يئس منه قام من عنده، فدخل على أبيه جعفر بن محمد، ثم اندفع يشهق حتى التقت أضلاعه، ثم قال: أخلني، قال: ما معنا أحد يسمع ولا عين عليك، قال: وثب ابنك إسماعيل على ابني فذبحه وأنا أنظر إليه، قال: فارتاع جعفر، وصاح: ويلك وفيم وتريد ماذا؟ قال: أما ما أريد فوالله ما لي في إسماعيل حيلة، ولا يسمع هذا سامع أبداً بعدك، فجزاه خيراً وأدخله منزله وأخرج إليه مائتي دينار، وقال له: خذ هذه ولك عندنا ما تحب، قال: وخرج إلى إسماعيل لا يبصر ما يطأ عليه، فإذا به مترسل في مجلسه، فلما رأى وجه أبيه نكره، وقام إليه، فقال: يا إسماعيل أو فعلتها بأشعب، قتلت ولده؟ قال: فاستضحك وقال: جاءني بجدي من صفته كذا، وخبره

الخبر، فأخبره أبوه ما كان منه، وصار إليه، قال: فكان جعفر يقول لأشعب: رعبتني رعبك الله، فيقول روعة ابنك، والله إياي في الجدي أكبر من روعتك، أنت في المائتي الدينار [1].

فما أنت صانع؟:

عن أشعب قال: أتيت خالد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان ليلة أسأله، فقال لي: أنت على طريقة لا أعطي على مثلها، قلت: بلى، جعلت فداءك، فقال: قم فإن قدر شيء فسيكون، قال: فقمت فإني لفي بعض سكك المدينة إذ لقيني رجل، فقال: يا أشعب إن كان الله قد ساق إليك رزقاً، فما أنت صانع؟ قلت: أشكر الله وأشكر من فعله، قال: كم عيالك؟ فأخبرته قال: قد أمرت أن أجري عليك وعلى عيالك ما كنت حياً، قال: من أمرك؟ قال: لا أخبرك ما كانت هذه فوق هذه، يريد السماء، وأشار إليها، قال: قلت: إن هذا معروف يشكر، قال: الذي أمرني لم يرد شكرك وهو يتمنى ألا يصل مثلك، قال: فمكثت آخذ ذلك إلى أن توفي خالد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان، قال: فشهدته قريش وحفل له الناس، قال: فشهدته فلقيني ذلك الرجل فقال: يا أشعب انتف رأسك ولحيتك هذا والله صاحبك الذي كان يجري عليك ما كنت أعطيك وكان والله يتمنى مباعدة مثلك، قال: فحمله والله الكرم إذ سألته أن فعل بك ما فعل، قال عمير: قال أشعب: فعملت بنفسي والله حينئذٍ ما حل وحرم.

إذا ناجيت ربك فناجه بوجه طلق:

قال الزبير بن بكار قال: كان أشعب يوماً في المسجد يدعو وقد قبض وجهه فصيره كالصبرة المجموعة فرآه عامر بن عبد الله بن الزبير فحصبه وناداه: يا أشعب إذا ناجيت ربك فناجه بوجه طلق، قال: فأرخى لحيه حتى وقع على زوره قال فأعرض عنه عامر، وقال: ولا كل هذا

(١) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ١٩ /١٥٩.

.[1]

فهو أحب إلي:

قال أحمد بن يحيى: قالت صديقة أشعب لأشعب هب لي خاتمك أذكرك به قال اذكريني أني منعتك إياه فهو أحب إلي.

هذا عملك الخبيث:

قال أشعب لأمه: رأيتك في النوم مطلية بعسل، وأنا مطلي بعذرة، فقالت: يا فاسق هذا عملك الخبيث كساكه الله عز و جل، قال: إن في الرؤيا شيئاً آخر، قالت: ما هو؟ قال: رأيتني ألطعك وأنت تلطعيني، قالت: لعنك الله يا فاسق[2].

اشربيه أنت من الطمع:

أخبر المدائني قال: كان أشعب يتحدث إلى امرأة بالمدينة حتى عرف ذلك فقالت لها جاراتها يوما: لو سألته شيئاً فإنه موسر، فلما جاء قالت: إن جاراتي ليقلن لي ما يصلك بشيء، فخرج نافراً من منزلها، فلم يقربها شهرين، ثم إنه جاء ذات يوم فجلس على الباب، فأخرجت إليه قدحاً ملآن ماء، فقالت: اشرب هذا من الفزع فقال: اشربيه أنت من الطمع.

قد أخذني القولنج:

دخل أشعب يوماً على الحسين بن علي، وعنده أعرابي قبيح المنظر مختلف الخلقة فسبح أشعب حين رآه، وقال للحسين عليه السلام: بأبي أنت وأمي أتأذن لي أن أسلح عليه، فقال الأعرابي: ما شئت ومع الأعرابي قوس وكنانة ففوق له سهما، وقال: والله لئن فعلت لتكونن آخر سلحة سلحتها، قال أشعب للحسين: جعلت فداءك قد أخذني القولنج [3].

(١) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ١٩ /١٦٠.
(٢) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ١٩ /١٦٢.
(٣) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ١٩ /١٦٣.

الأسماء التي عرضت على آدم:

ذكر أشعب بالمدينة رجلاً قبيح الاسم فقيل له: يا أبا العلاء أتعرف فلاناً قال: ليس هذا من الأسماء التي عرضت على آدم.

عمر الأبد:

سمع أشعب حبى المديّنية تقول: اللهم لا تمتني حتى تغفر لي ذنوبي، فقال لها: يا فاسقة أنت لم تسألي الله المغفرة إنما سألته عمر الأبد - يريد أنه لا يغفر لها أبداً.

أعتق ما أملك:

ساوم أشعب رجلاً بقوس عربية، فقال الرجل: لا أنقصها عن دينار، قال أشعب: أعتق ما أملك لو أنها إذا رمي بها طائر في جو السماء ووقع مشوياً بين رغيفين ما أخذتها بدينار فأيَّ رشد يؤنس منه؟ [1].

سالم قد فتح باب صدقة عمر:

سأل سالم بن عبد الله أشعب عن طعمه، قال: قلت: لصبياني مرة هذا سالم قد فتح باب صدقة عمر، فانطلقوا يعطكم تمراً فمضوا، فلما أبطؤوا ظننت أن الأمر كما قلت فاتبعتهم.

عرقوب رب البيت :

بينما أشعب يوماً يتغدى إذ دخلت جارة له ومع أشعب امرأته تأكل فدعاها ليتغدّى فجاءت الجارة، فأخذت العرقوب بما عليه قال: وأهل المدينة يسمونه عرقوب رب البيت قال: فقام أشعب، فخرج ثم عاد فدق الباب فقالت له امرأته: يا سخين العين، مالك؟ قال: أدخل، قالت: أتستأذن أنت وأنت رب البيت، قال: لو كنت رب البيت ما كانت العرقوب بين يدي هذه[2].

---

(١) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ١٩ /١٦٤.

(٢) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ١٩ /١٦٥.

ثم قام فانصرف:

حدث عبد الله بن محمد بن أبي سلمة قال جاء أشعب إلى مجلس أصحابنا فجلس فيه فمرت جارية لأحدهم بحزمة عراجين من صدقة عمر، فقال له أشعب: فديتك أنا محتاج إلى حطب فمر لي بهذه الحزمة قال: لا ولكن أعطيك نصفها على أن تحدثني بحديث ديباجة الحرم، فكشف أشعب ثوبه عن استه واستوفز، وجعل يخنس ويقول: إن لهذا زماناً، وجعلت خصيتاه تخطان الأرض ثم قال: أعطاني والله فلان في حديث ديباجة الحرم عشرين ديناراً، وأعطاني فلان كذا، وأعطاني فلان كذا، حتى عد أموالاً، وأنت الآن تطلبها مني بنصف حزمة عراجين ثم قام فانصرف.

يقرقر مثل الدجاجة:

دخل رجل من قريش على سكينة بنت الحسين عليهما السلام، قال: فإذا أنا بأشعب متفحج جالس تحت السرير، فلما رآني جعل يقرقر مثل الدجاجة فجعلت أنظر إليه، وأعجب فقالت: مالك تنظر إلى هذا، قلت: إنه لعجب، قالت: إنه لخبيث قد أفسد علينا أمورنا بغباوته، فحضنته بيض دجاج، ثم أقسمت أنه لا يقوم عنه حتى ينفق (١).

كلباً يتبعني أربعة أميال على مضغ العلك:

وروى عن أحمد بن الحسن البزار، وجدت بخط ابن الوشاء عن أبي الوشاء عن الكديمي عن أبي عاصم، قال: قيل: لأشعب الطامع، أرأيت أحداً قط أطمع منك قال: نعم كلباً يتبعني أربعة أميال على مضغ العلك.

لا تعشينا:

اجتازت جنازة الصريمية المغنية بأشعب، وهو جالس في وقوم من قريش فبكى عليها، ثم قال: ذهب اليوم الغناء كله، وعلى أنها الزانية

(١) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ١٩ /١٦٨.

كانت لا رحمها الله شر خلق الله، فقيل: يا أشعب ليس بين بكائك عليها ولعنك إياها فصل في كلامك، قال: نعم كنا نجيئها الفاجرة بكبش، فيطبخ لنا في دارها، ثم لا تعشينا يشهد الله إلا بسلق.

أشعب والغاضري :

بلغ أشعب أن الغاضري قد أخذ في مثل مذهبه ونوادره، وأن جماعة قد استطابوه، فرقبه حتى علم أنه في مجلس من مجالس قريش يحادثهم ويضحكهم فصار إليه، ثم قال له: قد بلغني أنك قد نحوت نحوي، وشغلت عني من كان يألفني، فإن كنت مثلي فافعل كما أفعل، ثم غضن وجهه وعرضه وشنجه حتى صار عرضه أكثر من طوله وصار في هيئة لم يعرفه أحد بها، ثم أرسل وجهه وقال له: افعل هكذا وطول وجهه، حتى كاد ذقنه يجوز صدره، وصار كأنه وجه الناظر في سيفه، ثم نزع ثيابه وتحادب، فصار في ظهره حدبة كسنام البعير وصار طوله مقدار شبر أو أكثر ثم نزع سراويله، وجعل يمد جلد خصيبه حتى حك بهما الأرض، ثم خلاهما من يده، ومشى وجعل يخنس وهما يخطان الأرض، ثم قام فتطاول وتمدد، وتمطى حتى صار أطول ما يكون من الرجال فضحك والله القوم حتى أغمي عليهم، وقطع الغاضري فما تكلم بنادرة ولا زاد على أن يقول: يا أبا العلاء لا أعاود ما تكره إنما أنا تلميذك وخريجك ثم أنصرف أشعب وتركه[1].

نصفها حق ونصفها باطل:

وقال أشعب: رأيت رؤيا نصفها حق ونصفها باطل. قالوا له: كيف ذلك؟ قال: رأيتني أحمل بدرة نقود، فمن شدة ثقلها علي كنت أقطع في ثيابي، ثم انتبهت، فإذا أنا مقطوع الثياب ولا بدرة.

(١) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ١٩ /١٧٠.

لكثرة شكرك الله:

وضرب الحجاج أعرابياً سبعمائة سوط، وهو يقول عند كل سوط. شكراً لك يا رب. فلقيه أشعب، فقال: أتدري لم ضربك الحجاج سبعمائة سوط؟ قال: ما أدري. قال: لكثرة شكرك الله. يقول الله:{لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ} [إبراهيم: ٧]، فقال الأعرابي:

يا رب لا شكراً فلا تزدني ::: أسأت في شكرك فاعف عني

باعد ثواب الشاكرين مني

فأنا أؤخرك ما شئت ولا أسلفك:

وسأل رجل من أشعب أن يسلفه ويؤخره، فقال: هاتان حاجتان، فإذا قضيت إحداهما فقد أنصفت. قال له الرجل: رضيت قال: فأنا أؤخرك ما شئت ولا أسلفك.

يحترق تحتها من دفن فيها:

أبو حاتم عن الأصمعي عن أبي القعقاع. قال: رأيت أشعب في السوق يبيع قطيفة، ويقول للمشتري: أريد أن أبرأ إليك من عيب. قال: وما ذاك؟ قال: يحترق تحتها من دفن فيها.

من أقواله:

- قال أشعب: من بال ولم يضرط كتب من الكاظمين الغيظ.

- وقيل له: ما بلغ من طمعك؟ قال: لم أنظر إلى اثنين يتساران إلا حسبت أنهما يأمران لي بشيء.

ألم ينهكم سليمان بن داود أن تخرجوا بالنهار:

ونظر أشعب إلى رجل قبيح الوجه، فقال: ألم ينهكم سليمان بن داود أن تخرجوا بالنهار.

لعل يوماً يهدى إلي فيه شيء:

ومر أشعب برجل نجار يعمل طبقاً فقال له: زد فيه طوقاً واحداً

تتفضل به علي. قال: وما يدخل عليك من ذلك؟ قال: لعل يوماً يهدى إلي فيه شيء.

قال الأصمعي: أخبرني هارون بن زكريا عن أشعب قال: أدركت الناس يقولون: قتل عثمان. قال الأصمعي: وعاش أشعب إلى زمان المهدي ورأيته[1].

إلا وفي نفْسِك خيرٌ تصنعه بي:

وقيل له: ما بلغ مِنْ طمعك؟ قال: لم تقُلْ هذا إلا وفي نفْسِك خيرٌ تصنعه بي.

احلف أنه لمْ يُوصِ لي بشي قبل موته:

ومِن عجيب أخباره أنه لم يمتْ شريفٌ قط من أهل المدينة إلا استعدى أشعب على وَصيته، أو وارثه، وقال له: احلف أنه لمْ يُوصِ لي بشي قبل موته.

إنك لمطاعةٌ!!:

قيل: بغتْ أم أشعب، فضُربتْ، وحُلِقتْ، وحملت على بعير يُطاف بها، وهي تقول: منْ رآني فلا يزْنينَّ. فأشرفتْ عليها ظريفةٌ من أهل المدينة: فقالت لها: إنك لمطاعةٌ!! نهانا الله عنهُ، فما ندعُه، ونَدعهُ لقولك؟

لا أذوق بصَلَيَّةً أبَدا:

كان زياد بنُ عبدِ الله الحارثي على شُرطةِ المدينة، وكان مبخلاً على الطعام فدعا أشعبَ في شهر رمضانَ ليفطرَ عنده، فقدِّمتْ إليه في أول ليلة بَصَلية معْقودةٌ، كانتْ تُعْجِبه، فجعل أشعبُ يُمعِنُ فيها - وزيادٌ يلمحه - فلما فَرغوا من الأكل قال زياد: ما أظُنُّ أن لأهل السجن إماماً يصلي بهم في هذا الشهر فَلْيصلِّ بهم أشْعَبُ. فقال أشْعبُ: لو غَير ذلك - أصْلحَك الله

[1] ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ٣ /٥٢.

-؟ قال: وما هُو؟ قال: أحْلِفُ أني لا أذوق بصَلّيّةَ أبَدا. فخجل زيادٌ، وتغَافل عنه.

ولا تصدقين بالنفاس:

قال أشعَب: جاءتني جاريةٌ بدينار، وقالتْ: هَذِهِ ودَيعةٌ عندكَ. فجعلتُه بيْن ثِنْى الفراش. فجاءتْ بعد أيام فقالتْ: بأبي الدينارَ فقلتُ: ارفعي الفراش، وخُذي ولدّهُ. وكنتُ تركتُ إلى جَنْبه درهماً فتركت الدينارَ. وأخذت الدرهم وعادت بعد أيام فوجدتْ معهُ درهماً آخرَ، فأخذته.

وعادت في الثالثة كذلك. فلما رأيتُها في الرابعةِ بكيتُ. فقالت: ما يُبكيكَ؟ قلتُ: ماتَ دينارُك في النّفاس. قالت: وكيف يكون للدينار نِفَاسٌ؟ قلتُ: يا فاسقةٌ تُصدقين بالولادة، ولا تصدقين بالنفاس!!

فغدوْتُ في أثَرهم:

سأل سالم بنُ عبدِ الله بن عمر أشعبَ عن طمعه، فقال: قلتُ لصبيان مرَّةً: اذهبُوا. هذا سالم قد فتَح بيتَ صدَقَة عمرَ حتى يُطعمكم تمراً. فلمَّا احْتبسوا ظننْتُ انه كما قلتُ لهم فغدوْتُ في أثَرهم.

وقيل أيضاً: ما بلغ من طمَعكَ؟ قال: ما رأيتُ عروساً بالمدينة تُزفُّ إلا كنستُ بيتي، ورششْته طمَعاً في أن تُزفَّ إليَّ.

ولكن يشتريه بعضُ الأشراف:

ووقف علىَ رجل خَيْزُراني - وكان يعمل طبقاً - فقال له: وسعْه قليلاً.

قال الخَيْزْراني: وما تُريد بذلك؟ كأنّك تُريد أنْ تشتريَه؟ قال: لا، ولكن يشتريه بعضُ الأشراف، فَيْهدي إلي فيه شيئاً.

ما لا تطيبُ نفسي بترْكه:

وقال له ابنُ أبي عتيق: أمَا تستحيى - وعندكَ ما أرى - مِنْ أنْ تسأل الناسَ؟ قال: معي من لُطفِ المسألةِ مالا تطيبُ نفسي بترْكه.

أصْطلي بناره:

وجلس يوماً في الشتاء إلى رجل من وَلدِ عُقبة بن أبي مُعَيْطٍ، فمرَّ به حسنُ بن حسن، فقال: ما يُقعِدُك إلى جَنْب هذا؟ قال: أصْطلي بناره.

حتى يخرجَ بينهما مزامير داودَ:

ولما مات ابنُ عائشة المغني جعل أشْعبُ يبكي، ويقول: قلتُ لكم زوجوا ابن عائشة من الشماسيةِ حتى يخرجَ بينهما مزامير داودَ، فلم تفعلوا وكان لا يُغني حذرٌ مِنْ قَدَر[1].

ولقد حسدْته على ذلك:

وقيلَ له: هل رأيتَ أطْمعَ منك؟ قال: نعمْ: كَلْب أمِّ حومل، تبعني فَرسخيْن، وأنا أمضُع كُنْدراً. ولقد حسدْته على ذلك.

لأنه لم يُخالطْها رياءٌ:

وخفّفَ الصلاة مرةً، فقال له بعضُ أهل المسجد: خففتَ الصلاةَ جداً!! قال: لأنه لم يُخالطْها رياءٌ.

وقَعَ عند غير شاكر:

وقال له رجل: ضَاعَ معْروفي عندَك. قال: لأنه جاءَ من غير محْتسب ثم وقَعَ عند غير شاكر.

فمنْ أشبهتَ أنت؟:

قال رجل لأشْعبَ - وكان صديقَ أبيه -: يا بني. كان أبوك عظيمَ اللحية، فمنْ أشبهتَ أنت؟ قال: أشبهتُ أمي[2].

ولو لا أن يتحدث الناس لأجزلت لك الجائزة:

وروى ابن عساكر أن أشعب غنى يوما لسالم بن عبد الله بن عمر قول بعض الشعراء:

مضين بها والبدر يشبه وجهها ::: مطهرة الأثواب والدين وافر

(١) الآبي، نثر الدر، ١ /٤٣٠.
(٢) الأبي، نثر الدر،١ /٤٣١.

لها حسب زاك وعرض مهذب ::: وعن كل مكروه من الأمر زاجر
من الخفرات البيض لم تلق ريبة ::: ولم يستملها عن تقى الله شاعر

فقال له سالم: أحسنت فزدنا. فغناه:

ألمت بنا والليل داج كأنه ::: جناح غراب عنه قد نفض القطرا
فقلت أعطار ثوى في رحالنا ::: وما علمت ليلى سوى ريحها عطرا

فقال له: أحسنت ولو لا أن يتحدث الناس لأجزلت لك الجائزة، وإنك من الأمر لبمكان.

ففيم قعودك وقد خرج الناس؟:

عن الأصمعي، قال: قدم جرير المدينة فأتاه الشعراء وغيرهم، وأتاه أشعب فيهم. فسلموا عليه وحادثوه ساعةً وخرجوا، وبقي أشعب. فقال له جرير: أراك قبيحاً وأراك لئيم الحسب، ففيم قعودك وقد خرج الناس؟ فقال له: أصلحك الله، إنه لم يدخل عليك اليوم أحدٌ أنفع لك مني، قال: وكيف ذلك؟ قال: لأني آخذ رقيق شعرك فأزينه بحسن صوتي. فقال له جرير: فقل. فاندفع يغنيه:

يا أخت ناجية السلام عليكم ::: قبل الرحيل وقبل لوم العذل
لو كنت أعلم أن آخر عهدكم ::: يوم الرحيل فعلت ما لم أفعل

قال: فاستخف جريراً الطرب لغنائه بشعره حتى زحف إليه واعتنقه وقبل بين عينيه، وسأله عن حوائجه فقضاها له[1].

ولكن خذ هذا العود فلعلك تعود:

وكان أشعب يختلف إلى قينة بالمدينة، فجلس عندها يوماً يطارحها الغناء، فلما أراد الخروج قال لها: ناوليني خاتمك أذكرك به. قالت: إنه ذهب، وأخاف أن تذهب، ولكن خذ هذا العود فلعلك تعود. وناولته عوداً من الأرض.

---

(١) العقد الفريد، ٢ /٤٠٨.

فبدر إليه أشعب فمزقه:

ودخل أشعب على والي المدينة، فحضر طعامه، وكان له جدي على مائدته يتحاماه كل من حضر،فبدر إليه أشعب فمزقه،فقال له: يا أشعب، إن أهل السجن ليس لهم إمام يصلي بهم فإن رأيت أن تكون لهم إماماً تصلي بهم، فإن في ذلك أجراً. فقال: والله ما أحب هذا الأجر ولك زوجتي طالق إن أكلت لحم جدي عندك حتى ألقى الله.

فهي أدركت أباك وأكلته:

وبينما قوم جلوس عند رجل من أهل المدينة يأكلون عنده حيتاناً إذ استأذن عليهم أشعب، فقال أحدهم: إن من شأن أشعب البسط إلى أجل الطعام، فاجعلوا كبار هذه الحيتان في قصعة بناحية، ويأكل معنا الصغار، ففعلوا. وأذن له، فقالوا له: كيف رأيك في الحيتان؛ فقال: والله إن لي عليها لحرداً شديداً وحنقاً، لأن أبي مات في البحر وأكلته الحيتان. قالوا له: فدونك خذ بثأر أبيك. فجلس ومد يده إلى حوت منها صغير، ثم وضعه عند أذنه، وقد نظر إلى القصعة التي فيها الحيتان في زاوية المجلس، فقال: أتدرون ما يقول لي هذا الحوت؟ قالوا: لا ندري. قال: إنه يقول: إنه لم يحضر موت أبي ولم يدركه لأن سنه يصغر عن ذلك، ولكن قال لي: عليك بتلك الكبار التي في زاوية البيت، فهي أدركت أباك وأكلته(١).

عمر هذا الجدي بعد أن ذبح وشوي أطول منه قبل ذلك:

حكى عن أشعب أنه حضر إعذاراً صنعه بعض ولاة المدينة، وكان مبخلاً، فدعا الناس ثلاثة أيام وهو يجمعهم على مائدة عليها جدي مشوي، فيحوم الناس حوله، ولا يمسه منهم أحد لعلمهم ببخله، وأشعب في كل يوم يحضر ويرى الجدي، فقال في اليوم الثالث: زوجته طالق إن لم يكن عمر

(١) العقد الفريد، ٣ /٥١.

هذا الجدي بعد أن ذبح وشوي أطول منه قبل ذلك[1].

ما فعلت ولكني أفعل:

قدم أشعب المشهور في الطمع على يزيد وهو بمصر فجلس بمجلسه ودعا بغلامه فساره فقام أشعب فقبل يده فقال له يزيد: لم فعلت هذا فقال: إني رأيتك تسارر غلامك فظننت أنك قد أمرت لي بشيء فضحك منه وقال: ما فعلت ولكني أفعل. ووصله وأحسن إليه.

مالك قد جئت خائباً؟:

قال أشعب: تعلقت بأستار الكعبة فقلت: اللهم أذهب عني الحرص والطلب إلى الناس، فمررت بالقرشيين وغيرهم فلم يعطني أحد شيئاً. فجئت إلى أمي، فقالت: مالك قد جئت خائباً؟ فأخبرتها بذلك، فقالت: والله لا تدخل حتى ترجع فتستقيل ربك فرجعت فجعلت أقول: يا رب أقلني، ثم رجعت، فما مررت بمجلس لقريش ولا غيرهم إلا أعطوني.

لعل الشيطان يتشبه بك:

وقال مصعب بن عثمان: لقي أشعب سالم بن عبد الله بن عمر، فقال له: يا أشعب، هل لك في هريس أعد لنا؟ قال: نعم، بأبي أنت وأمي. فمضى أشعب إلى منزله، فقالت له امرأته: قد وجه عبد الله بن عمرو بن عثمان يدعوك، قال: ويحك إن لسالم بن عبد الله هريسة قد دعاني إليها، وعبد الله ابن عمرو في يدي متى شئت، وسالم إنما دعوته للناس فلتة، وليس لي بد من المضي إليه. قالت: إذاً يغضب عبد الله. قال آكل عنده ثم أصير إلى عبد الله. فجاء إلى منزل سالم فجعل يأكل أكل متعالل. فقال له: كل يا أشعب، وابعث ما فضل عنك إلى منزلك. قال: ذلك أردت، بأبي أنت

(١) الشيخ بهاء الدين محمد بن حسين العاملي، الكشكول، تحقيق محمد عبد الكريم النمري، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، ٢٥٧/١.

وأمي. قال: فقال: يا غلام، احمل هذا إلى منزله، فحمله ومشى أشعب معه. فقالت امرأته: ثكلتك أمك، قد حلف عبد الله لا يكلمك شهراً، قال: دعيني وإياه، هاتي شيئاً من زعفران، فأعطته، فأخذه ودخل الحمام، فمسحه على وجهه وبدنه، وجلس في الحمام حتى صفره، وخرج متوطأ على عصا يرعد حتى أتى دار عبد الله بن عمرو بن عثمان. فلما رآه حاجبه قال: ويحك بلغت بك العلة ما أرى. ودخل فأعلم صاحبه، فأذن له. فلما دخل عليه، إذا سلم بن عبد الله عنده، فجعل يزيد في الرعدة، ويقارب الخطو، وجلس وما كاد أن يستقل. فقال عبد الله: ظلمناك يا أشعب في غضبنا عليك. فقال له سالم: ويلك مالك؟ ألم تكن عندي آنفاً وأكلت هريسة قال: لقد شبه لك، لا حول ولا قوة إلا بالله. قال: لعل الشيطان يتشبه بك. قال أشعب: علي وعلي إن كنت رأيتك منذ شهر. فقال له عبد الله: اعزب ويلك عن خالي أتبهته لا أم لك قال: ما قلت إلا حقاً. قال: بحياتي اصدقني وأنت آمن من غضبي.

قال: وحياتك لقد صدق، وحدثه بالقصة، فضحك حتى استلقى على قفاه[(١)].

بل أعطوه مائة دينار:

عن ابن أشعب عن أبيه، قال: دعي ذات يوم بالمغنين إلى الوليد بن يزيد، وكنت نازلاً معهم، فقلت للرسول: خذني فيهم، قال: لم أؤمر بك، إنما أمرت بإحضار المغنيين، وأنت بطال لا تدخل في جملتهم. فقلت له: أنا والله أحسن غناء منهم، ثم اندفعت فغنيت. فقال: لقد سمعت حسناً، ولكن أخاف. قلت: لا خوف عليك، ولك من ذلك شرط. قال: وما هو؟ قلت: كل ما أصبت فلك شطره، فأشهد علي الجماعة، ومضينا حتى دخلنا على الوليد، وهو لقس النفس، فغناه المغنون في كل فن فلم يتحرك ولم ينشط. فقام الأبجر إلى الخلاء، وكان خبيثاً داهياً، فسأل الخادم عن خبره،

---

(١) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ٤ /٣٣.

فقال: بينه وبين امرأته شر، لأنه عشق أختها فغضبت عليه، وهو إلى أختها أميل، وقد عزم على طلاقها، وحلف ألا يذكرها أبداً بمراسلة أو مخاطبة، فخرج على هذه الحال من عندها. فعاد الأبجر إلينا، وجلس ثم اندفع يغني:

فبيني فإني لا أبالي وأيقني ::: أصعد باق حبكم أم تصوبا
ألم تعلمي أني عزوف عن الهوى ::: إذا صاحبي من غير شيء تغضباً

فطرب الوليد وارتاح، وقال للأبجر: أصبت والله يا عبيد ما في نفسي، وأمر له بعشرة آلاف درهم وشرب حتى سكر، ولم يحظ أحد بشيء سوى الأبجر. فلما أيقنت بانقضاء المجلس وثبت فقلت: إن رأى أمير المؤمنين أن يأمر من يضربني مائة سوط الساعة بحضرتك فضحك. ثم قال: قبحك الله وما السبب في ذلك؟ فأخبرته بقصتي مع الرسول، وقلت له: إنه بدأني بالمكروه في أول يومه فاتصل علي إلى آخره، فأريد أن أضرب مائة سوط ويضرب بعدي مثلها.

فقال: لقد لطفت، بل أعطوه مائة دينار، وأعطوا الرسول خمسين ديناراً من مالنا عوض الخمسين التي أراد أخذها من أشعب، فقبضتها وانصرفت[(١)].

أتدري في أي شيء أموت؟:

قال ابن زبنج: كان أبان بن عثمان من أهزل الناس وأعبثهم، فبينا نحن ذات يوم عنده وعنده أشعب، إذ أقبل أعرابي معه جمل، والأعرابي أشقر أزرق أزعر يتلظى كأنه أفعى، والشر بين في وجهه، ما يدنو منه أحد إلا شتمه ونهره، فقال أبان: هذا والله من البادية، ادعوه لي، فدعوه له وقيل: إن الأمير أبان بن عثمان يدعوك، فأتاه فسلم عليه، فسأله أبان بن عثمان عن نسبه، فانتسب له. فقال له أبان: حياك الله يا خال، اجلس، فجلس. فقال له: إني أطلب جملاً مثل جملك هذا منذ زمان فلم أجده كما

(١) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ٤ /٣٥.

أشتهي بهذه الصفة وهذه الهامة والصورة والورك والأخفاف، والحمد لله الذي جعل ظفري به عند من أحبه، أتبيعنيه؟ فقال: نعم أيها الأمير. قال: فإني قد بذلت لك به مائة دينار، فطمع الأعرابي وسر بذلك وانتفخ، وبان الطمع في وجهه. فأقبل أبان على أشعب ثم قال له: ويلك يا أشعب إن خالي هذا من أهلك وأقاربك يعني: في الطمع فأوسع له مما عندك، قال: نعم، بأبي أنت وزيادة. فقال له أبان: يا خال، إنما زدتك في الثمن على بصيرة أن الجمل يساوي ستين ديناراً، ولكني بذلت لك مائة دينار لقلة النقد عندنا، وإني أعطيك عروضاً (أشياء) تساوي مائة دينار، فزاد طمع الأعرابي وقال: قد قبلت ذلك أيها الأمير. وأسر أبان إلى أشعب، فأخرج شيئاً مغطى، فقال له: أخرج ما جئت به، فأخرج جرد عمامة تساوي أربعة دراهم. فقال له: قومها يا أشعب. فقال: عمامة الأمير تساوي أربعة دراهم. فقال له: قومها يا أشعب. فقال: عمامة الأمير يشهد فيها الأعياد والجمع ويلقي فيها الخلفاء خمسون ديناراً. قال: ضعها بين يديه، وقال لابن زبنج: أثبت قيمتها، فكتب ذلك، ووضعت العمامة بين يدي الأعرابي، فكاد يدخل بعضه في بعض غيظاً، ولم يقدر على الكلام. قال:

هات قلنسوتي، فأخرج قلنسوة طويلة خلقاً قد علاها الوسخ والدهن وتخرقت تساوي نصف درهم. قال: قوم، فقال: قلنسوة الأمير تعلو هامته، ويصلي فيها الصلوات الخمس، ويجلس فيها للحكم ثلاثون ديناراً. قال: أثبت، فأثبت ذلك، ووضعت القلنسوة بين يدي الأعرابي فأربد وجهه وجحظت عيناه وهم بالوثوب، ثم تماسك وهو مقلقل. ثم قال لأشعب: هات ما عندك، فأخرج خفين خلقين قد نقبا وتقشرا وتفتتا، فقال: قوم، فقال: خفا الأمير يطأ بهما الروضة، ويعلو بهما منبر النبي أربعون ديناراً، فقال: ضعهما بين يديه. ثم قال للأعرابي: أضمم إليك متاعك، وقال لبعض الأعوان: امض مع الأعرابي واقبض ما بقي لنا عليه من ثمن المتاع، وهو عشرون ديناراً. فوثب الأعرابي فأخذ القماش فضرب به وجوه القوم

لا يألو في شدة الرمي، ثم قال له: أتدري في أي شيء أموت؟ قال: لا، قال: لم أدرك أباك عثمان فأشترك والله في دمه إذ ولد مثلك ثم نهض كالمجنون حتى أخذ برأس بعيره، وضحك أبان حتى سقط، وضحك من كان معه. فكان الأعرابي بعد ذلك إذا لقي أشعب يقول له: هلم إلي يا بن الخبيثة، حتى أكافئك على تقويمك المتاع يوم قومت، فيهرب منه أشعب[1].

فصلي على النبي ولا تهلكيني:

وقال المدائني: حدثني شيخ من أهل المدينة قال: كانت امرأة شديدة العين، لا تنظر إلى شيء فتستحسنه إلا عانته، فدخلت على أشعب وهو في الموت، وهو يقول لابنته: يا بنية، إذا أنا مت فلا تندبيني، والناس يسمعونك، وتقولين: وا أبتاه، أندبك للصوم والصلاة، للفقه والقرآن، فيكذب الناس ويلعنونني. ثم التفت فرأى المرأة، فغطى وجهه بكمه وقال لها: يا فلانة، بالله إن كنت استحسنت شيئاً مما أنا فيه، فصلي على النبي ولا تهلكيني، فغضبت المرأة وقالت: سخنت عينك وفي أي شيء أنت مما يستحسن؟ أنت في آخر رمق قال: قد علمت، ولكن قلت لئلا تكوني قد استحسنت خفة الموت علي وسهلة النزع، فيشتد ما أنا فيه. فخرجت من عنده وهي تسبه، وضحك من كان حوله من كلامه ومات[2].

من أين وقعت على هذا؟:

قال أشعب: ولي المدينة رجل من ولد عامر بن لؤي، وكان أبخل الناس وأنكدهم، وأغداه الله بي يطلبني في ليلة ونهاره، فإذا هربت منه هجم على منزلي بالشرط، وأن أضحكه، ولا أسكت ولا أنام، ثم لا يطعمني ولا يعطيني شيئاً، ولقيت منه جهداً عظيماً وبلاء شديداً، وحضر الحج فقال لي: يا أشعب كن معي، قلت: بأبي أنت وأمي، أنا عليل وليست

(١) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ٤ /٣٦.
(٢) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ٤ /٣٧.

لي في الحج نية فقال: عليه وعليه، وقال: إن الكعبة بيت النار لئن لم تخرج معي لأودعنك الحبس حتى أقدم، فخرجت معه مكرهاً، فلما نزلنا المنزل أظهر أنه صائم، ونام حتى تشاغلت أكل ما في سفرته، وأمر غلامه أن يطعمني رغيفين بملح، فجئت وعندي أنه صائم، ولم أزل منتظراً إلى المغرب أتوقع إفطاره، فلما صليت المغرب قلت لغلامه: ما ينتظر بالأكل؟ قال: قد أكل منذ زمان، قلت: أو لم يكن صائماً؟ قال: لا، قلت: أفأطوى أنا؟ قال: قد أعد لك ما تأكله فكل، وأخرج إلي رغيفين والملح، فأكلتهما وبت ميتاً جوعاً، وأصبحت فسرنا حتى نزلنا المنزل، فقال لغلامه: ابتع لنا لحماً بدرهم، فابتاعه، فقال: كبب لي قطعاً، ففعل، فأكله ونصب القدر، فلما اغبرت قال: اغرف لي منها قطعاً ففعل، وأكلها ثم قال: اطرح فيها دقة وأطعمني منها، ففعل، ثم قال: ألق توابلها وأطعمني منها، ففعل، وأنا جالس أنظر إليه لا يدعوني، فلما استوفي اللحم كله قال: يا غلام أطعم أشعب، فرمى إلي برغيفين، فجئت إلى القدر فإذا ليس فيها إلا مرق وعظام، فأكلت الرغيفين، وأخرج له جراباً فيه فاكهة يابسة، فأخذ منها حفنة فأكلها، وبقي في كفه كف لوز بقشره، ولم تكن له فيه حيلة، فرمى به إلي وقال: كل هذا يا أشعب، فذهبت أكسر واحدة منه فإذا ضرسي قد انكسرت منها قطعة فسقطت بين يدي، وتباعدت أطلب حجراً أكسر به فوجدته فضربت به لوزة فطفرت علم الله مقدار رمية حجر وعدوت في طلبها، فبينا أنا في ذلك إذ أقبل بنو مصعب، يعني ثابتاً وإخوته، يلبون بتلك الحلوق الجهورية، فصحت بهم: الغوث الغوث بالله وبكم يا آل الزبير، الحقوني أدركوني، فركضوا إلي، فلما رأوني قالوا: مالك ويلك؟ قلت: خذوني معكم تخلصوني من الموت، فحملوني معهم، فجعلت أرفرف بيدي كما يفعل الفرخ إذا طلب الزق من أبويه، فقالوا: مالك ويلك؟ قلت: ليس هذا موضع الحديث، زقوني زقوني ما معكم، فقد مت ضراً وجوعاً منذ ثلاث، فأطعموني حتى تراجعت

نفسي وحملوني معهم في محمل ثم قالوا: أخبرنا بقصتك، فحدثتهم وأريتهم ضرسي المكسورة، فجعلوا يضحكون ويصفقون فقالوا: ويحك من أين وقعت على هذا؟ هذا من أبخل خلق الله وأدناهم نفساً. فحلفت بالطلاق أني لا أدخل المدينة ما دام له بها سلطان، فلم أدخلها حتى عزل[1].

إذن نوفرهما عليك:

قال الوليد لأشعب: تمن؟ فقال أشعب: يتمنى أمير المؤمنين ثم أتمنى؟ فقال الوليد: إنما أردت أن تغلبني، إني أتمنى ضعفي ما تتمنى، فقال أشعب: إني أتمنى كفلين من العذاب، قال: إذن نوفرهما عليك.

هذا يحرق الفؤاد:

قال أشعب: بلغني مكان عبد الله بن عمر في مال له يتصدق بثمرته. فركبت إليه بأصحابي ووافيته في ماله، فقلت: يا بن أمير المؤمنين، ويا ابن الفاروق أوقر لي بعيري هذا تمراً، فقال: أمن المهاجرين أنت؟ قلت: اللهم لا، قال: أفمن الأنصار؟ قلت: اللهم لا، قال: أفمن التابعين بإحسان؟ فقلت: أرجو، فقال لي: إن يحق رجاؤك أفمن أبناء السبيل أنت؟ قلت: لا، قال: فعلام أوقر لك بعيرك تمراً؟ قلت لأني سائل، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إن أتاك السائل على فرس فلا ترده، قال: لو شئنا أن نقول لك إنه قال: " إن أتاك على فرس " ولم يقل أتاك على بعير، لقلنا، ولكن أمسك ذلك لاستغنائي عنه لأني قلت لأبي عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: إذا أتاني سائل على فرس أعطيه؟ قال: إني سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عما سألتني عنه، فقال: نعم، إذا لم تصب راجلاً؛ ونحن أيها الرجل نصيب رجالة، فعلام أعطيك وأنت على بعير؟ فقلت له: بحق أبيك الفاروق وبحق الله عز وجل وبحق

(١) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ١ /٢٥٢.

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما وقرت لي بعيري. فقال عبد الله: أنا أوقره لك تمراً، وحق الله وحق رسوله لئن عاودت استحلافي لا أبررت لك قسمك، ولو أنك اقتصرت على إحلافي بحق أبي في تمرة أعطيكها لما أنفذت قسمك لأني سمعت أبي يقول: إن رسول الله يقول: **لا تشدوا الرحال إلى مسجد لرجاء الثواب إلا إلى المسجد الحرام ومسجدي يثرب**، ولا يبر أحد قسم مستحلفه إلا أن يستحلفه بحق الله وحق رسوله. ثم قال للسودان في ذلك المال: أوقروا بعيره تمراً. قال: فلما أخذ السودان في حشو الغرائر قلت: إن السودان أهل طرب، وإن أطربتهم أجادوا حشو غرائري. فقلت: يا بن الفاروق أتأذن لي في الغناء فأغنيك؟ فقال لي: أنت ورأيك. فاندفعت في النصب، فقال لي: هذا الغناء الذي لم نزل نعرفه، ثم غنيته صوتاً لطويس:

خليلي ما أخفي من الحب باطن ::: ودمعي بما قلت الغداة شهيد

قال، فقال لي عبد الله: يا هنه، لقد جددت في هذا الغناء ما لم يكن. قال: ثم غنيته لابن سريج قوله:

يا عين جودي بالدموع السفاح ::: وابكي على قتلى قريش البطاح

فقال لي: يا أشعب، هذا يحنق الفؤاد، أراد: هذا يحرق الفؤاد، لأنه كان ألثغ لا يبين الراء ولا اللام؛ قال أشعب: فكان لا يراني بعد ذلك إلا استعادني هذا الصوت(1).

أظننت أنه يذبحك؟:

ودعا الحسن بن الحسن علي أشعب فأقام عنده، وكان عند الحسن شاة، فقال لأشعب: أنا أشتهي أن آكل من كبد هذه الشاة، فقال له أشعب: بأبي أنت وأمي. أعطنيها وأنا أذبح لك أسمن شاة بالمدينة، فقال له: أخبرك أني أشتهي كبد هذه الشاة وتقول لي أسمن شاة بالمدينة؟ اذبح يا غلام، فذبحها وشوي له من كبدها وأطايبها فأكل. وقال من غد: يا أشعب، أنا أشتهي من كبد نجيبي

(1) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ٢ /٤٨٨.

هذا لنجيب عنده ثمنه ألوف دراهم فقال له أشعب: في ثمن هذا والله غناي، فأعطنيه وأنا والله أطعمك من كبد كل جزور بالمدينة. فقال: أخبرك أني أشتهي كبد هذا وتطعمني من غيره؟ يا غلام، انحر، فنحر النجيب وشوى كبده فأكلا. فلما كان اليوم الثالث قال له: يا أشعب، أنا والله أشتهي أن آكل من كبدك؛ قال: سبحان الله! أتأكل أكباد الناس؟ قال: قد أخبرتك، فوثب أشعب فرمى بنفسه من درجة عالية فانكسرت رجله، فقيل له: ويلك، أظننت أنه يذبحك؟ فقال: والله لو أن كبدي وجميع أكباد العالمين اشتهاها لأكلها. وإنما فعل الحسن ما فعل حيلة على أشعب وتوطئة للعبث به(١).

هما جورب وقلنسوة:

قال أشعب لفقيه: ما تقول في صلاة صليتها في ثوبين؟ قال: هي جائزة في ثوب فكيف في ثوبين؟ قال: هما جورب وقلنسوة.

لله دركم يا أهل مكة، ماذا أعطيتم!:

قال إسحاق بن يحيى بن طلحة: قدم جرير بن الخطفي المدينة ونحن يومئذ شبان، فطلب الشعراء فاحتشدنا له ومعنا أشعب، فبينا نحن عنده إذ قام لحاجة وأقمنا لم نبرح، ويجيء الأحوص بن محمد الشاعر من قباء على حمار، فقال: أي هذا؟ قلنا: قد قام لحاجة فما حاجتك إليه؟ قال: أريد والله أن أعلمه أن الفرزدق أشرف منه وأشعر، قلنا له: ويحك، لا تعرض له فانصرف. وخرج جرير، فلم يك بأسرع من أن أقبل الأحوص، فوقف عليه فقال: السلام عليك، فقال جرير: وعليك السلام، فقال: يا بن الخطفي، الفرزدق أشرف منك وأشعر، قال جرير: من هذا أخزاه الله! قلنا: الأحوص بن محمد بن عبد الله بن عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح، فقال: نعم، هذا الخبيث ابن الطيب، أنت القائل: من الطويل:

يقَــرُّ بعــيني مــا يقــرُّ بعَيْنــها ::: وأَحسنُ شيءٍ ما به العــينُ قَــرَّتِ

فقال: نعم، قال: فإنه يقر بعينها أن يدخل فيها مثل ذراع البكر، أفيقر

(١) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ٣ /٢١.

ذاك بعينك؟ وكان الأحوص يرمي بالحلاق، فانصرف فبعث إليه بتمر وفاكهة. وأقبلنا على جرير نسأله وأشعب عند الباب وجرير في مؤخر البيت، فألح عليه أشعب يسأله، فقال: والله إني لأراك أقبحهم وجهاً، وأراك ألأمهم حسباً، قد أبرمتني منذ اليوم، فقال: إني والله أنفعهم وخيرهم لك، فانتبه جرير وقال: ويحك، وكيف ذاك؟ قال: إني أملح شعرك وأجيد مقاطعه ومبادئه، قال: قل، ويحك! فاندفع أشعب فتغنى بلحن لابن سريج في شعره:

يا أُخْتَ ناجيةَ السلامُ عليكم ::: قَبْلَ الرحيلِ وقَبْلَ لومِ العُذَّلِ
لو كُنتُ أَعلمُ أَنَّ آخِرَ عهدكم ::: يومُ الرحيلِ فعلتُ ما لم يُفْعَلِ

فطرب جرير وجعل يزحف حتى مست ركبته ركبته، وقال: لعمري لقد صدقت، إنك لأنفعهم لي، وقد حسنته وأجدته وزينته، أحسنت والله! ووصله وكساه. فلما رأينا إعجاب جرير بذلك الصوت قال له بعض أهل المجلس: فكيف لو سمعت واضع هذا الغناء؟ قال: وإن له لواضعاً غير هذا؟ قلنا: نعم، قال: وأين هو؟ قلنا: بمكة، قال: فلست بمفارق حجازكم حتى أبلغه. فمضى ومضى معه جماعة ممن يرغب في طلب الشعر في صحابته وكنت فيهم. فقدمنا مكة فأتيناه بأجمعنا فإذا هو في فتية من قريش كأنهم المها مع ظرف كثير، فرحبوا وأدنوا وسألوا عن الحاجة، فأخبرناهم الخبر، فرحبوا بجرير وأدنوه وسروا بمكانه، وأعظم عبيد بن سريج موضع جرير وقال: سل ما تريد جعلت فداك، قال: أريد أن تغنيني لحناً سمعته بالمدينة أزعجني إليك، قال: وما هو؟ قال:

يا أُخْتَ ناجيةَ السلام عليكم

فغناه ابن سريج وبيده قضيب يوقع به وينكت، فو الله ما سمعنا شيئاً قط أحسن من ذلك، فقال جرير: لله دركم يا أهل مكة، ماذا أعطيتم! والله لو أن نازعاً نزع إليكم ليقيم بين أظهركم يسمع هذا صباح مساء لكان أعظم الناس حظاً ونصيباً، ومع هذا بيت الله الحرام، ووجوهكم الحسان،

ورقة ألسنتكم وحسن شارتكم، وكثرة فوائدكم[1].

ووفى عبد الله لأشعب بالمائة دينار:

وقال إسحق: حدثني مصعب بن عبد الله الزبيري، قال: كان عبد الله بن عمرو بن عثمان يلي صدقات عثمان بن عفان رضي الله عنه وأحباسه وأوقافه وله أخٌ من أبيه يقال له عثمان بن عمرو ويلقب ب(خرا الزنج) سفيه مخنَّث مهتوك، فقيل له: ويلك أخوك من الجلالة والفضل على ما قد عَلِمه الناس، وهو يلي صدقات جدِّك، وأنت سفيه مهتوك، فلو لزمت المسجد واستقام مذهبك، جُعلت لك يدٌ مع أخيك، ولعلها كانت تفضي إليك بعده، وجعل قومٌ يحسدون عبد الله ويغرون أخاه بذكر هذا، وكان عبد الله أجمل أهل زمانه وكان يلقب " قبة الديباج "، فذكر الماجشون قال: كان الناس يختلفون إليه وإلى عبد الله بن عبد الله بن عباس وهما بالمسجد يتأملون حسنهما ويزعمون أنهما أجمل أهل زمانهما فلزم " خرا الزنج " المسجد والصلاة والجماعة والقراءة حتى عُرف بالخير، ثم خاصم أخاه عبد الله عند القاضي وكان القاضي سيئ الرأي في عبد الله فوجد " خرا الزنج " أن يدخل يده مع عبد الله في الوقف، ولم يأمنه عبد الله أن يفعل، لِلذي بينهما من الخلاف، فضاق به أمره، وكان يمزح مع أشعب، وجاءه أشعب فرآه مغموماً، فقال: ما لك يا سيدي يا بن الشهيد، فعرَّفه، فقال: إن احتلت الآن لتصرفه عن رأيه فلك مائة دينار، فإنه يقبل منك لما بينك وبينه، فقال له أشعب: كفيتُك، وجاء أشعب حتى أتاه في المسجد فقال له: ويلك ما هذا الشؤم الذي ألزمته نفسك، ما لك وللصلاة والقراءة ولزوم المسجد، تركت اللهو والطرب والغناء وشرب النبيذ والأكبار والنايات والطبول، فقال له: " خرا الزنج " : ويلك أنا أُخاصم عبد الله أخي في الوقف وقد وعدني القاضي أن يدخل يدي مع يده، فإذا فعل رميت بهذا كله وعدت إلى كل

(١) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ٣ /٦٥.

شيءٍ تعرف فلا تغتَّم، قال: فاحتل عليَّ في يومٍ واحدٍ تذكرني به أيامنا، قال: والله ما عند في هذا الوقت شيءٌ، قال له أشعب: فأنا أستلف لك من فلان التاجر مائة دينار، قال: فافعل ذلك، فمضى أشعب إلى التاجر فقال: قد علمت أن " خرا الزنج " يأخذ منك الدرهم بعشرة، وغداً يُدخل القاضي يدَه مع أخيه فلا يذهب لك عليه درهم واحد، فقد احتاج إلى مائة دينار تعامله عليها، فعرف التاجر الخبر بما ذاع عن القاضي فأعطاه المال وخرج " خرا الزنج " إلى قصره بالعرصة وأمر بفسطاط فضرب له هناك، وقال لأشعب: ويلك هل علم بنا أحد، قال: لا وحق أبيك الطيب، قال: اذبحوا لنا كذا، واطبخوا لنا كذا، فقال أشعب: يا سيدي أي شيء تأكل إلى أن يُدرك هذا الطعام؟ فإن: انتظاره يطول علينا، قال: ما تشتهي، قال: الرؤوس، قال: ويلك إن بعثت غلاماً لي إلى السوق في ابتياع الرؤوس لم آمن أن يسأل أحدٌ عنا فيخبر بموضعنا ويتصل بالقاضي فلا يتم ما نؤمله فقال له أشعب: فأنا يا سيدي أتلطف وآتيك بكل ما تحتاج إليه من غير أن يعلم أحد، قال: فدونك فركب دابةً وركض إلى السوق فأرهج السوق واشترى كل رأسٍ فيه، وجعل أهل السوق ينكرون ذلك لكثرة ما اشترى منها، فيقال له: ويلك يا أشعب ما تصنع بهذه كلها فيقول: لابن الشهيد، لأنه أخرجنا إلى النزهة في قصره بالعرصة ومعنا الأكبار والطبول والنايات والعيدان والمخانيث وكل شيء طيب فملأ به الدنيا، ومر أشعب بعبد الله بن عمرو فقال له: وافِني وقت كذا بمن قدرت عليه من العدول إلى قصر أخيك بالعرصة؛ ووافى أشعب بالرؤوس فقال: يا سيدي ما علم بنا أحدٌ من خلق الله، فقال: أحسنت ولطفت، فأكلوا وقدَّموا النبيذ وتضمَّخوا بالخلوق ولبسوا المصبغات والحُلي والشنوف؛ ثم أرسل عبد الله إلى أهل المسجد وأهل الفضل ووجوه الناس فقال: إن أخي عثمان تحامل عليَّ في حائطٍ بيني وبينه ولست آمن أن يقع بيننا اختلاف فأحبّ أن تحضروا معي حتى تحملوني وإياه على الحق. فأسرع الناس معه وجعل " خرا الزنج " يقول

لأشعب: ويلك غنّني، فيغنيه من أجود أغاني الناس، لابن سُريج ومعبد ومالك ابن أبي السمح و " خرا الزنج " يقول له: دعني من هذا يا ابن الفاعلة ويعطف على من معه من المخانيث ويقول: شدوا طبولكم وانفخوا في السريانات وغنوا معي، وارهجوا الأكبار والطبول والسريانات، وجعلوا يغنون معه:

يـــا أُم حوفزانـــة ::: هـــيٍّ لنـــا الأتانـــة

فما زالوا على هذا حتى هجم عليهم عبد الله بن عمرو ومن معه من الفقهاء والعدول وفي عنق عثمان وهو خرا الزنج كبرٌ، وفي عنق أشعب طبل وقد سكرا، فقال عبد الله للعدول: هذا الذي يريد القاضي أن يدخل يده معي في الوقف، فقال القوم: كلاّ والله، ما ذلك له، ولا هذا الرجل بأهلٍ أن يؤمن على نفسه فكيف يُؤمن على مال غيره، قبَّح الله هذا. فالتفت " خرا الزنج " إلى أشعب وقال: ماذا صنعت يا بن الزاني، قتلني الله إن لم أقتلك فقال أشعب: يا مشؤوم، قد علمتك أنك متحوفز إلى النار حين جعلت تقترح عليَّ يا أُم حوفزانة، وقال للقوم: احملوني معكم وإلا قتلني، وجعل يحدثهم حديثه وهم يضحكون و " خرا الزنج " يعدو خلف دوابهم ويصيح: ردّوا عليَّ نديمي والقوم يلعنونه ويخنثونه حتى دخلوا المدينة فلقوا القاضي فأعلموه ما رأوا ولاموه في أمر عبد الله فعاد إلى إجلاله وتعظيمه وطرد " خرا الزنج " وإبعاده ووفى عبد الله لأشعب بالمائة دينار[1].

* * *

(١) الرقيق القيرواني، قطب السرور في اوصاف الخمور، ص ٣٩.

أبو العيناء

أعــلام الظرفــاء

أبو العيناء

هو أبو عبد الله محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر بن سليمان، الهاشمي بالولاء، الضرير، مولى أبي جعفر المنصور، المعروف بأبي العيناء صاحب النوادر والشعر والأدب؛ أصله من اليمامة ومولده بالأهواز ومنشؤه بالبصرة، وبها طلب الحديث وكسب الأدب، وسمع من أبي عبيدة والأصمعي وأبي زيد الأنصاري والعتبي وغيرهم، وكان من أحفظ الناس وأفصحهم لسانا، وكان من ظرفاء العالم، وفيه من اللسن وسرعة الجواب والذكاء ما لم يكن أحد من نظرائه، وله أخبار حسان وأشعار ملاح مع أبي علي الضرير.

وكانت ولادته سنة إحدى وتسعين ومائة بالأهواز، ونشأ بالبصرة وكف بصره وقد بلغ أربعين سنة. وكان جده الأكبر لقي علي بن أبي طالب فأعياه في المخاطبة معه فدعا عليه بالعمى له ولولده، فكل من عمي من ولد جد أبي العيناء في فهو صحيح النسب فيهم، هكذا قاله أبو سعيد الطلحي. وخرج من البصرة وهو بصير وقدم سر من رأى فاعتلت عيناه فعمي وسكن بغداد مدة وعاد إلى البصرة، وتوفي بها في جمادى الآخرة سنة ثلاث وثمانين، وقيل اثنتين وثمانين ومائتين. وقال ابنه جعفر: توفي أبي لعشر ليال خلون من جمادى الأولى، ومولده سنة تسعين ومائة، والله أعلم، رحمه الله تعالى.

ولقب بأبي العيناء لأنه قال لأبي زيد الأنصاري: كيف تصغر عينا فقال: عيينا يأبا العيناء، فبقي عليه [1].

---

(١) انظر: معجم الأدباء، ٢٨٦/١٨، نكت الهميان، ص ٢٦٥، ميزان الاعتدال، ٤/ ١٣، عبر الذهبي، ٢/ ٦٩، لسان الميزان، ٥/ ٣٤٤، معجم المرزباني، ص ٤٠٢، تاريخ بغداد، ٣/ ١٧٠، الديارات، ص ٥٢، الوافي، ٤/ ٣٤١، طبقات ابن المعتز، ص ٤١٥، الفهرست، ص ١٢٥، المنتظم، ٥/ ١٥٦، الشذرات، ٢/ ١٨٠، وفيات الأعيان، ٤ /٣٤٣ - ٣٤٩.

مواقف من حياته:

فلم لا يكذب الوراقون عليك أيها الوزير:

وحضر أبو العيناء يوما مجلس بعض الوزراء، فتفاوضوا حديث البرامكة وكرمهم وما كانوا عليه من الجود، فقال الوزير لأبي العيناء - وكان قد بالغ في وصفهم وما كانوا عليه من البذل والإفضال -: قد أكثرت من ذكرهم ووصفك إياهم، وإنما هذا تصنيف الوراقين، وكذب المؤلفين. فقال له أبو العيناء: فلم لا يكذب الوراقون عليك أيها الوزير فسكت الوزير،وعجب الحاضرون من إقدامه عليه.

فما كان فيهم رشيد:

شكا أبو العيناء إلى عبيد الله بن سليمان بن وهب الوزير سوء الحال، فقال له: أليس قد كتبنا إلى إبراهيم في أمرك قال: نعم، قد كتبت إلى رجل قد قصر من همته طول الفقر، وذل الأسر، ومعاناة الدهر، فأخفق سعيي وخابت طلبتي، فقال عبيدالله: أنت اخترته، فقال: وما علي أيها الوزير في ذلك وقد اختار موسى قومه سبعين رجلا فما كان فيهم رشيد، واختار النبي ، عبد الله بن سعد بن أبي سرح كاتبا فرجع إلى المشركين مرتدا، واختار علي بن أبي طالب رضي الله عنه أبا موسى الأشعري حاكما له فحكم عليه.

لم أكن مع اللص فأخبرك:

دخل أبو العيناء على أبي الصقر إسماعيل بن بلبل الوزير يوما فقال له ما الذي أخرك عنا يا أبا العيناء فقال: سرق حماري، فقال: وكيف سرق قال: لم أكن مع اللص فأخبرك، قال: فهلا أتيتنا على غيره، قال: قعد بي عن الشراء قلة يساري وكرهت ذلة المكاري (الأجرة)، ومنة العواري.

ولست منهم:

وخاصم علويا فقال له العلوي: تخاصمني وأنت تقول كل يوم: اللهم

صل على محمد وعلى آل محمد، فقال: لكني أقول: الطيبين الطاهرين، ولست منهم.

ما كنت أظن هذا النسل إلا قد انقطع:

ووقف عليه رجل من العامة فلما أحس به قال: من هذا قال: رجل من بني آدم، فقال: أبو العيناء: مرحبا بك أطال الله بقاءك، ماكنت أظن هذا النسل إلا قد انقطع.

لكل جديدة لذة:

وصار يوما إلى باب صاعد بن مخلد فاستأذن عليه، فقيل: هو مشغول بالصلاة، فقال: لكل جديدة لذة، وكان صاعد قبل الوزارة نصرانيا.

ما لي لا أسمع الصراخ عليه:

ومر بباب عبد الله بن منصور وهو مريض وقد صلح، فقال لغلامه: كيف خبره فقال: كما تحبين فقال: ما لي لا أسمع الصراخ عليه.

فتركتني رحمة:

ودعا سائلا ليعشيه فلم يدع شيئا إلا أكله، فقال: يا هذا دعوتك رحمة بك فاتركتني رحمة بي[1].

تشركني في الفعل، وتفردني بالتعجب:

ولقيه بعض أصحابه في السحر، فجعل يتعجب من بكوره، فقال أبو العيناء: أراك تشركني في الفعل، وتفردني بالتعجب.

لولا أنه ضرير:

وذكر له أن المتوكل قال: لولا أنه ضرير لنادمناه، فقال: إن أعفاني من رؤية الأهلة وقراءة نقوش الفصوص فأنا أصلح للمنادمة.

إلى متى تمدح وتهجو؟:

(١) وفيات الأعيان،٤ /٣٤٤.

وقيل له: إلى متى تمدح وتهجو؟ فقال: ما دام المحسن محسنا والمسيء مسيئا، بل أعوذ بالله أن أكون كالعقرب التي تلسع النبي والذمي.

ذهب بصره فعظمت حيلته:

وكان بينه وبين ابن مكرم مداعبات، فسمع ابن مكرم رجلا يقول: من ذهب بصره قلت حيلته، فقال: ما أغفلك عن أبي العيناء! ذهب بصره فعظمت حيلته.

وبها غلبت أبا الصقر بالأمس:

ودخل على ابن ثوابة عقيب كلام جرى بينه وبين أبي الصقر أربى ابن ثوابة عليه فيه، فقال له: بلغني ماجرى بينك وبين أبي الصقر، وما منعه من استقصاء الجواب إلا أنه لم يجد عزا فيضيعه، ولا مجدا فينقصه، وبعد فإنه عاف لحمك أن يأكل، وسفك دمك أن يسفكه، فقال ابن ثوابة: وما أنت والدخول بيني وبين هؤلاء يامكدي فقال: لاتنكر على ابن ثمانين قد ذهب بصره وجفاه سلطانه أن يعول على إخوانه فيأخذ من أموالهم، ولكن أشد من هذا من يستنزل الماء من أصلاب الرجال فيستفرغه في جوفه، فيقطع أنسابهم ويعظم أوزارهم، فقال ابن ثوابة: ماتساب اثنان إلا غلب ألأمهما، فقال أبو العيناء: وبها غلبت أبا الصقر بالأمس، فأسكته(١).

ماؤها أجاج وحرها عذاب :

ودخل على المتوكل في قصره المعروف بالجعفري سنة ست وأربعين ومائتين فقال له: ما تقول في دارنا هذه فقال: إن الناس بنوا الدور في الدنيا وأنت بنيت الدنيا في دارك، فاستحسن كلامه، ثم قال: كيف شربك للخمر قال: أعجز عن قليله وأفتضح عنده كثيره، فقال له:

---

(١) وفيات الأعيان، ٤ /٣٤٥.

دع هذا عنك ونادمنا، فقال: أنا رجل مكفوف، وكل من في مجلسك يخدمك، وأنا أحتاج أن أخدم ولست آمن من أن تنظر إلي بعين راض، وقلبك علي غضبان، أو بعين غضبان وقلبك راض، ومتى لم أميز بين هذين هلكت، فأختار العافية على التعرض للبلاء، فقال: بلغنا عنك بذاء في لسانك، فقال: يأمير المؤمنين، قد مدح الله تعالى وذم، فقال:{نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ} [ص: ٤٤]، وقال عز وجل: {هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ} [القلم: ١١ - ١٢]، وقال الشاعر:

إذا أنا بالمعروف لم أثن صادقا ::: ولم أشتم النكس اللئيم المذمما
ففيم عرفت الخير والشر باسمه ::: وشق لي الله المسامع والفما

قال: فمن أين أنت، قال: من البصرة، قال: فما تقول فيها قال ماؤها أجاج وحرها عذاب، وتطيب في الوقت الذي تطيب فيه جهنم.

أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس:

ولما سلم نجاح بن سلمة إلى موسى بن عبد الله الأصبهاني ليستأدي ما عليه من الأموال عاقبه فتلف في مطالبته، وذلك في يوم الاثنين لثمان بقين من ذي القعدة سنة خمس وأربعين ومائتين، وفي تلك الليلة بلغ المعتز بالله ابن المتوكل الخبر، فاجتمع بعض الرؤساء بأبي العيناء، فقال له: ما عندك من خبر نجاح ابن سلمة فقال أبو العيناء:{فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ} [القصص: ١٥]، فبلغت كلمته موسى فلقيه في الطريق فتهدده، فقال له أبو العيناء:{أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ} [القصص: ١٩] (١).

الآجال آفات الآمال:

وكتب إلى بعض الرؤساء وقد وعده بشيء فلم ينجزه: ثقتي بك تمنعني من استبطائك، وعلمي بشغلك يدعوني إلى إذكارك، ولست آمن،

(١) وفيات الأعيان، ٤ /٣٤٦.

مع استحكام ثقتي بطولك والمعرفة بعلو همتك، اخترام الأجل، فإن الآجال آفات الآمال، فسح الله في أجلك، وبلغك منتهى أملك، والسلام.

من أسأله مثلك قليل:

وروي عنه أنه قال: كنت يوما جالسا عند أبي الحكم إذ أتاه رجل فقال له: وعدتني وعدا فإن رأيت أن تنجزه، فقال: ما أذكره، فقال: إن لم تذكره فلأن من تعده مثلي كثير، وأنا لا أنساه، لأن من أسأله مثلك قليل، فقال: أحسنت لله أبوك، وقضى حاجته.

لا أستقل قليلك ولا أستكثر كثيرك :

حدثني أبو سليمان العكبري قال: دخل أبو العيناء على الحسن بن سهل فشكا ضيقته. فأمر له بخمسة آلاف درهم فقال: أصلح الله الوزير لا أستقل قليلك ولا أستكثر كثيرك، قال له: ولم؟ قال: لا أستكثر كثيرك لأنك أكثر منه، ولا أستقل قليلك لأنه أكثر من كثير غيرك. فأعجب بكلامه وقال: اكتبوه وزيدوا خمسة آلاف أخر.

مولى القوم منهم:

قال المتوكل يوماً لأبي العيناء: بلغني أنك مأبون[1]، فقال له: يا أمير المؤمنين، مولى القوم منهم. وكان أبو العيناء من موالي بني العباس.

هذا والله شر:

حدثني زهير بن حرب الجرجاني قال: قال لي أبو العيناء: كان لي عم لا يُعرف إلا بأبي. وكان ينفر من ذلك ويشتد عليه ولا ينفعه شيئاً. فلما مات أبي صار لا يعرف إلا بي فقال: هذا والله شر، ليتنا بقينا على الأمر الأول.

---

(١) مأبونٌ: هو المَعِيب هو المَعِيب، والأُبْنَة معناها في كلام العرب العيب ويقال أَبَنْتُ الرجل آبنُهُ أَبْناً إذا عِبته ويقال في حسب فلان أُبنة أي عيب وهو من قولهم عود مأبون إذا كانت فيه أبنة وهي العقدة يُعاب.

الولد للفراش وللعاهر الحجر:

ولد لأبي العيناء غلام، فصار إليه ابن مكرم وكان يجري بينهما أبداً مزاح وظرف، فلما أراد ابن مكرم الانصراف، أخرج من كمه حجراً فوضعه بين يدي أبي العيناء من حيث لا يدري ثم خرج، ووقعت يد أبي العيناء عليه فقال لغلامه: من وضع هذا الحجر هاهنا؟ قال: ابن مكرم. قال: أخزاه الله، إنما عرض بقول النبي :**الولد للفراش وللعاهر الحجر**[(١)].

أبو العيناء وابن أبى داود :

وقال أبو العيناء لابن أبى داود إن قوما من أهل البصرة قدموا إلى سر من رأى يدا على فقال:{يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ} [الفتح: ١٠]، فقلت: إن لهم مكرا، فقال:{وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦ} [فاطر: ٤٣]، فقلت: إنهم كثير قال:{كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ} [البقرة: ٢٤٩]، تم الجزء الثالث ويليه ذيل الجمهرة.

هو مشغول:

ووقف أبو العيناء على باب إبراهيم بن رباح فقيل: هو مشغول. فقال: إذا شغل بكأس يمناه، وبحر يسراه، وانتسب إلى أب لا يعرف أباه، لم يحفل بحجاب من أتاه.

في أي باب هذا؟:

ودخل على إبراهيم بن المدبر وعنده الفضل اليزيدي معلم ولده وإبراهيم جالس. فقال للمعلم: في أي باب هذا؟ قال في باب الفاعل والمفعول به. فقال: هذا بابي وباب الوالدة أعزها الله. فغضب اليزيدي ونهض[(٢)].

التي ما بين جبة ودراعة :

---

(١) أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ٣ /١٥٠.

(٢) الحصري، جمع الجواهر في الملح والنوادر، ص ٦٠.

دخل أبو العيناء على ابن منارة الكاتب وعنده أبو عبد الله بن المرزبان. فقال لابن منارة: أحب أن أعبث بأبي العيناء. فقال له: لا تقوم به. فأبى إلا العبث به، فلما جلس أبو العيناء قال له: يا أبا عبد الله؛ لم لبست جباعة؟ قال: وما الجباعة؟ قال: التي ما بين جبة ودراعة. قال أبو العيناء: لأنك صفديم. قال: وما صفديم؟ قال: الذي هو ما بين صفعان ونديم.

كتاب أبي العيناء إلى أبي الصقر:

وكتب إلى أبي الصقر كتاباً متضمنه: أنا أعز الله الوزير طليقك من الفقر، ونقيذك من البؤس، أخذت بيدي من عثرة الدهر، وكبوة الفقر؛ وعلى أية حال حين نفدت الأولياء والأشكال، والإخوان والأمثال الذي يفهمون في غير تعب؛ وهم الناس كانوا غياثاً للناس، فحللت عقدة الخلة، ورددت إلي بعد النفور النعمة، وكتبت إلى الطائي كتاباً، فكأنما كان منه إليك، أتيته وقد استصعبت علي الأمور، وأحاطت بي النوائب، فكثر من بشره، وأعطى من ماله أكرمه، ومن بر أحكمه، ولم يزل مكرماً لي مدة ما أقمت، ومثقلاً لي من فوائده لما ودعت؛ حكمني في ماله فتحكمت، وأنت تعرف جوري إذا تمكنت، وزادني من طوله فشكرت؛ فأحسن الله جزاءك، وأعظم حباءك، وقدمني أمامك، وأعاذني من فقدك وحمامك، وقد أنفقت علي ما ملكك الله، وأنفقت من الشكر ما يسر الله لي. والله عز وجل يقول:{لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ} [الطلاق: ٧]؛ فالحمد لله الذي جعلك اليد العليا، والرتبة السامية؛ لا أزال الله عن هذه الأمة ما بسط لها من عدلك، وبث فيها من رفدك.

أول من أظهر العقوق لوالديه:

قال أبو العيناء: أنا أول من أظهر العقوق بالبصرة لوالديه. قال أبي: إن الله قد قرن طاعته بطاعتي؛ فقال:{أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ} [لقمان: ١٤]. فقلت: يا أبت؛ إن الله أمنني عليك ولم يأمنك علي. فقال:{وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ} [الأنعام: ١٥١].

بين أبي علي البصير وأبي العيناء:

قال أبو علي البصير لأبي العيناء: في أي وقت ولدت من النهار؟ قال: طلوع الشمس. قال: فلذلك خرجت مكدياً؛ لأنه وقت انتشار المساكين. فقال له أبو العيناء: بيني وبينك مناسبة العمى، قال: كلا! إني من عميان الدواب، وأنت من عميان العصا.

ولا أعدم أنصاراً من الأحرار:

بلغت أبا علي البصير عن أبي العيناء قوارص [1] بظهر الغيب؛ فكتب إليه: أستزيد الله في بقائك؛ وأستمتعه بإخائك، وأستحفظه النعمى عندك. رب مزح أعزك الله قد بعث جداً، وجور قد أحدث قصداً، ورب أمر صغير خطره، قد أعقب أمراً كبيراً آخرهن ونحن باستزادتنا بعهدك، ومحاماتنا على ودك، وتمسكنا بعرا الأسباب التي بيننا وبينك، واحتراسنا من جناية الدهر علينا فيك، لا نقتصر على الاستظهار بالحجة، والإبلاغ في المعذرة، دون استفراغ المجهود، وبلوغ الغاية في التأني، والحيلة في استرجاع ما شذ عنا منك، وإبطال ما نمت به الأخبار إلينا عنك، من تحليك بنا في العيب، وتناولت إيانا في الغيب، فلا يزال أخ لك مد الله في عمرك تعد له، على نفسك، وثوقه لك وعليك، قد ساقط إلي أحاديث عنك بطبائعها صلاح القلوب قليلاً بها بقاء المودة، سريعة في حل عقدتها وقطع مودتها، أحاديث، أكره لنفسي بدأها ولك عاقبتها، وكنت لا أزال أرد ما يرد علي منها بتأول لفظك وحسن الظن بمعناك، والتماس العذر لك على ضيق مخرجه، وصعوبة مطلبه؛ وأغلب رأيي لهواك، وأقف غضبي على عتباك، وأحفظ قصدك إلي متنصلاً بما بلغني عنك؛ إلى حرم بيني وبينك، لا يجب حفظها علي دونك، حتى عاد تعريضك تصريحاً، وتمريضك تصحيحاً، وفي نسبته في صحتي إلى العمى، وفي حلمي إلى الضعف، إلى أن يئس الصديق من نصري، لما رأى من

---

(١) أمور وكلام.

إغضائي في أمر نفسي، وقد بقي مع فضلة من أداتي أنت تملكها دوني، فإن صنتها لي ووفرتها على من أساء الاختيار؛ ولا أعدم أنصاراً من الأحرار، أسعد بمؤازرتهم ومكاشفتهم، وأستغني بنفسي عنهم.

وقد كتبت في هذا المعنى بأبيات هي لما قبلها ولما يكون بعدها، فرأيك في تفهمها نفعك الله بها:

أبلغ أبا العيناء إن لاقيته ::: قولاً يكون لدائه حسما
نبئت أنّك في المغيب تسبّني ::: وإذا التقينا كنت لي سلما
فتروم هجوي جاهداً ونقيصتي ::: سفهاً أراه بادياً حلما
لا تغتنم لحمي فليس بأكلة ::: واعلم بأنك واجدٌ لحما
إني أُعيذك أن تكون رميّةً ::: لسهام رامٍ إن رمى أصمى[1]

ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى:

وقال له المتوكل: إبراهيم بن نوح النصراني واجد عليك. فقال: ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم، وقال له: إن جماعة الكتاب يلومونك. فقال:

إذا رضيت عني كرام عشيرتي ::: فلا زال غضباناً عليّ لئامها

قل للحمار الذي فوقك:

وزحمه رجل على حمار بالجسر، فضرب بيده على أذن الحمار. وقال: يا إنسان، قل للحمار الذي فوقك يقول: الطريق!

هما الخمر والميسر:

وسئل أبو العيناء عن مالك بن طوق فقال: لو كان في بني إسرائيل ونزل ذبح البقرة ما ذبح غيره. قيل: فأخوه عمر؟ قال: كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء، حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً. قيل: فما تقول في محمد بن مكرم والعباس بن رستم؟ قال: هما الخمر والميسر إثمهما أكبر من

(١) الحصري، جمع الجواهر في الملح والنوادر، ص ٩٣.

نفعهما.

وقال له ابن مكرم: إن ابن الكلبي تعجبه الرائحة الخبيثة، قال: يا سيدي؛ لو وجدك لترشفك.

ودعا ضريراً يعشيه فلم يدع شيئاً إلا أكله. فقال له: يا هذا؛ دعوتك رحمة، فصيرتني رحمة.

قدر أو قبر؟:

وقدم إليه أبو عيسى بن المتوكل سكباجة(طعام من لحم)، فجعل لا تقع يده إلا على عظم. فقال: جعلت فداك، هذه قدر أو قبر؟[1].

بين أبي العيناء وابن الزيات:

دخل أبو العيناء على محمد بن عبد الملك الزيات الوزير، فجعل لا يكلمه إلا بأطرافه. فقال: إن من حق نعمة الله عليك، لما قد أهلك له في هذه الحال التي أنت عليها، أن تجعل البسطة لأهل الحاجة إليك؛ فبقضاء الحاجات تدوم النعم.

فقال محمد: أما إني أعرفك فضولياً كثير الكلام، أوترى أن طول لسانك يمنع مع أن أؤدبك إذا زللت؛ وأمر به إلى الحبس.

فكتب إليه من الحبس: قد علمت أن الحبس لم يكن تقدم إليك، ولكنك أحببت أن تريني مقدار قدرتك علي؛ لأن كل جديد يستلذ؛ ولا بأس أن تريني من عفوك مثلما أريتنا من قدرتك، فأمر بإطلاقه.

وانقطع عنه مدةً فلقيه، فحبس محمد بن عبد الملك دابته عليه. فقال: ما لي لا أراك يا أبا عبد الله تواصلنا حسب إيجابنا لك؟ فقال له أبو العيناء: أما المعرفة بعنايتك فمناكرة، ولكنني أحسب الذي جدد استبطاءك فراغ حبسك ممن كان فيه، فأحببت أن تغمرني فيه.

دابة أبي العيناء:

(١) الحصري، جمع الجواهر في الملح والنوادر، ص ١٠٨.

حمل عبيد الله بن يحيى بن خاقان أبا العيناء على دابة، فأخذها منه ابنه، وقال: أبعث إليك بخير منها، فتأخر عنه ذلك، فلقيه. فقال: ما خبرك؟ فقال؛ بخير، يا من أبوه يحمل وهو يرجل. فقال: أنا أنفذ إليك بغلاً فارهاً بغير تأخر؛ فتأخر عنه ثم لقيه. فقال: كيف حالك يا أبا عبد الله؟ قال: راجل(ماشي علي رجلي) أصلحك الله! فضحك وأنفذ إليه بغلاً زعم أبو العيناء أنه غير فاره، فكتب إلى أبيه: أعلم الوزير أعزه الله! أن أبا علي محمداً أراد أن يبرني فعقني، وأن يركبني فأرجلني، أمر لي بدابة تقف للنثرة، وتعثر بالبعرة، كالقضيب اليابس عجفاً، والعاشق المجهود دنفاً؛ قد أذكرت الرواة عروة العذري، والمجنون العامري، مساعد أعلاه لأسفله، حباقه مقرون بسعاله؛ فلو أمسك لترجيت، ولو أفرد لتعزيت، ولكنه يجمعهما علي في الطريق المعمور، والمجلس المشهور، كأنه خطيب مرشد، أو شاعر منشد، تضحك من فعله النسوان، ويتناغى من أجله الصبيان، فمن صائح يصيح داوه بالطباشير، وقائل يقول: نقوا له الشعير، قد حفظ الأشعار، وروى الأخبار، ولحق العلماء بالأمصار؛ فلو أعين بنطق، لروى بحق وصدق، عن جابر الجعفي، وعامر الشعبي؛ وإنما أتيت من كاتبه الأعور، الذي إن اختار لنفسه أطاب وأكثر، وإن اختار لغيره أخبث وأنزر، فإن رأى الوزير أن يبدلني عنه، ويريحني منه، بمركوب يضحكني كما ضحك مني، يمحو بحسنه وفراهته، ما سطره العيب بقبحه ودمامته؛ ولست أذكر أمر سرجه ولجامه؛ لأن الوزير أكرم من أن يسلب ما يهديه، أو ينقض ما يمضيه.

فوجه إليه عبيد الله ببرذون من براذينه بسرجه ولجامه؛ ثم اجتمع مع عبيد الله عند ابنه. فقال عبيد الله: شكوت دابة محمد وقد أخبرني أنه يشتريه الآن منك بمائة دينار، وما كان هذا ثمنه لا يشتكى! فقال: أعز الله الوزير لو لم أكذب مستزيداً، لم أنصرف مستفيداً، وإني وإياه لكما قالت امرأة العزيز: الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن

الصادقين. فضحك عبيد الله؛ وقال: يا أبا عبد الله؛ حجتك الداحضة بملاحتك وظرفك أبلغ من حجة غيرك البالغة.

جواب لأبي العيناء:

قال: حدثنا أبو الحسين، قال: رأيت لأبي العيناء، خادمين، خصيين، أسودين، يقودانه.فقيل له: كيف اتخذت خصيين أسودين؟ فقال: حتى لا يتهما بي، ولا أتهم بهما.

أبو العيناء لا ينسى ما حفظ:

حدث أبو الحسين، قال: قدم أبو العيناء البصرة، في سنة نيف وثمانين، بعد الغيبة الطويلة، التي غاب عنها، وخدمته للخلفاء، والوزراء، بسر من رأى.

وكان أبو خليفة، إذ ذاك، عالم البصرة، بالحديث، والأخبار، واللغة، والنحو، ومحمد بن جعفر بن بسام، قاضيها، وكان له محل من الأدب، واللغة، والشعر، كبير، وكنت منقطعاً إليه، ملازماً له، أدرس عليه الفقه، فكان أول من ائتمنني، ورفع شأني.

فقال لي: يا أبا الحسين، قد قدم أبو العيناء، وأحب أن أجمع بينه وبين أبي خليفة، وننظر أثرهما.فقلت: علي ذلك.قال: فمضيت، ولقيت أبا العيناء، وعقدت عليه وعداً للحضور، عند ابن بسام، وعلى أبي خليفة، فاجتمعا.فأخذ أبو العيناء، في الرواية عن الأصمعي، ومشاهداته مع المتوكل، وابن أبي دؤاد، وفلان، وفلان، والشعراء.

قال: فأسكت أبو خليفة، فلم ينجر معه، ولم يلحق به.قال: فأثنينا على أبي العيناء، وقرظناه.

فقال: يا أيها القاضي، أنا لا أنسى ما كنت أحفظه منذ أربعين سنة.

أبو العيناء وأحمد بن الحسن بن المثنى:

حدث أبو عبيد محمد بن علي الآجري، قال: كنت عند أبي العيناء، لما قدم البصرة، سنة نيف وثمانين، بتسبيبات له على عمالها، وكان معنا

أصحاب الحديث. فقيل له: قد دخل إليك ابن المثنى، فقام، وقدر، أن أبا علي الحسن بن المثنى، قصده.فقال له بعض الحاضرين: إنه أحمد بن الحسن بن المثنى، فجلس، قبل أن يقرب منه أبو الحسين.ثم استدنى أبا الحسين، وأكرمه، وسأله عن خبر أبيه، فأخبره بوفاته، فترحم عليه، وقال: أنا أسن منه.فسألناه عن مقدار الزيادة، فقال: لا أدري، كنت يوماً في مجلس موسى بن إسحاق القاضي بالبصرة، وقد اجتاز بنا، وكان أصحاب الحديث حضوراً، وكان موسى لا يطيق أن يدخل مجلسه غلام أمرد، ليسمع الحديث، فحين رآه موسى، صاح: يا غلام، أخرجه.فقلنا له: أعز الله القاضي، هذا ابن أخيك، أبو علي بن المثنى.قال: فرفعه، وقدمه.

أبو العيناء في دار الواثقي أمير البصرة:

حدث بعض الشيوخ: إن أبا العيناء، قصد دار الواثقي، وهو الأمير بالبصرة - إذ ذاك -، فأجلس في الدهليز ساعة، إلى أن استؤذن له.وجرى الحديث، فقال رجل، في حديث اقتضى ذلك، يا أبا العيناء، أنت صائم اليوم؟ فقال: أما في هذه الدار، فنعم.

فكتب صاحب الخبر، إلى الواثقي، بذلك، فأذن له في الحال، واعتذر إليه، من إجلاس البوابين له في الدهليز، وأنكر ذلك عليهم.

منافرة بين ضريرين:

قال: واجتمع أبو العيناء، وأبو علي البصير، يوماً في مجلس، فاستطال عليه أبو العيناء، فقال له أبو علي: نحن جميعاً ضريران، فما هذا التطاول؟ فقال: ولا سواء، أنت من عميان العصا، وأنا من عميان المواكب.

أبو العيناء يرثي الحسن بن سهل:

حدث جعفر بن أبي العيناء، قال: لما مات الحسن بن سهل، قال أبي: والله لئن أتعب المادحين، لقد أطال بكاء الباكين، ولقد أصيبت به الأيام،

وخرست بموته الأقلام، ولقد كان بقية وفي الناس بقية، فكيف اليوم، وقد بادت البرية.

إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون:

وقال له يوماً المتوكل: إن سعيد بن عبد الملك يضحك منك، فقال: " إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون ".

ومر على دار عدو له؛ فقال: ما خبر أبي محمد؟ فقالوا: كما تحب. قال: فما بالي لا أسمع الرنة والصراخ؟.

أخاف أن أحملك عليه فتقطعني ولا أراك:

ووعده ابن المدبر بدابةٍ، فلما طالبه قال: أخاف أن أحملك عليه فتقطعني ولا أراك. فقال: عدني أن تضم إليه حماراً لأواظب مقتضياً.

اذكريني بالمنع:

وقالت له قينة: هب لي خاتمك أذكرك به. فقال: اذكريني بالمنع.

أنت أيضاً يا أعمى:

وقالت له قينة(جارية): أنت أيضاً يا أعمى فقال لها: ما أستعين على وجهك بشيءٍ أصلح من العمى.

أحطت بما لم تحط به:

وقال ابن السكيت يوماً: تراك أحطت بما لم أحط به. قال: ما أنكرت؛ فو الله لقد قال الهدهد، وهو أخس طائرٍ لسليمان: " أحطت بما لم تحط به ".

فبردها بشعرك:

وقال: - وقدم إلى مائدةٍ - عليها أبو هفان وأبو العيناء - فالوذج، فقال أبو هفان: لهذه أحر من مكانك في جهنم. فقال أبو العيناء: إن كانت هذه حارةً فبردها بشعرك.

لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً:

وقال له صاعدٌ يوماً: ما الذي أخرك عنا؟ قال: بنيتي. قال: وكيف؟ قال: قالت: يا أبه؛ قد كنت تغدو من عندنا فتأتي بالخلعة السرية والجائزة السنية، ثم أنت الآن تغدو مسدفاً، وترجع معتماً، فإلى من؟ قلت: إلى أبي العلاء ذي الوزارتين. قالت: أيعطيك؟ قلت: لا. قالت: أيشفعك؟ قلت: لا. قالت: أفيرفع مجلسك؟ قلت: لا. فقالت: يا أبه، " لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً ".

وقال له عبد الله بن سليمان: إن الأخبار المذكورة في السخاء وكثرة العطاء أكثرها تصنيف الوراقين، وأكاذيبهم قال: ولم لا يكذبون على الوزير أيده الله.

على ظهرك إذا نزلت:

وقال له محمد بن مكرم: لهممت أن آمر غلامي بدوس بطنك. فقال: الذي تخلفه على عيالك إذا ركبت، أو الذي تحمله على ظهرك إذا نزلت؟.

أنت ابنة ثلاثين سنة منذ ثلاثين سنة:

وقال يوماً لقينةٍ: كم تعدين؟ قالت: ثلاثين سنة. قال: أنت ابنة ثلاثين سنة منذ ثلاثين سنة.

إلى من تختلف اليوم؟:

وقيل له: إلى من تختلف اليوم؟ قال: إلى من يختلف عليه.

قد أبلعتك دجلة والفرات:

وقال له بعض من ناظره: أبلعني ريقي؛ فقال: قد أبلعتك دجلة والفرات.

ما تقول في ابني وهب؟:

وقيل له: ما تقول في ابني وهب؟ قال: " وما يستوي البحران هذا عذبٌ فراتٌ سائغٌ شرابه وهذا ملحٌ أجاجٌ " سليمان أفضل. قيل: وكيف؟ قال: "

أفمن يمشي مكباً على وجهه أهدى أمن يمشي سوياً على صراطٍ مستقيمٍ "[1].

ولكن تجمع بينهما بالترك:

وقال له ابن مكرم: مذهبي الجمع بين الصلاتين. قال: صدقت، ولكن تجمع بينهما بالترك.

أهذا المنزل؟:

وقال له ابن بدرٍ يوماً وهو على بابه: أهذا المنزل؟ قال: نعم، فإن أردت أن ترى سوء أثرك فانزل.

إن أنكر الأصوات لصوت الحمير:

قال له أبو الجماز: كيف ترى غنائي؟ قال: كما قال الله عز وجل: " إن أنكر الأصوات لصوت الحمير ".

ركوب أصغر أولادك:

ولقى أبا الجماز يوماً على حمار صغير؛ فقال: لقد ساءني حين اضطرك الدهر إلى ركوب أصغر أولادك.

وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه:

وقال لعلي بن الجهم: إنما تبغض علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - لأنه كان يقتل الفاعل والمفعول، وأنت أحدهما. قال له: يا مخنث. فقال: " وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه ".

إذا فرغت لم أحتج إليك:

وقال له بعضهم: إني لا أرتضي نيتك. فقال: أجل؛ لأني أعتقد الإسلام.

وقال له عبيد الله بن يحيى بن سليمان: اعذرني، فإني مشغولٌ. فقال:

---

(١) الآبي، نثر الدر، ١ /٢٢٩.

إذا فرغت لم أحتج إليك.

وأخبر أن ابنه أعتق عبده؛ فقال: إن جاز له هذا فليطلق على أمه الزانية.

وقال له رجلٌ من بني هاشم: بلغني أنك بغاء. قال: ولم أنكرت ذاك مع قول رسول الله :**مولى القوم منهم**؟. قال: إنك دعي فينا. قال: بغائي صحح نسبي فيكم.

هذه علامتي فيمن أعتني به:

وسأل الجاحظ كتاباً إلى محمد بن عبد الملك في شفاعة لصاحبٍ له؛ فكتب الكتاب، وناوله الرجل، فعاد به إلى أبي العيناء، وقال: قد أسعف. قال: فهل قرأته؟ قال: لا؛ لأنه مختوم. قال: ويحك، فض طينةٍ أولى من حمل ظنةٍ، لا يكون صحيفة المتلمس؛ ففض الكتاب؛ فإذا فيه: موصل كتابي سألني فيه أبو العيناء، وقد عرفت سفهه وبذاء لسانه، وما أراه لمعروفك أهلاً، فإن أحسنت إليه فلا تحسبه علي يداً، وإن لم تحسن لم أعتده عليك ذنباً والسلام.

فركب أبو العيناء إلى الجاحظ. وقال له: قد قرأت الكتاب يا أبا عثمان، فخجل الجاحظ، وقال: يا أبا العيناء، هذه علامتي فيمن أعتني به. قال: فإذا بلغك أن صاحبي قد شتمك فاعلم أنه علامته فيمن شكر معروفه.

وأكل عند ابن مكرم، فسقي على المائدة ثلاث شرباتٍ باردة، ثم استسقى فسقى شربةً حارة؛ فقال: لعل مزملتكم تعتريها حمى الربع.

وأنت سائل كل باب

وأنت سائل كل باب:

وممن انتصف من أبي العيناء محمد بن مكرم، فإنه صادفه ساجداً وهو يقول: يا رب سائلك ببابك. فقال: تمتن على الله بأنك سائله وأنت سائل كل باب.

طالت أيمانه:

صحب رجلٌ مفلسٌ جماعةً فقسموا له قسمة، فاشترى دابةً وكسوةً، فكان إذا حلف يقول: وإلا فدابتي حبيسٌ وثيابي صدقة. ثم قسموا له قسمة أخرى؛ فاشترى داراً وخادماً، فكان إذا حلف يقول: وإلا فدابتي حبيسٌ وثيابي صدقةٌ وغلامي حرٌّ، وداري مقبرةٌ. فقال أبو العيناء: طالت أيمانه ابن الزانية(١).

كسب الكناسين لا يكون له بركة:

كان لمحمد بن مكرم غلامٌ يتعشقه، وكان يرمي به؛ فدخل أبو العيناء يوماً إليه،؟ فقال له: يا أبا العيناء، أما ترى غلامي سديفاً مع إكرامي له، وفعلي به ومحبتي له، وكثرة ما أصله به من الأمول، وينتفع بجاهي، ولا يشكر لي ذلك، ولا تظهر عليه النعمة، ولا يرى عنده دينارٌ ولا درهم. قال أبو العيناء: نعم يا سيدي كسب الكناسين لا يكون له بركة.

صور نفسك:

وقال الكافي له: كيف أكتب اللؤم، بلام أو لامين؟ فقال صور نفسك.

لا تلمني يا أمير المؤمنين:

ودخل إلى المتوكل، فقدم إليه طعام؛ فغمس أبو العيناء لقمته في خل كان حامضاً، فأكلها وتأذى بالحموضة، وفطن المتوكل فجعل يضحك فقال: لا تلمني يا أمير المؤمنين، فقد محت الإيمان في قلبي.

يشتهي أن أرى الشيطان:

وقال له السدري: أشتهي أن أرى الشيطان. فقال: انظر في المرآة.

ما هذا الذي أراك تفعله؟:

قال أبو العيناء: رأيت محمد بن مكرم يصلي صلواته كلها ركعتين ركعتين؛ فقلت: يا محمد، ما هذا الذي أراك تفعله؟ قال: عزمت وحياتك

(١) الآبي، نثر الدر، ١ /٢٣٠.

على الخروج إلى قم إلى عند أبي.

ليعلم الناس نعمة الله عليهم:

ونظر إلى رجل قبيح الوجه؛ فقال: كأنما خلق هذا الرجل ليعلم الناس نعمة الله عليهم.

سماعون للكذب أكالون للسحت:

وقدم صديقٌ له من بعض الأعمال السلطانية؛ فدعاه إلى منزله وأطعمه وجعل الرجل يكثر الكذب، فالتفت أبو العيناء إلى من كان معه فقال: نحن كما قال الله تعالى: " سماعون للكذب أكالون للسحت ".

وقيل له: كيف حمدك لفلان؟؛ فقال: أحمده للؤم الزمان، فأما عن حسن اختيار فلا.

ودار الضرب في سراويلي؟:

وقال أبو العيناء: قلت لغلام ابن مكرم - ومعه دراهم -: من أين لك هذه الدراهم؟ فقال: ألي تقول هذا ودار الضرب في سراويلي؟.

وتدعني امرأتك أن أصوم:

قال ابن مكرم لأبي العيناء: أحسبك لا تصوم شهر رمضان. فقال: ويحك. وتدعني امرأتك أن أصوم.

وتصدق أنت صبيان دربكم:

قال أبو العيناء: مررت يوماً في دربٍ بسر من رأى. فقال لي غلامٌ: يا مولاي؛ في الدرب حملٌ سمين، والدرب خالٍ، فأمرته أن يأخذه، وغطيته بطيلساني، وصرت به إلى منزلي؛ فلما كان الغد جاءتني رقعةٌ من بعض رؤساء ذلك الدرب مكتوب فيها: جعلت فداك، ضاع لنا بالأمس في الدرب حمل؛ فأخبرني صبيان دربنا أنت سرقته؛ فتأمر برده متفضلاً.

قال أبو العيناء: فكتبت إليه: يا سبحان الله ما أعجب هذا الأمر مشايخ دربنا يزعمون أنك بغاءٌ وأكذبهم أنا، ولا أصدقهم، وتصدق أنت صبيان

دربكم أني أنا سرقت الحمل.

قال: فسكت وما عاودني بشيء.

كادت هذه القدر أن تكون نسباً وصهراً:

قال أبو العيناء: أنا أؤاكل الناس منذ ثلاثين سنة، ما آثرني إنسانٌ على نفسه بباذنجانةٍ مضيرة قط.

وأكل مرة ديكبراكة، وغسل يده عدة مرات فلم تنق؛ فقال: كادت هذه القدر أن تكون نسباً وصهراً.

شهد عليك أنتن عضو فيك:

قال يوماً لابن ثوابة: إذا شهدت على الناس ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون شهد عليك أنتن عضو فيك.

هذا والدق سواء:

قال بعض الهاشميين لأبي العيناء: بلغني أنك تخبأ العصا. قال: وهو ذا تدعونها تظهر حتى أخبأها أنا.

ودق عليه إنسانٌ الباب فقال: من هذا؟. قال: أنا. قال: هذا والدق سواء.

إنما يعطيه من كفر به:

وقال أبو العيناء: أدخل على المتوكل رجلٌ قد تنبأ؛ فقال له: ما علامة نبوتك؟ قال: أن يدفع إلي أحدكم امرأته؛ فإني أحبلها في الحال. فقال يا أبا العيناء: هل لك أن تعطيه بعض الأهل؟ فقلت: إنما يعطيه من كفر به؛ فضحك وخلاه.

هذا العنوان، فكتاب من أنت؟:

ولقيه رجلٌ من إخوانه فقال له: أطال الله بقاءك، وأدام عزك وتأييدك وسعادتك، فقال أبو العيناء: هذا العنوان، فكتاب من أنت؟.

إن الشهود عليك كثيرٌ:

وقال له يوماً عبيد الله بن يحيى الوزير - في أمر شهد عليه فيه بشهادةٍ؛ فقال أبو العيناء: لو كان هذا في غير دولتك لتمنيت له دولتك. فقال: إن الشهود عليك كثيرٌ. قال: أكثر منهم الذين شهدوا عليك بإغلاء السعر والزيادة فيه؛ فإن صدقتهم علي فصدقهم عليك.

ويوم القيامة كل نفسٍ بما كسبت رهينةٌ:

وقال له يوماً: أعز الله الوزير نحن في عطلتك مرحومون، وفي وزارتك محرومون. ويوم القيامة كل نفسٍ بما كسبت رهينةٌ(1).

ففي شغله أريد لقاءه:

وصار يوماً إلى باب عبيد الله؛ فقال له سعدٌ حاجبه: هو مشغول يا أبا عبد الله. فقال: ففي شغله أريد لقاءه. قال: ليس إلى ذلك سبيل. فقال له: رزقكم الله العود إلى البيت الحرام وانصرف. فقال سعد: دعا علينا لعنه الله، والله إن كنا بمكة إلا حيث نفينا.

لأنه لا يثق بالمدعو:

قال أبو العيناء، هنأت عبيد الله بن يحيى يوماً بالعيد، ودعوت له دعاءً طويلاً؛ فقال لي الحسن بن مخلد: حسبك يا أبا عبد الله؛ فقلت: يا أبا الحسن، أعزك الله. إن أبا محمد يستثقل الدعاء لأنه لا يثق بالمدعو.

تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى:

وقال له عبيد الله: ما دعاك إلى الوقيعة في موسى بن عبد الملك بحضرة أمير المؤمنين؟ فقال: إني والله ما استعذبت الوقيعة فيه حتى ذممت لك سريرته.

ودخل عليه يوماً وعنده نجاح بن سلمة، وأحمد بن إسرائيل وهما يسارانه؛ فقال: يا أبا الحسن: " تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى "؛ فقال نجاح: كذبت يا عدو الله؛ فقال:{لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾} [الأنعام:

(1) الآبي، نثر الدر، 1 /231.

٦٧].

ولكن متمرغ فسقك:

ودخل إلى نجاح بن سلمة؛ فقال: لا تدنس حصير صلاتي قبحك الله. فقال أبو العيناء له: لا. ولكن متمرغ فسقك.

لميتةٌ مجهزة أصلح من عافيةٍ على يد ابن عتاب:

وسقط نجاحٌ عن دابته؛ فوثب إليه إبراهيم بن عتابٍ، فأخذه من الأرض؛ فقال أبو العيناء: يا أبا الفضل، لميتةٌ مجهزة أصلح من عافيةٍ على يد ابن عتاب.

يحتاج عقلك إلى صمتٍ يستره:

وقال يوماً لابن ثوابة: يحتاج عقلك إلى صمتٍ يستره، ونطقك إلى عقلٍ يسدده.

لو رآك لترشفك:

وقال له ابن مكرم: كان ابن الكلبي صاحب البريد يحب أن يشم الخراء فقال: لو رآك لترشفك.

فكيف عقل والدتك؟:

وقال ابن مكرم يوماً: ما في الدنيا أعقل من القحبة؛ لأنها تطعم أطايب الطعام، وتسقي ألذ الشراب وتأخذ دراهم وتتلذذ. فقال له أبو العيناء: فكيف عقل والدتك؟

من طالب السلطان احتاج إلى ثلاث خلال:

وعرضت له حاجةٌ إلى الوزير بغا، فلقيه، فقال: ألق الفتح بن خاقان فلقيه فوعده، ثم لقيه فوعده؛ فلما كان في المرة الثالثة ألقاه على سبيل ضجرٍ فقال: أما علمت أن من طالب السلطان احتاج إلى ثلاث خلال؟ فقال: وما هن؟ أعز الله الأمير. قال: عقلٌ وصبرٌ ومالٌ. فقال أبو العيناء: ولو كان لي عقلٌ لعقلت عن الله أمره ونهيه، ولو كان لي صبرٌ لصبرت

منتظراً لرزقي أن يأتيني، ولو كان لي مالٌ لاستغنيت به عن تأميل الأمير، والوقوف ببابه.

فحاجتي إذاً صيفية:

وسأل أحمد بن صالح حاجةً فوعده، ثم اقتضاه إياها فقال: حال دونها هذا المطر والوحل؛ فقال أبو العيناء: فحاجتي إذاً صيفية.

تأبى نعماك أن أجده:

ودخل على عبد الرحمن بن خاقان - وكان شاتياً - فقال له عبد الرحمن: كيف ترى هذا البرد يا أبا عبد الله؟ فقال: تأبى نعماك أن أجده.

إذا رضي عشنا في نوافل فضله:

وكان بحضرة عبيد الله بن سليمان؛ فأقبل الطائي فعرف مجيئه، فقال: هذا رجلٌ إذا رضي عشنا في نوافل فضله، وإذا غضب تقوتنا بقايا بره.

فمن صدقه حرمانٌ فكيف يكون كذبه؟:

وسأل إبراهيم بن ميمون حاجةً فدفعه عنها، واعتذر إليه وأعلمه أنه قد صدقه؛ فقال له: قد والله سرني صدقك؛ لعوز الصدق عنك، فمن صدقه حرمانٌ فكيف يكون كذبه؟.

وقال لبعضهم: أعطيتني برك تفاريق، وعقوقك جملة.

وقال له رجلٌ: كان أبوك أكمل منك؛ فقال: إن أبي كنت أنا به، ولم يك بي، فهو أولى بالكمال مني.

وقال في رجلين فسد ما بينهما: تنازعا ثوب العقوق، متى صدعاه صدع الزجاجة ما لها من جابر.

لرأيت عبداً لك لا ترضاني عبداً له:

قال: قال لي المتوكل: امض إلى موسى بن عبد الملك. واعتذر، ولا تعرفه أني وجهتك. فقلت له: تستكتمني بحضرة ألفٍ؟ قال: إنما عليك أن تنفذ كما تؤمر به. قلت: وعلي أن أحترس مما أخاف منه.

وقال له المتوكل: أكان أبوك مثلك في البيان؟ قال: والله يا أمير المؤمنين لو رأيته لرأيت عبداً لك لا ترضاني عبداً له.

إن الدهر كله غد:

ووعده أبو الصقر شيئاً وقال له: غداً؛ فقال أبو العيناء: إن الدهر كله غد، فهل عندك موعد مخلىً من المعاريض؟. قال له رجلٌ قد حضر: قد استعمل المعاريض قومٌ صالحون: حدثنا فلانٌ عن فلانٍ..، فقال أبو العيناء: من هذا المتحدث في حرماننا بالأسانيد؟.

لم ترض بذبحها حتى تذكيتها:

وداس رجلٌ نبتاً له وقال: باسم الله. فقال: لم ترض بذبحها حتى تذكيتها.

وداس آخر يده، وقال: باسم الله. فقال: البقرة تذبح ويقول ذابحها: باسم الله.

وشكا إليه رجلٌ ابنه؛ فقال أبو العيناء: لقد دخل في العدد وخرج من العدد(١).

إني بك لعارف:

واعترضه يوماً أحمد بن سعيد، فسلم عليه؛ فقال أبو العيناء: من أنت؟ قال: أحمد بن سعيد؛ فقال: إني بك لعارف، ولكن عهدي بصوتك يرتفع إلي من أسفل، فماله ينحدر علي من علو؟ قال: لأني راكب. قال: لا إله إلا الله. لعهدي بك وأنت في طمرين لو أقسمت على الله في رغيفٍ لأعضك بما تكره.

وقال يوماً لعبيد الله بن سليمان: إلى كم يرفعني الوزير، ولا يرفع بي رأساً؟.

وقال له يوماً: كيف حالك؟ فقال: أنت الحال، فإذا صلحت صلحت.

(١) الآبي، نثر الدر، ١ /٢٣٢.

وقربه يوماً؛ فقال: تقريب الولي وحرمان العدو.

وعجلت إليك رب لترضى:

وقيل: لا تعجل، فإن العجلة من الشيطان؛ فقال: لو كان كذلك لما قال موسى عليه السلام:{وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ} [طه: ٨٤].

قال ابن وثاب لأبي العيناء يوماً: أنا والله أحبك بكليتي. فقال أبو العيناء: إلا عضوٌ واحدٌ منك أيدك الله؛ فبلغ ذلك ابن أبي دواد، فقال: قد وفق في التحديد عليه.

وقبل يد سليمان بن وهب؛ فقال: أنا أرفعك عن هذا. فقال أبو العيناء: أترفعني عما يرتفع الناس إليه؟.

وقيل له: ما تقول في مالك بن طوق؟ فقال: لو كان في زمان بني إسرائيل، ثم نزلت آية البقرة ما ذبحوا غيره.

وسأله المتوكل عن ميمون بن إبراهيم صاحب البريد، فقال: يد تسرق، واستٌ تضرط، مثله مثل يهوديٍّ سرق نصف جزيته، فله إقدامٌ بما أدى، وإحجامٌ بما أبقى، إساءته عمدٌ، وإحسانه تكلف.

وتكلم ابن ثوابة يوماً فتقعر ثم لحن؛ فقال له أبو العيناء: تقعرت حتى خفتك، ثم تكشفت حتى عفتك.

قال يوماً لجارية مغنية: أنا أشتهي أن أتزوجك. قالت: ذاك يوم عماك. قال: يا ستي؛ فالساعة بالنقد فقد سبق الشرط - يعني: العمى.

إلا دعوة مظلوم:

بات أبو العيناء عند ابن مكرم، فجعل ابن مكرم يفسو عليه، فقام أبو العيناء وصعد السرير، فارتفع إليه فساؤه، فصعد السطح فبلغته رائحته، فقال: يا بن الفاعلة، ما فساؤك إلا دعوة مظلوم.

منذ ثلاثين سنةً:

وذكر أبو العيناء للعباس بن رستم، فقال: ليس تهضمه معدتي، وتأدى

ذلك إلى أبي العيناء؛ فقال: قل له: إن كان من تحب يجب أن تهضمه معدتك فيجب أن تكون قد سلحت أباك وأمك منذ ثلاثين سنةً[1].

هذه المسورة:

وكان أبو العيناء في مجلس، وإلى جنبه مغنٍّ باردٌ، فأقبل على أبي العيناء وقال: يا سيدي كم بيننا وبين الشتاء؟ قال: هذه المسورة.

لأنك كما أنت وضوء:

دعا أبو العيناء بعض أصدقائه، فقال: أتوضأ وأجيئك. فقال: أخشى ألا ترجع إن ذهبت تتوضأ. قال: ولم؟ قال: لأنك كما أنت وضوء.

فرددناه إلى أمه كي تقر عينها:

أهدى أبو علي البصير إلى أبي العيناء كيرينجات، وكتب عليها: {ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾} [الحجر: ٤٦]، فردها وكتب عليها: {فَرَدَدۡنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا} [القصص: ١٣].

الأمور ليست إليهم:

وقال لرجل: ما بال الأحمق يرزق والأديب يحرم؟ فقال: إن هذه الدنيا لدار اختبارٍ، فأحب الرازق أن يعلمهم أن الأمور ليست إليهم.

قيل له: كيف تركت فلاناً مع قومه؟ قال: {يَعِدُهُمۡ وَيُمَنِّيهِمۡۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾} [النساء: ١٢٠].

وقت انتشار السؤال:

وقال له أبو علي البصير: في أي وقت ولدت؟ قال: قبل طلوع الشمس، قال: لذلك خرجت سائلاً؛ لأنه وقت انتشار السؤال.

وقال أبو العيناء لرئيسٍ كان عنده وهو يخفض كلامه: كأنك قد طفل بك في منزلك.

---

(١) الآبي، نثر الدر، ١ /٢٣٣.

وذكر ولد عيسى بن موسى، فقال: كأن آنفهم قبورٌ نصبت على غير القبلة.

أعزه الله؟:

ودخل على إسماعيل القاضي، وجعل يرد عليه إذا غلط أعزه الله؟، كأنك أحطت بما لم يحط به، فقال: نعم، لم لا أرد على القاضي؟، وقد رد الهدهد على سليمان؛ فقال:**أحطت بما لم تحط به** وأنا أعلم من الهدهد، وسليمان أعلم من القاضي.

بما يشبهك:

وقال رجل: ما أنتن إبطك قال: نلقاك - أعزك الله - بما يشبهك.

أسوةً بآل محمد :

وقال له رجلٌ من ولد سعيد بن مسلم: إن أبي يبغضك. فقال: يا بني؛ إن لي أسوةً بآل محمد .

فلم أنت مطلق؟:

قال أبو العيناء: سمعت جاراً لي أحمقٌ وهو يقول لجارٍ له: والله لهممت أن أوكل بك من يصفع رقبتك، ويخرج هذه الجفون من أقصى حجرٍ بخراسان.

ودخل إلى ابن مكرمٍ؛ فقال له: كيف أنت؟ قال: كما تحب؛ فقال: فلم أنت مطلق؟.

من رسائل أبي العيناء وكلامه المستحسن:

كتب إلى أبي الوليد بن أبي دواد: جعلت فداك، مسنا وأهلنا الضر، وبضاعتنا المودة والشكر؛ فإن تعطنا أكن كما قال الشاعر:

أنا الشهاب الذي يحمي دياركم ::: لا يخمد الدهر إلا ضوءه يقد.

وإن لم تفعل فلسنا ممن يلمزك في الصدقات؛{فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ } [التوبة: ٥٨].

قال ابن مكرم: من زعم أن عبد الحميد أكتب من أبي العيناء إذا أحس بكرمٍ أو شرع في طمعٍ فقد وهم.

كتب إلى عبيد الله بن سليمان وقد نكبه وأباه المعتمد، وهما مطالبان بمالٍ، يبيعان له ما يملكان من عقار وأثاثٍ، وعبدٍ وأمةٍ. وأعطى بخادمٍ أسود لعبيد الله خمسون ديناراً؛ فكتب إليه أبو العيناء: قد علمت - أطال الله بقاءك - أن الكريم المنكوب أجدى على الأحرار من اللئيم الموفور لأن اللئيم يزيد مع النعمة لؤماً، ولا تزيد محنة الكريم إلا كرماً، هذا متكلٌ على رازقه، وهذا يسيء الظن بخالقه. وعبدك إلى ملك كافورٍ فقيرٌ، وثمنه على ما اتصل به يسير؛ فإن سمحت فتلك منك عادتي، وإن أمرت بأخذ ثمنه فمالك منه مادتي. أدام الله لنا دولتك، واستقبل بالنعمة نكبتك، وأدام عزك وكرامتك.

فوهب الخادم إليه.

قال أبو العيناء: قال ملكٌ لبنيه: صفوا لي شهواتكم من النساء. فقال الأكبر: تعجبني القدود والخدود والنهود. وقال الأوسط: تعجبني الأطراف والأعطاف والأرداف. وقال الأصغر: تعجبني الشعور والثغور والنحور[1].

كلامٌ لأبي العيناء في الكتاب والشعراء :

كان بين أبي العيناء وبين إبراهيم بن رباح خلة ومودة وصداقةٌ قديمة؛ فلما نكب مع الكتاب في أول خلافة الواثق أنشأ أبو العيناء كلاماً حكاه عن بعض الأعراب؛ فلما وصل إلى الواثق وقرئ عليه. قال: واضع هذا الكلام ما أراد به غير إبراهيم بن رباح، وكان أحد أسباب الرضا عنه. ونسخة الكلام: قال: لقيت أعرابياً من أهل البادية، فقلت: ما عندك من خبر البلاد؟ قال: قتل أرضاً عالمها. قلت: فما عندك من خبر الخليفة؟

(١) الآبي، نثر الدر، ١ /٢٣٤.

قال: تبجبح في عزةٍ فضرب بجرانه، وأخذ الدرهم من مصره، وأرعف كل قلم خيانته.

قلت: فما عندك من خبر ابن أبي دواد؟ قال: عضلةٌ لا تطاق، وجندلةٌ لا ترام، ينتحى بالمدى لنحره فتحور، وتنصب له الحبائل حتى يقول: الآن، ثم يضبر ضبرة الذئب، ويتملس تملس الضب، والخليفة يحنو عليه، والعراق يأخذ بضبعيه.

قلت: فما عندك من خبر عمر بن فرج؟ فقال: ضخامٌ حضجر وغضوبٌ هزبرٌ، قد أهدفه القوم لبغيهم، وانتضوا له عن قسيهم، وأحر له بمثل مصرع من يصرع منهم.

قلت: فما عندك من خبر ابن الزيات؟ قال: ذاك رجلٌ وسع الورى بشره، وبطن بالأمور خبره، فله في كل يومٍ صريعٌ لا تظهر فيه آثار مخلبٍ ولا نابٍ، إلا بتسديد الرأي.

قلت: فما عندك من خبر إبراهيم بن رباح؟ قال: ذاك رجلٌ أوبقه كرمه، وإن يفز للكرام قدحٌ فأحر بمنجاته، ومعه دعاءٌ لا يخذله، وفوقه خليفةٌ لا يظلمه.

قلت: فما عندك من خبر نجاح بن سلمة؟ قال: لا دره من خافض أوتادٍ، يقد كأنه لهب نارٍ، له في الفينة بعد الفينة جلسة عند الخليفة كحسوة طائر، أو كخلسة سارق، يقوم عنها، وقد أفاد نعماً، وأوقع نقما.

قلت: فما عندك من خبر الفضل بن مروان؟ قال: ذاك رجلٌ حشر بعد ما قبر، فله نشرة الأحياء، وفيه خفوت الموتى.

قلت: فما عندك من خبر أبي الوزير فقال: إخاله كبش الزنادقة. ألا ترى أن الخليفة إذا أهمله خضم فرتع، حتى إذا أمر بنقضه أمطر فأمرع؟.

قلت: فما عندك من خبر أحمد بن الخصيب؟ فقال: أحمد أكل أكلة نهم؛

فأخلف خلفة بشم.

قلت: فما عندك من خبر المعلى بن أيوب؟ قال: ذاك رجلٌ قد من صخرة، فصبره صبرها، ومسه مسها.

قلت: فما عندك من خبر أحمد بن إسرائيل؟ قال: كتومٌ غرورٌ، وجلدٌ صبورٌ، له جلد نمر، كلما قدوا له إهاباً أنشأ الله له إهاباً.

قلت: فما عندك من خبر عبد الله بن يعقوب؟ قال: " أمواتٌ غير أحياءٍ وما يشعرون أيان يبعثون ".

قلت: فما عندك من خبر سليمان بن وهب؟ فقال: ذاك رجلٌ اتخذه السلطان أخاً، فاتخذ نفسه للسلطان عبداً.

قلت: فما عندك من خبر أخيه الحسن؟: فقال: شد ما استنوقت مسألتك ذاك حرمةٌ حبست بجريرة المجرم، ليس في القوم في خلٍّ ولا خمرٍ، هيهات:

كتب الحبس والخراج عليهم ::: وعلى المحصنات جر الذيول

قال: قلت: أين منزلك فأؤمك؟ قال: ما لي منزلٌ. إنما أستتر في الليل إذا التبس، وأظهر في النهار إذا تنفس.

كلامٌ لأبي العيناء في ذم الوزراء:

وهذا كلامٌ لأبي العيناء، نسبه إلى جماعةٍ من كتاب الحضرة وغيرهم في ذم أحمد بن الخصيب وزير المستعين، قال: ذكر عند أبي العباس محمد بن

عبد الله بن طاهر أحمد بن الخصيب؛ فقال: ما زال يخرق ولا يرقع، وما زلت منذ ارتفع، أتذكر الذي فيه وقع. وذكر بغا؛ فقال: أبطرته النعمة، فعاجلته النقمة.

وذكر جعفر بن عبد الواحد فقال: أحسن حسناته سيئةٌ، وأصغر سيئاته كبيرة.

وذكر هارون بن عيسى فقال: كانت دولته دولة المجانين خرجت من الدنيا والدين.

وذكر عبد الله بن محمد بن داود الهاشمي المعروف بأترجة، فقال: بعد من الشرف فتحامل عليه، وقرب من ضلٍّ فمال إليه.

وذكر إسحاق بن إبراهيم المصعبي؛ فقال: ما كان أتم شرته، إن دنوت منه غرك، وإن بعدت منه ضرك.

وذكر وصيف فقال: ترك العقلاء على يأسٍ من مرتبته، والجهال على رجاءٍ لدرجته، وذكره موسى بن بغا؛ فقال: لولا أن القدر يغشي البصر ما نهى بيننا ولا أمر.

وذكر صالح بن وصيف؛ فقال: تجبر وتكبر وتذمر ودبر فدمر.

وذكر سليمان بن يحيى فقال: لم تتم له نعمة؛ لأنه لم تكن في الخير همة.

وذكر الفضل بن عباس فقال: إن لم يكن تاريخ البلاء فما أعظم البلوى.

وذكر الفضل بن مروان قال: فما أجهل من يستجهله أولم يخبر بأمر يجهله؟.

وذكر عيسى بن فرخانشاه؛ فقال: أعقل منه مجنون، وأحسن منه معدوم[(١)].

وذكر إسحاق بن منصورٍ؛ فقال: لو طلب العافية لوجدها، ما أدبرت عنه حتى أدبر عنها.

وذكر الحسن بن مخلد، فقال: لئن كان دخل مدخلا لا يشبهه لقد خرج مخرجاً يشبهه.

---

(١) الآبي، نثر الدر، ١ /٢٣٥.

وذكر أحمد بن إسرائيل؛ فقال: كنا إذا عصيناه عرضنا بأنفسنا، وإذا أطعناه فسد تدبيرنا.

وذكر داود بن محمد الطوسي. فقال: ما أحسن قط إلا غلطاً، ولا أساء إلا تعمداً.

وذكر المعلى، فقال: ما أعجب ما نكب ونعمته أعجب من نكبته.

وذكر ميمون بن إبراهيم، فقال: لو تأمل رجل أفعاله فاجتنبها، لاستغنى عن الآداب أن يطلبها.

وذكر ابن أبي الشوارب، فقال: كان يحمد المحسنين، ويجتنب أفعالهم، ويذم المسيئين، ويعمل أعمالهم.

وذكر خالد بن صبيح، فقال: هو كما قال فلانٌ: ملأ يساره سلحا، وبسط يمينه سطحا، وقال: انظروا في سطحي، وإلا لطختكم بسلحي.

وذكر شجاع بن القاسم، فقال: الحزم ما فعلنا، ولو لم نعاجله لعاجلنا.

وذكر داود بن الجراح، فقال: كان لا يرضى أحداً ولا يرضاه أحد، فضروه إذ لم يرضوه، ولم يضرهم إذ لم يرضهم.

وذكر أحمد بن صالح، فقال: كان لا يغتم إلا لما فاته من الشر، ولا يسر إلا بما فاته من الخير.

وذكر محمد بن نجاح، فقال: لئن كانت النعمة عظمت على قومٍ خرجت عنهم، لقد عظمت المصيبة على قومٍ نزلت فيهم.

وذكر علي بن يحيى، فقال: لم يكن له أولٌ يرجع إليه، ولا آخرٌ يعول عليه، ولا عقلٌ فيذكر عاقلٌ لديه.

وذكر علي بن الحسن الإسكاف، فقال: كان الجاهل يغبطنا بتكرمته، والعاقل يرحمنا من سوء عشرته.

وذكر ابن محمد بن فيروزٍ، فقال: حظٌّ في السحاب، وعقلٌ في التراب.

وذكر محمد بن موسى بن شاكر المنجم، فقال: قبحه الله إن ذكرت له

ذا فضلٍ تنقصه لما فيه من ضده، أو ذكرت ذا نقص تولاه لما فيه من شكله.

وذكر يزيد المهلبي، فقال: كانت يده تمنع، ونفسه لا تشبع، ويرتع ولا يرتع.

وذكر ابن طالوتٍ، فقال: كان العقل مأسوراً في سلطانه، فلما سيره أطلق من لسانه.

وذكر محمد بن علي بن عصمة، فقال: ما كان أقرب وليه مما يكره، وعدوه مما يحب.

وذكر ابن جبل؛ فقال: ما زال ينقص ولا يزيد، ويتوعد حتى حل به الوعيد.

وذكره عبد الله بن محمدٍ، فقال: لو أقام لسرنا؛ فأما إذ سار فقد أقمنا.

وذكره ابن حمدون؛ فقال: لئن فضحته القدرة لقد جملته النكبة.

وذكره ابن أبي الأصبع، فقال: ما علمت خدمة الشياطين، إلا أيسر من خدمة المجانين؛ كان غضبه علينا إذا أطعناه أشد من غضبه إذا خالفناه.

وذكره إبراهيم بن رباح؛ فقال: كان لا يفهم ولا يفهم، وينقض ما يبرم.

وذكر سعيد بن حميدٍ فقال: كان إذا أصاب أحجم، وإذا أخطأ صمم.

وذكر سعيد بن عبد الملك، فقال: كان يخافه الناصح، ولا يأمنه الغاش، ولا يبالي أن يراه الله مسيئاً.

وفي علم الله ما كفاك:

عزى أبو العيناء ابن الرضا رضي الله عنهما عن ابنه؛ فقال له: أنت تجل عن وصيتنا، ونحن نقل عن عظتك. وفي علم الله ما كفاك، وفي ثواب الله ما عزاك[1].

(١) الآبي، نثر الدر، ١ /٢٣٦.

عقم والله البيان:

وكتب إلى عبيد الله بن سليمان: أنا وولدي وعيالي زرعٌ من زرعك؛ إن سقيته راع وزكا، وإن جفوته ذبل وذوى. وقد مسني منك جفاءٌ بعد بر، وإغفالٌ بعد تعهد، حتى شمت عدوٌّ، وتكلم حاسد، ولعبت بي ظنون رجال، وشديدٌ عادةٌ منتزعة وعزاه عن أبيه، فقال: عقم والله البيان، وخرست الأقلام، ووهى النظام.

أحمد الله على ما تأتت إليه أحوالك:

وكتب إلى عيسى بن فرخانشاه: أنا أحمد الله على ما تأتت إليه أحوالك، ولئن كانت أخطأت فيك النعمة، لقد أصابت فيك النقمة، ولئن أبدت الأيام مقابحها بالإقبال عليك، لقد أظهرت محاسنها بالانصراف عنك.

ولكني رأيت الحزم أخذ العاجل:

وكتب إلى صديق له تولى ناحية: أما بعد؛ فإني لا أعظك بموعظة الله؛ لأنك غنيٌّ عنها، ولا أرغبك في الآخرة؛ لمعرفتي بزهدك فيها. ولكني أقول كما قال الشاعر:

أحاربن عمرٍ قد وليت ولايةً ::: فكن جرذاً فيها تخون وتسرق
وكاثر تميماً بالغنى، إن للغنى ::: لساناً به المرء الهيوبة ينطق

واعلم أن الخيانة فطنة، والأمانة خرق، والجمع كيسٌ، والمنع صرامة، وليست كل يوم ولايةٌ، فاذكر أيام العطلة، ولا تحقرن صغيراً، فمن الذود إلى الذود إبل، والولاية رقدةٌ، فتنبه، قبل أن تنبه وأخو السلطان أعمى، عن قليل سوف يبصر. وما هذه الوصية التي أوصى بها يعقوب بنيه، ولكني رأيت الحزم أخذ العاجل، وترك الآجل.

أمل كاذبٌ:

وكتب إلى عيسى بن فرخانشاه: أصبحت منك بين أمرين عجيبين؛ إن

غبت عنا - ولا يغيبنك الله - لزمنا الخوف، واستخف بنا الناس، ولاحظونا بالوعيد، وسدوا علينا أبواب المنافع؛ فإذا ظهرت ففقرٌ حاضر، وأمل كاذبٌ، وحرمانٌ شامل، كنت أسألك كذا فاستكثرته، وما ظننتك تستكثر. هذا الولي مؤمل بي إليك، فكيف لولدك الذي غذى بعمتك وتخرج في دواوينك، فوالله ما كان أملٌ سواك، ولا خطر من مكاره الدنيا شيءٌ فأخطرتك بقلبي إلا هان وخف عندي.

ويزيدك إذا زدت:

وكتب إلى بعضهم: نحن أعز الله الأمير إذا سألنا الناس كف الأذى سألناك بذل الندى، وإذا سألناهم العدل، سألناك الفضل، وإذا سررناهم بسط العذر سررناك باستدعاءٍ البر.

وكتب في فصل: قد آمن الله خائفك من ظلمك، وسائلك من بخلك، والعائذ بك من مالك، والمستزيد لك من علمك، وإن الله لم يزل يعطيك إذا أعطيت، ويزيدك إذا زدت.

لو حدثت أحداً حدثتك:

قال أبو العيناء: أتيت عبد الله بن داود الخريبي؛ فقال: ما جاء بك؟ فقلت: طلب الحديث، قال: اذهب فتحفظ القرآن، قلت: قد حفظت القرآن. قال: فاقرأ: {وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ} [يونس: ٧١]. قال: فقرأت العشر، قال: فاذهب الآن وتعلم الفرائض. قال: قلت: قد تعلمت الجد والصلب والكبد، قال: فأيما أقرب إليك: ابن أخيك أو ابن عمك؟ قال: قلت: ابن أخي، قال: ولم؟ قلت: لأن أخي من أبي، وعمي من جدي. قال: اذهب الآن وتعلم العربية. قلت: علمت ذاك قبل هذين. قال: فلم؟ قال عمر بن الخطاب: يا لله، يا للمسلمين. قال: قلت: فتح تلك للاستغاثة، وكسر هذه للاستنصار. قال: لو حدثت أحداً حدثتك.

حتى تكون فوق من أنت دونه:

سب رجلٌ من العلوية أبا العيناء، فقال له أبو العيناء: ما أحوج شرفك إلى من تصونه حتى تكون فوق من أنت دونه[1].

ناد عليه بالبراءة ممّا فيه:

قال علي بن سليمان الأخفش سمعت أبا العيناء يقول: كنت يوماً في الورّاقين إذ رأيت منادياً مغقّلاً في يده مصحف مخلّق الأداة، فقلت له: ناد عليه بالبراءة ممّا فيه وأنا أعني أداته فأقبل ينادي بذلك، فاجتمع أهل السّوق والمارّة على المنادي، وقالوا لهُ: يا عدوّ الله تنادي على مصحف بالبراءة ممّا فيه قال وأوقعوا به فقال لهم ذلك الرّجل القاعد أمرني بذلك، فتركوا المنادي وأقبلوا عليّ ورفعوني إلى الوالي، وكتب في أمري إلى السلطان فأمر بحملي فحملت مستوثقاً مني واتصل خبري بابن أبي داؤدٍ، فلم يزل يتلطّف في أمري حتى خلّصني.

أنا لم أعلم إني اشتريت جالينوس:

قال أبو العيناء كان سبب خروجي من البصرة وانتقالي عنها أني مررت بسوق النّخّاسين يوماً فرأيت غلاماً ينادي عليه وقد بلغ ثلاثين ديناراً وهو يساوي ثلاث مئة دينار فاشتريته وكنت أبني داراً فدفعت إليه عشرين ديناراً على أن ينفقها على الصّنّاع، فجاءني بعد أيّام يسيرة فقال: قد نفدت النّفقة قلت: هات حسابك فرفع حساباً بعشرة دنانير، قلت: فأين الباقي، قال: اشتريت به ثوباً مصمتاً وقطعته، قلت: ومن أمرك بهذا، قال: يا مولاي لا تعجل، فإن أهل المروءات والأقدار لا يعيبون على غلمانهم، إذا فعلوا فعلاً يعود بالزّين على مواليهم، فقلت في نفسي: أنا اشتريت الأصمعي، ولم أعلم، قال: وكانت في نفسي امرأة أردت أن أتزوّجها سرّاً من ابنة عمي فقلت له يوماً: أفيك خيرٌ؟ قال: إي لعمري فأطلعته على الخبر، فقال: أنا نعم العون لك فتزوجت، ودفعت إليه ديناراً، فقلت له:

---

(١) الآبي، نثر الدر، ١ /٢٣٧.

اشتر لنا كذا وكذا، ويكون فيما تشتريه سمكٌ هازبى فمضى ورجع وقد اشترى ما أردت إلا أنّه اشترى سمكاً مارماهى فغاظني، فقلت: ألـيس أمرتك أن تشتري هازبى، قال: بلى، ولكنّي رأيت بقراط يقول إنّ الهازبى يولّد السّوداء ويصف المارماهى، ويقول: إنّه أقل غائلة، فقلت: أنا لم أعلم إني اشتريت جالينوس، وقمت إليه فضربته عشر مقارع، فلمّا فرغت من ضربه أخذني، وأخذ المقرعة، وضربني سبع مقارع، وقال: يا مولاي الأدب ثلاث والسبع فضلٌ، ولذلك قصاصٌ فضربتك هذه السبع، خوفاً عليك من القصاص يوم القيامة، فغاظني جدّاً فرميته، فشججته، فمضى من وقته إلى ابنة عمي فقال لها:
يا مولاتي: الدين النصيحة، وقد قال النبي :**من غشّنا فليس منا** وأنا أعلمك أنّ مولاي قد تزوّج.

واستكتمني فلمّا قلت له لا بدّ من إعلام مولاتي ضربني بالمقارع، وشجّني فمنعتني بنت عمّي من دخول الدار، وحالت بيني وبين ما فيها، فلم أر الأمر يصلح إلاّ بأن طلقت المرأة التي تزوّجتها، فصلح أمري مع ابنة عمّي، وسمّت الغلام النّاصح فلم يتهيّأ لي أن أكلّمه، فقلت: أعتقه وأستريح لعلّه أن يمضي عنّي فأعتقته فلزمني قال: الآن وجب حقك عليّ ثمّ إنّه أراد الحجّ فجهّزته وزوّدته وخرج فغاب عليّ عشرين يوماً، ثمّ رجع فقلت له: لم رجعت قال قطع الطريق وفكّرت فإذا الله تعالى يقول:{وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا } [آل عمران: ٩٧]، وكنت غير مستطيع وفكرت فإذا حقك عليّ أوجب، فرجعت، ثم أراد الغزو فجهزته فشخص، فلمّا غاب عني بعت كل ما أملكه بالبصرة من عقارٍ وغيره، وخرجت عنها خوفاً أن يرجع(١).

وإذ هو عز و جل:

قال أبو العيناء: حضرت مجلس بعض المحدثين المغفلين فأسند حديثا

(١) ابن الجوزى، أخبارالظراف والمتماجنين، ص ٩١.

عن النبى عن جبرائيل عن الله عن رجل فقلت: من هذا الذي يصلح أن يكون شيخ الله فإذا هو قد صحفه وإذ هو عز و جل.

احفظ مكاني حتى أجيء:

عن أبي العيناء قال: كان المدني في الصف من وراء الإمام فذكر الإمام شيئا فقطع الصلاة، وقدم المدني ليؤمهم، فوقف طويلا، فلما أعيا الناس سبحوا له وهو لا يتحرك، فنحوه وقدموا غيره فعاتبوه، فقال: ظننته يقول لي احفظ مكاني حتى أجيء [(١)].

يعرض أقوال النحويين على رجل يموت:

وعن أبي العيناء عن العطري الشاعر أنه دخل إلى رجل عندنا بالبصرة وهو يجود بنفسه، فقال له: يا فلان قل لا إله إلا الله وإن شئت، فقل: لا إله إلا الله، والأولى أحب إلى سيبويه، ثم اتبع أبو العيناء ذاك بأن قال: سمعتم ابن الفاعلة يعرض أقوال النحويين على رجل يموت [(٢)].

ولدت أيام البراغيت:

قال أبو العيناء: كنت بحمص فمات لجار لي بنت فقيل له: كم لها، قال: ما أدري ولكنها ولدت أيام البراغيت.

يا أبا العيناء ما هذا؟:

قال أبو العيناء: أنشدني المعتصم بعقب مدح جرى لبغداد:

سقاني بعينيه كأس الهوى ::: فظلت وبي منه مثل اللمم
بعيني مهاةٍ شقيقته ::: وشنبٍ عذابٍ وفرعٍ أحم

قال أبو العيناء: فتوهمت أنه يعني سر من رأى ويكني عنها بذلك الكلام، فقلت: يا أمير المؤمنين قال مروان في جدك قريش: الأبلج ذو البهاء غيث العفاة غد الأنواء وهم زمام الدولة الزهراء. فقال: قل يا أبا

(١) ابن الجوزي، أخبار الحمقى والمغفلين، ص ١١١.
(٢) ابن الجوزي، أخبار الحمقى والمغفلين، ص ١٢٠.

عبد الله في مدح بني هاشم لك ولغيرك فلقد أصبت مقالاً، فأنشدته لمروان بن أبي حفصة:

إلى ملك مثل بدر الدجى ::: عظيم الفناء رفيع الدعم
قريع نزارٍ غداة الفخار ::: ولو شئتُ قلتُ جميع الأمم
له كفٌّ جودٍ تفيد الغنى ::: وكفٌّ تبيد بسيف النِّقم

فقال: زدني، فأنشدته:

انتجعي يا ناق ملك غالب ::: قريش بطحاء أولي الأهاضب
والرأس ممدودٌ على المناكب ::: مدَّ القباطيّ على المشاجب

فقال: زدني، فأنشدته:

يا قطب رجراجة الملحاء ::: ومنزل البدر من السماء

فقال: حسبك يا أبا عبد الله. ثم التفت إلى جارية بين يديه فقال: عشر بدر ووصيفة وفرساً ومملوكاً وخمسين ثوباً الساعة، فجيء بذلك كله، فأعطاه إياه وانصرف. فقال له الناس: يا أبا العيناء ما هذا؟ قال: مال الله على يد عبد الله، الحمد لله والشكر لأمير المؤمنين ما دامت السماء وما حملت مقلتاي الماء.

الطينة الملعونة والدعوة المشؤومة:

وقيل لأبي العيناء: ما بال العمى قد صار في صغاركم وكباركم حتى إنه يلحق الطفل منكم؟ فقال: نعم الطينة الملعونة والدعوة المشؤومة، وذلك أنه سلم بعض الخلفاء رجلاً من آل أبي طالب إلى جدنا الأكبر فقتله، ودعا عليه فلحقتنا دعوته فما تراه فهو من تلك الدعوة.

قد أحسنت في إساءتها:

وعرضت على المتوكل جارية شاعرة فقال أبو العيناء يستجيزها: أحمد الله كثيرا، فقالت: حيت أنشأك ضريرا، فقال: يا أمير المؤمنين قد أحسنت في إساءتها فاشترها.

أنت الحال:

وقال عبد الله بن يحيى لأبي العيناء كيف الحال قال: أنت الحال، فانظر كيف أنت لنا، فأمر له بمال جزيل، وأحسن صلته.

لا أكثر الله في المسلمين مثله:

وقال أبو العيناء رأيت جارية مع النخاس وهي تحلف ألا ترجع لمولاها فسألتها عن ذلك، فقالت: يا سيدي إنه يواقعني من قيام، ويصلي من قعود، ويشتمني بإعراب، ويلحن في القرآن، ويصوم الخميس والاثنين ويفطر رمضان، ويصلى الضحي، ويترك الفرض، فقلت: لا أكثر الله في المسلمين مثله.

فقد الشباب وفرقه الأحباب:

وقال أبو العيناء: حصلت لي ضيقه شديدة فكتمتها عن أصدقائي فدخلت يوما على يحيى بن أكثم القاضي، فقال: إن أمير المؤمنين جلس للمظالم وأخذ القصص فهل لك في الحضور، قلت: نعم فمضيت معه إلى دار أمير المؤمنين، فلما دخلنا عليه أجلسه وأجلسني، ثم قال: يا أبا العيناء بالألفة والمحبة ما الذي جاء بك في هذه الساعة، فأنشدته:

(لقد رجوتك دون الناس كلهم ::: وللرجاء حقوق كلها تجب)
(إن لم يكن لي أسباب أعيش بها ::: ففي العلا لك أخلاق هي السبب)

فقال: يا سلامة انظر أي شيء في بيت مالنا دون مال المسلمين، فقال: بقية من مال، قال: فادفع له منها مائة ألف درهم، وابعث له بمثلها في كل شهر، فلما مرّ أحد عشر شهرا مات المأمون، فبكي عليه أبو العيناء، حتى تقرحت أجفانه فدخل عليه بعض أولاده، فقال: يا أبتاه بعد ذهاب العين ماذا ينفع البكاء فأنشأ أبو العيناء يقول:

(شيئان لو بكت الدماء عليهما ::: عيناى حتى يؤذنا بذهاب)
(لم يبلغا المعشار من حقيهما ::: فقد الشباب وفرقة الأحباب)

بينهما جوع يقلقل الكبد:

وشكا أبو العيناء إلى صديق له سوء الحال، فقال: اشكر، فإن الله قد

رزقك الإسلام والعافية، قال: أجل ولكن بينهما جوع يقلقل الكبد.

سورة الحمد:

وكان جماعة يجلسون إلى أبي العيناء، وفيهم رجل لا يتكلم، فقيل له يوما: كيف علمك بكتاب الله، قال: أنا عالم به، فقيل له هذه الآية في أي سورة: (الحمد لله لا شريك له) فقال له: في سورة الحمد فضحكوا عليه[1].

لأنه يتعذر عليه لقاء مولاه:

دخل أبو العيناء على المتوكل فقال: كيف كنت بعد؟ قال: في أحوال مختلفة، خيرها رؤيتك وشرها غيبتك، فقال: قد والله اشتقتك قال: إنما يشتاق العبد؛ لأنه يتعذر عليه لقاء مولاه، وأما السيد فمتى أراد عبده دعاه.

ما أرانا إلا كما كنا:

وقال له المتوكل: من أسخى من رأيت؟ قال: ابن أبي دواد، قال المتوكل: تأتي إلى رجل رفضته فتنسبه إلى السخاء؟ قال: إن الصدق يا أمير المؤمنين ليس في موضع من المواضع أنفق منه في مجلسك؛ وإن الناس يغلطون فيمن ينسبونه إلى الجود؛ لأن سخاء البرامكة منسوب إلى الرشيد، وسخاء الفضل والحسن ابني سهل منسوب إلى المأمون، وجود ابن أبي دواد منسوب إلى المعتصم؛ فإذا نسب الناس الفتح، وعبيد الله ابني يحيى إلى السخاء فذلك سخاؤك يا أمير المؤمنين، قال: صدقت؛ فمن أبخل من رأيت؟ قال: موسى ابن عبد الملك، قال: وما رأيت من بخله؟ قال: رأيته يخدم القريب كما يخدم البعيد، ويعتذر من الإحسان كما يعتذر من الإساءة، فقال له: قد وقعت فيه عندي مرتين، وما أحب لك ذلك؛ فألقه واعتذر إليه، ولا يعلم أني وجهت بك، قال: يا أمير المؤمنين، من

(١) أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب،٣ /١٥٠.

يستكتمني بحضرة ألف؟ قال: لن تخاف، قال: على الاحتراس من الخوف.

فصار إلى موسى فاعتذر كل واحد منهما إلى صاحبه، وافترقا عن صلح؛ فلقيه بعد ذلك بالجعفري، فقال: يا أبا عبد الله، قد اصطلحنا، فما لك لا تأتينا؟ قال: أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس؟ فقال موسى: ما أرانا إلا كما كنا [(١)].

فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين:

وذكر أبو العيناء رجلا، فقال: ضحك كالبكاء، وتودد كالعزاء، ونوادر كندب الموتى وكان يهاتر ابن مكرم كثيرا، وكتب إليه ابن مكرم يوما: قد ابتعت لك غلاما من بني ناشر، ثم من بني ناعظ، ثم من بني نهد. فكتب إليه: فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين[(٢)].

حجتك الداحضة.. أبلغ من حجة غيرك البالغة:

حمل محمد بن عبيد الله بن خاقان أبا العيناء على دابة زعم أنها غير فاره، فكتب إليه: أعلم الوزير، أعزه الله، أن أبا علي محمدا أراد أن يبرني فعقني، وأن يركبني فأرجلني، أمر لي بدابة تقف للنبرة، وتعثر بالبعرة، كالقضيب اليابس عجفا؛ وكالعاشق المهجور دنفا، قد أذكرت الرواة عذرة العذري، والمجنون العامري، مساعد أعلاه لأسفله، حباقه مقرون بسعاله، فلو أمسك لترجيت، ولو أفرد لتعزيت، ولكنه يجمعهما في الطريق المعمور، والمجلس المشهور، كأنه خطيب مرشد، أو شاعر منشد، تضحك من فعله النسوان، وتتناغى من أجله الصبيان؛ فمن صائح يصيح: داوه بالطباشير، ومن قائل يقول: نوله الشعير، قد حفظ الأشعار، وروى الأخبار، ولحق العلماء في الأمصار، فلو أعين بنطق؛ لروى بحق وصدق، عن جابر الجعفي، وعامر الشعبي؛ وإنما أتيت من كاتبه

(١) أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني، زهر الآداب وثمر الألباب، ١ /٢٦٥.
(٢) أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني، زهر الآداب وثمر الألباب، ١ /٢٦٨.

الأعور، الذي إذا اختار لنفسه أطاب وأكثر، وإن اختار لغيره أخبث وأنزر؛ فإن رأى الوزير أن يبدلني به، ويريحني منه بمركوب يضحكني كما ضحك مني، يمحو بحسنه وفراهته، ما سطره العيب بقبحه ودمامته؛ ولست أذكر أمر سرجه ولجامه؛ فإن الوزير أكرم من أن يسلب ما يهديه، أو ينقض ما يمضيه.

فوجه عبيد الله إليه برذونا من براذينه بسرجه ولجامه، ثم اجتمع مع محمد بن عبيد الله عند أبيه، فقال عبيد الله: شكوت دابة محمد، وقد أخبرني الآن أنه يشتريه منك بمائة دينار، وما هذا ثمنه لا يشتكى.

فقال: أعز الله الوزير، لو لم أكذب مستزيدا، لم أنصرف مستفيدا، وإني وإياه لكما قالت امرأة العزيز: {ٱلْـَٔـٰنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ} [يوسف: ٥١]. فضحك عبيد الله، وقال: حجتك الداحضة بملاحتك وظرفك أبلغ من حجة غيرك البالغة[١].

بين أبي العيناء وابن ثوابة:

وكان أبو العيناء يعادي ابن ثوابة لمعاداته لأبي صقر؛ فاجتمعا في مجلس صاعد في غد ذلك اليوم، فتلاحيا، فقال ابن ثوابة: أما تعرفني؟ فقال: بلى أعرفك ضيق الطعن، كثير الوسن، خارا على الذقن، وقد بلغني تعديك على أبي الصقر، وإنما حلم عنك؛ لأنه لم يجد لك عزا فيذله، ولا علوا فيضعه، ولا مجدا فيهدمه؛ فعاف لحمك أن يأكله، ودمك أن يسفكه، فقال ابن ثوابة: ما تساب إنسانان إلا غلب ألأمهما، فقال أبو العيناء: فلهذا غلبت بالأمس أبا الصقر[٢].

المحسن في كلامه ابتداء والمسيء انتهاء:

تكلم ابن ثوابه فأحسن في أوله ثم غلط في آخره. فقال أبو العيناء:

---

(١) أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني، زهر الآداب وثمر الألباب، ١ /٤٨٣.
(٢) أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني، زهر الآداب وثمر الألباب، ٢ /١٨٥.

ترفعت حتى خفتك ثم تخفضت حتى عفتك. وتكلم رجل فأحسن ثم أعاد فأساء. فقال له أعرابي: إنك تسترجع محاسنك.

تحريض الوالي على الإكتساب:

كتب أبو العيناء إلى صديق له تولى عملاً: أما بعد فإني لا أعظك بموعظة الله تعالى، لأنك غني عنها، ولا أخوفك إياه لأنك لا تخافه، ولكني أقول ما قاله الشاعر:

أحار بن عمر وقد وليت ولاية ::: فكن جرذاً فيها تخون وتسرق
وباه تميماً بالغنى. إن للغنى ::: لساناً به المرء الهيوبة ينطق!

واعلم أن الخيانة فطنة والأمانة خرفة، والجمع كيس والمنع صرامة، فاذكر أيام العطلة في حال الولاية، ولا تحقرن شيئاً صغيراً فالذود إلى الذود إبل، والولاية رقدة، فتنبه قبل أن تنبه، وأخو السلطان أعمى عن قليل سوف يبصر، وما هذه الوصية كما أوصى به الحكماء، ولكني رأيت الحزم في أخذ العاجل وترك الآجل!

وصف الحسد بأنه أعظم عداوة:

قال أبو العيناء: إذا أراد الله أن يسلط على عبده عدواً لا يرحمه، سلط عليه حاسداً.

الحكم بين فاضل ونذل:

سئل أبو العيناء عن رجلين فقال:{وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ} [فاطر: ١٢].

لتأتيك بولد مثلي!:

وقال أبو العيناء: ما أخجلني أحد كما أخجلني ابن صغير لعبد الرحمن ابن رجاء، قلت له يوماً: أبيعك أبوك مني فإني أريد ابناً مثلك؟ فقال: البيع لا يمكن إن شئت احمل أبي على امرأتك لتأتيك بولد مثلي!

أعرف الناس بعوار الناس المعور:

قال أبو العيناء: ما قطعني أحد كما قطعني المهدي فإنه قال: بلغني أنك تغتاب الناس! فقلت له: يبطل ما قيل في شغلي بعيني. فقال: والله ذاك أشد لغيظك على أهل العافية أعرف الناس بعوار الناس المعور.

ومحنة لا منحة:

وكان يجري على أبي العيناء رزق فتأخر عنه فتقاضاه مراراً ثم تركه وقال: لا حاجة لي فيه فهو رق لا رزق، وبلاء لا عطاء، ومحنة لا منحة.

مسنا وأهلنا الضر:

وكتب أبو العيناء إلى ابن أبي دؤاد: مسنا وأهلنا الضر وبضاعتنا المودة والشكر، فإن تعطنا فأنت أهل لذلك، وإن لم تعطنا فلسنا ممن يلمزك في الصدقات، فإن أعطوا منها رضوا، وإن لم يعطوا منها إذاً هم يسخطون.

دابة الأرض:

ووعد رجل أبا العيناء دابة فأخرها. فكتب إليه: إن كانت الدابة التي وعدتني بها دابة الأرض فقد مضى خبرها مع منسأة سليمان، وإن كانت دابة الصفا انتظرنا خبرها مع سابق الحاج، وإن كانت من دواب الدنيا فقد جاز عمر وعدك عمر الدواب، فهيئ لي غيرها، وإن كانت دابة تدفعها إلى في الآخرة فإن الله تعالى يقول: لكل امرئ منهم يومئذٍ شأن يغنيه.

وما يعدهم الشيطان إلا غروراً:

وقيل لأبي العيناء: كيف تركت فلاناً مع قومه؟ قال: يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً.

ما ولاك؟:

وقيل لأبي العيناء: كيف وجدت فلاناً لما قصدته؟ قال: وجدته لا يعود إليه حر! وقصد رجل سلطاناً فلما رجع قيل له: ما ولاك؟ فقال: ولاني

قفاه وأولاني منعه وحماني نفعه.

ماذا يكون كذبه؟:

سأل أبو العيناء رجلاً شيئاً فاعتذر إليه وحلف أنه صادق في اعتذاره، فقال: من كان الصدق حرمان صديقه ماذا يكون كذبه؟

اخسؤوا فيها ولا تكلمون:

كتب ابن مكرم إلى أبي العيناء: عندنا سكباج يرعف المجنون، وحديث يطرب المحزون، وإخوانك الملحدون، فلا تعلوا علي وائتون. فكتب إليه أبو العيناء: اخسؤوا فيها ولا تكلمون.

أين درب الحلاوة؟:

ومن النوادر أن امرأة مرت بأبي العيناء فقالت: أين درب الحلاوة؟قال: بين سراويلك!

ونحو ذلك ما حكي أن أبا العيناء سال ابن أخت أبي الوزير حاجة فلم يقضها له فقال: إنما ألوم نفسي في تأميلك وأنت مضاف إلى مضاف.

ولما أسلم صاعد قصده أبو العيناء مرتين فوجده يصلي فقال: لكل جديد لذة.

الهوى:

وقال أبو العيناء: سألت أعرابياً عن الهوى؛ فقال: هو أظهر من أن يخفى، وأخفى من أن يُرى، كامنٌ ككمون النار في الحجر، إن قدحته أورى، وإن تركته توارى.

فما كان الذنب؟:

وكان عيسى بن فرخان شاه يتيه على أبي العيناء حال وزارته، فلما صرف عن الوزارة لقي أبا العيناء في بعض السكك فسلم عليه سلاما خفيفا، فقال أبو العيناء لقائده: من هذا؟ قال: أبو موسى، فدنا منه حتى أخذ بعنان بغلته وقال: لقد كنت أقنع بإيمائك دون بنانك، وبلحظك دون لفظك، الحمد لله على ما آلت إليه حالك، فلئن كانت أخطأت فيك النعمة، لقد

أصابت فيك النقمة، ولئن كانت الدنيا أبدت صفحاتها بالإقبال عليك، لقد أظهرت محاسنها بالإدبار عنك، ولله المنة إذا أغنانا عن الكذب عليك، ونزهنا عن قول الزور فيك، وقد والله أسأت حمل النعمة، وما شكرت حق المنعم، ثم أطلق يده من عنانه، ورجع إلى مكانه فقيل له: يا أبا عبد الله لقد بالغت في السب، فما كان الذنب؟ قال: سألته في حاجة أقل من قيمته، فردني عنها بأقبح من خلقته.

فما زال الموتى يغبطونكم ويرحمونني بكم:

قال بعض الرؤساء: يا أبا العيناء، لو مت لرقص الناس طرباً وسروراً. فقال بديهة:

أردت مذمتي فأجدت مدحي ::: بحمد الله ذلك لا بحمدك
فلا تك واثقاً أبداً بعمد ::: فقد يأتي القضاء بغير عمدك

ثم قال: أجل الناس قد ذهبوا، فلوا رآني الموتى لطربوا لدخول مثلي عليهم، وحلول عقلي لديهم، ووصول فضلي إليهم، فما زال الموتى يغبطونكم ويرحمونني بكم.

ولسانك الذي هو تحذير:

واتصلت أشغال أبي الصقر الوزير، فتأخر توقيعه عن أبي العيناء برسومه. فكتب إليه: رقعتي، أطال الله بقاء الوزير، رقعة من علم شغلك فاطرح عدلك، وحقق أمرك فبسط عذرك. أما والليل إذا عسعس، فالبنان لبنات الدنان، وملامسات الحسان، وأما والصبح إذا تنفس، فالبنان للعنان، ومؤامرات السلطان، فمن أبو العيناء القرنان. فوقع أبو الصقر تحت سطوره: لكل طعام مكان، ولكل معوز إمكان، وقد وقعنا لك بالرسوم، وجعلنا لك بالرسوم، وجعلنا لك حظاً من المقسوم، وكفينا أنفسنا عذرك الذي هو تعزير، ولسانك الذي هو تحذير. والسلام[1].

---

(١) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ٤ /٦٦.

ثم لقيه أبو العيناء في صدر موكبه فقال: طاعة شيمك لسلطان كرمك، ألزمتك الصبر على ذنوبي إليك، وتجني خلقي عليك. فقال أبو الصقر: كبير حسناتك، يستغرق يسير سيئاتك. فدعا له وانصرف شاكراً. قال: وبسط أبو العيناء لسانه على أهله في بعض الدواوين. فقال له فتى من أبناء الكتاب كانت فيه جرأة: كل الناس لك يا أبا العيناء زوجة، وأنت زوجة أبي علي البصير. فقال له أبو العيناء: قد ملكنا عصمتك بيقين فحواك، ثم ننظر في شكوك دعواك، وقد طلقت الناس كلهم سواك، ذلك أدنى ألا نعول، وفيك ما يروى الفحول، ويتجاوز السول. قال: ففضحه بهذا الكلام، فلم يجبه. قال: وكان في بني الجراح فتى خليع ماجن فأراد العبث بأبي العيناء، فنهاه نصحاؤه فأبى، فقالوا: شأنك. فقال له: يا أبا العيناء، متى أسلمت؟ فقال: حين آمن أهلك وأبوك الذين لم يؤدبوك. فقال له الفتى: إذاً قد علمت أنك ما أسلمت. فقال أبو العيناء: شهادتك لأهلك دعوى، وشهادتي عليهم بلوى، وسترى أي السلطانين أقوى، وأي الشيطانين أغوى، وسيعلم أهلك، ما جنى عليهم جهلك. قال: فأتاه أبوه فتبرأ من ذمته، ودفعه إليه برمته. فقال له أبو العيناء: قد وهبت جوره لعدلك، وتصدقت بحمقه على عقلك.

ومن أخبار أبي العيناء أيضاً: أن محمد بن عبيد الله بن خاقان حمله على برذون زعم أنه غير فاره، فكتب إلى أبيه: أعلم الوزير أعزه الله تعالى أن أبا علي محمداً أراد أن يبرني فعقني، وأن يركبني فأرجلني أمر لي بدابة تقف للنبرة، وتعثر بالبعرة، كالقضيب اليابس عجفاً، وكالعاشق المجهود دنفاً، يساعد أعلاه لأسفله، حباقه مقرون بسعاله، فلو أمسك لترجيت، أو أفرد لتعزيت، ولكنه يجمعهما في الطريق المعمور، والمجلس المشهور، كأنه خطيب مرشد، أو شاعر منشد، تضحك من فعله النسوان، ويتناغى من فعله الصبيان، فمن صائح يصيح: داوه بالطباشير، ومن قائل يقول: نق له من الشعير. قد حفظ الأشعار، وروى الأخبار،

ولحق العلماء في الأمصار، فلو أعين بنطق، لروى بحق وصدق، عن جابر الجعفي، وعامر الشعبي. وإنما أتيت من من كاتبه الأعور، الذي إذا اختار لنفسه أطاب وأكثر، وإذا اختار لغيره أخبث وأنزر. فإن رأى الوزير أن يبدلني ويريحني بمركوب يضحكني كما يضحك مني، يمحو بحسنه وفراهته، ما سطره العيب بقبحه ودمامته. ولست أرد كرامه، سرجه ولجامه، لأن الوزير أكرم من أن يسلب ما يهديه، أو ينقص ما يمضيه فوجه إليه عبيد الله برذوناً من براذينه بسرجه ولجامه. ثم اجتمع محمد بن عبيد الله عند أبيه. فقال عبيد الله لأبي العيناء: شكوت دابة محمد، وقد أخبرني إنه ليشتريه منك الآن بمائة دينار، وما هذا ثمنه فلا يشتكي. فقال: أعز الله الوزير لو لم أكذب مستزيداً، لم أنصرف مستفيداً. وإني وإياه لكما قالت امرأة العزيز: " الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين ". فضحك عبيد الله وقال: حجتك الداحضة، بملاحتك وظرفك أبلغ من حجة غيرك البالغة (1).

إن مسخ الله بعض قضاتنا حماراً أصبت حاجتك:

قال أبو العيناء لبعض سماسرة الحمير: اشتر لي حماراً لا بالطويل اللاحق، ولا بالقصير اللاصق؛ إن خلا الطريق تدقق، وإن كثر الزّحام ترقّق؛ لا يصادم بي السّواري، ولا يدخل تحت البواري؛ إن كثرت علفه شكر، وإن قللته صبر؛ وإن ركبته هام، وإن ركبه غيري قام. فقال به السمسار: إن مسخ الله بعض قضاتنا حماراً أصبت حاجتك، وإلاّ فليست موجودة.

قال أبو العيناء: اشترى للواثق عبد فصيح من البادية، فأتيناه وجعلنا نكتب عنه كل ما يقول، فلما رأى ذلك منا قلب طرفه وقال: الرجز إن تراب قعرها لمنتهب يقال ذلك للرجل تسر الناس رؤيته لانتفاعهم به، والأصل فيه أن الحافر يحفر، فإن خرج التراب مراً علم أنه ملح فلم

(1) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ٤ /٦٧.

يحفر، وإن كان طيباً علم أن الماء عذب فأنبط، فإذا خرج طيباً انتهبه الصبيان سروراً به ومضوا إلى الحي يخبرونهم.

وكيف ذلك؟:

قال أبو العيناء: لما أدخلت على المتوكل عابثني جلساؤه، فلما برزت عليهم قال المتوكل: ادفعوا إليه عشرة آلاف درهم اتقاء للسانه، فقلت: قد قتلتني والله يا أمير المؤمنين، قال لي: ويحك، وكيف ذلك؟ قلت: لأن من خفته لا يعيش، فقال: ليس خوف فرق ولكن خوف صيانة.

تأبى نعماك أن أجده:

ودخل أبو العيناء يوماً على عبد الرحمن بن خاقان، وكان يوماً شاتياً، فقال له عبد الرحمن: كيف تجد هذا اليوم يا أبا عبد الله؟ قال: تأبى نعماك أن أجده.

إيش أنكرت؟:

قال أبو العيناء: قال لي عيسى بن زيد المراكبي، وكان من أملح الناس: كان لي غلام من أكسل خلق الله، فوجهته يوماً ليشتري عنباً رازقياً وتيناً، فزاد وأبطأ على العادة، ثم جاء بعد مدة بعنب وحده، فقلت له: أبطأت حتى نوطت الروح ثم جئت بإحدى الحاجتين؟! فأوجعته ضرباً وقلت: إنه ينبغي لك إذا استقضيتك حاجة أن تقضي حاجتين، لا إذا أمرتك بحاجتين أن تجيء بحاجة؛ ثم لم ألبث بعدها أن وجدت علة فقلت له: امض فجئني بطبيب وعجل، فمضى وجاءني بطبيب ومعه رجل آخر، فقلت له: هذا الطبيب أعرفه، فمن هذا؟ قال: أعوذ بالله منك، ألم تضربني بالأمس على مثل هذا؟! قد قضيت لك حاجتين وأنت استخدمتني في حاجة، جئتك بطبيب ينظر إليك، فإن رجاك وإلا حفر هذا قبرك، فهذا طبيب وهذا حفار. أيش أنكرت؟ قلت: لا شيء يا بن الزانية!

أخشى والله أن أموت من الفرح:

شكا رجل امرأته إلى أبي العيناء، فقال له أبو العيناء: أتحب أن تموت هي؟ قال: لا والله الذي لا إله إلا هو، قال: لم ويحك وأنت معذب بها؟ قال: أخشى والله أن أموت من الفرح.

هم الذين جلوا بكلامهم الأبصار العليلة:

ذكر أبو العيناء الصحابة فقال: هم الذين جلوا بكلامهم الأبصار العليلة، وشحذوا بمواعظهم الأذهان الكليلة، ونبهوا القلوب من رقدتها، ونقلوها من سوء عادتها، فشفوا من داء الشقوة، وغباوة الغفلة، وداووا من العي الفاضح، ونهجوا سبل الطريق الواضح، رحمة الله عليهم أجميعن.

والله ما فيك من العقل شيء:

قال أبو العيناء لرجل: والله ما فيك من العقل شيء إلا بمقدار ما تجب به الحجة عليك، والنار لك.

فلهذا غلبت أبا الصقر بالأمس:

وكان أبو العيناء في جملة أبي الصقر، وكان يعادي ابن ثوابة لمعاداته لأبي الصقر. فاجتمعا في مجلس صاعدٍ، فتلاحيا، فقال له ابن ثوابة: أما تعرفني؟ قال له أبو العيناء: بلى والله، أعرفك ضيق العطن، كثير الوسن، قليل الفطن، خار على الذقن. قد بلغني تعديك على أبي الصقر، وإنما حلم عنك لأنه لم يجد عزاً فيذله، ولا علواً فيضعه، ولا مجداً فيهدمه، فعاف لحمك أن يأكله، وسهك دمك أن يسفكه. فقال له: اسكت، فما تساب اثنان إلا غلب ألأمهما، فقال له أبو العيناء: فلهذا غلبت أبا الصقر بالأمس.

قال أبو العيناء: قلت لمعتوه عندنا مليح في يوم مطر: اخرج معنا إلى المصلى، قال: على أن تعيرني صلعتك أتترس بها من الصبيان.

قال أبو العيناء في رجلين أفسد ما بينهما: تنازعا ثوب العقوق حتى

صدعاه صدع الزجاجة ما لها من جابر.

قيل لأبي العيناء: هل ظفرت بصديق موال؟ قال: ولا بعدو مراءٍ.

أخبرنا أبو العيناء قال: كتب رجل إلى صديق له: أما بعد فإني ما اتهمت حسن ظني بك حين توجه إخائي نحوك، ولا تجدد أملي باعتمادي عليك، ولا استدعتني رغبة فيك إلى من سواك، ولا أراني اختياري غيرك عوضاً منك.

عن أبي العيناء عنه يصف صديقاً: لم أر في الناس وفياً بعد واحد كان أصفى لي مودته، وبذل لي مهجته، كان أطوع لي من كفي، وكنت أذل له من نعله، أتكلم بكلامه فينطق بلساني، إن قلت خيراً أعانني، وإن ملت إلى سيئ ردعني، كان والله إذا قال فعل، وإذا حدث صدق، وإذا أؤتمن لم يخن، ضاحك السن، مسفر الوجه، كان إذا غاب فكأنه شاهدي، وإذا غبت عنه فكأنه يراني، لا ينطق لسانه بخلاف ما يضمر جنانه، لا يدري أينا أسر بصاحبه، ولا أينا أصدق مودة بخليطه، آنس ما كنا إذا اجتمعنا، وأوحش ما كنا إذا افترقنا، ما تفرقنا طول صحبتنا إلا يوماً حسبناه حولاً، أغبط ما كنا إذ رمى الهر فلم يشق إذ رمى من كل روحه روحي، ونفسه أعز علي من نفسي، فليته أصابني وأخطأه، وإذا لم يخطئه أصابني معه، فيكون موتنا معاً كما كان عيشنا معاً، مات فمات الوفاء بعده، خاب الرجاء فما ألذ بعده طعاماً، ولا أسيغ شراباً، غماً له، واكتئاباً عليه، وشوقاً إليه، فلو كنت أقول الشعر لرثيته آخر الدهر، ولأتعبت بالقوافي الكاتبين، فبليت بعده بمن إذا أحببته أبغضني، وإن وددته عاداني، وإن أقبلت نحوه ولى عني، فهو كالذئب والغراب، ما للذئب يناله الغراب، وما للغراب فالذئب لا يطمع فيه، حسبك به غادراً، تراه عن الوفاء مبطئاً، وإلى الخيانة مهملجاً.

قال أبو العيناء: قلت لأعرابي: كيف أنت؟ قال: كما يسرك إن كنت صديقاً، وكما يسوءك إن كنت عدواً.

قال أبو العيناء: مودة الكريم غراس، وشكر الشريف أحسن لباس.

بين ابن مكرم وأبي العيناء:

قدم محمد بن مكرم من الجبل؛ فقال له أبو العيناء: ما لك لم تهد إلينا شيئاً؟ فقال: والله ما قدمت إلا في خف، قال: كذبت، ولو قدمت في خف خفت روحك. وأكثر عليه أبو العيناء من المهاترة، فقال: إن زدت علي قمت، قال: أراك تتهددنا بالعافية.

إذاً لا يعود إلينا منك شيء:

وكانا يشربان يوماً عند صديق لهما، فقال ابن مكرم لصاحب الدار: أقوم إلى الخلاء؛ فقال أبو العيناء: إذاً لا يعود إلينا منك شيء.

قارورة زنبق:

قال أبو العيناء: استودع رجل عند إمام حلته قارورة زنبق فجحده إياها، وقام يصلي بهم شهر رمضان وقرأ:{ قَالُواْ وَأَقْبَلُواْ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ } [يوسف: ٧١]، وكررها. فقال الرجل: قارورة زنبق[١].

أي شيء تشتهي؟:

قال أبو العيناء لابنه وهو مريض: أي شيء تشتهي؟ قال: اليتم.

هل رأيت طالبياً قط حسن الوجه؟:

وقال له المتوكل يوماً: هل رأيت طالبياً قط حسن الوجه؟ قال: يا أمير المؤمنين، ما رأيت أحداً يسأل أعمى عن هذا! قال: لم تكن ضريراً فيما سلف، وإنما سألتك عما تقدم. قال: نعم! رأيت ببغداد منذ ثلاثين سنة فتى ما رأيت أجمل منه، ولا ألطف شمائل. فقال المتوكل: نجده كان مؤاجراً وكنت تقود عليه. فقال أبو العيناء: معاذ الله يا أمير المؤمنين أتراني أترك موالي، وأقود على الغرباء! فقال له المتوكل: اسكت يا مأبون. فقال له: مولى القوم منهم.

(١)الحصري، جمع الجواهر في الملح والنوادر، ص ٧٨.

وكان ولاء أبي العيناء لأبي العباس، فقال المتوكل: قاتله الله! أردت أن أشتفي منه فاشتفى مني[١].

أمان العيناء من الغداء:

دخل أبو العيناء على بعض الرؤساء بكرةً، فاستسقى ماءً؛ فقال له الرجل: أفي هذا الوقت تعطش؟ قال: أصلحك الله، هذا أمان لك من الغداء.

ليس دونها حجاب:

بات أبو العيناء مع ابن مكرم في بيت، فتأذى بغطيطه، فتحول إلى الصفة فلحق به، فصعد إلى الغرفة فسمعه، فقال: ما أشبه نخيرك إلا بدعوة المظلوم، والريح العقيم، ليس دونهما حجاب[٢].

أبو العيناء لا ينسى ما حفظ:

قال أبو الحسين: قدم أبو العيناء البصرة، في سنة نيف وثمانين، بعد الغيبة الطويلة، التي غاب عنها، وخدمته للخلفاء، والوزراء، بسر من رأى.

وكان أبو خليفة، إذ ذاك، عالم البصرة، بالحديث، والأخبار، واللغة، والنحو، ومحمد بن جعفر بن بسام، قاضيها، وكان له محل من الأدب، واللغة، والشعر، كبير، وكنت منقطعاً إليه، ملازماً له، أدرس عليه الفقه، فكان أول من ائتمنني، ورفع شأني.

فقال لي: يا أبا الحسين، قد قدم أبو العيناء، وأحب أن أجمع بينه وبين أبي خليفة، وننظر أثرهما.

فقلت: علي ذلك.قال: فمضيت، ولقيت أبا العيناء، وعقدت عليه وعداً للحضور، عند ابن بسام، وعلى أبي خليفة، فاجتمعا.

فأخذ أبو العيناء، في الرواية عن الأصمعي، ومشاهداته مع المتوكل، وابن أبي دؤاد، وفلان، وفلان، والشعراء.قال: فأسكت أبو خليفة، فلم

(١) الحصري، جمع الجواهر في الملح والنوادر، ص ١٠٧.
(٢) التنوخي، نشوار المحاضرة، ص ١.

ينجر معه، ولم يلحق به.

قال: فأثنينا على أبي العيناء، وقرظناه.

فقال: يا أيها القاضي، أنا لا أنسى ما كنت أحفظه منذ أربعين سنة[١].

أبو العيناء في دار الواثقي أمير البصرة:

وحدثني، قال: حدثني بعض شيوخنا: إن أبا العيناء، قصد دار الواثقي، وهو الأمير بالبصرة - إذ ذاك -، فأجلس في الدهليز ساعة، إلى أن استؤذن له.

وجرى الحديث، فقال رجل، في حديث اقتضى ذلك، يا أبا العيناء، أنت صائم اليوم؟ فقال: أما في هذه الدار، فنعم.

فكتب صاحب الخبر، إلى الواثقي، بذلك، فأذن له في الحال، واعتذر إليه، من إجلاس البوابين له في الدهليز، وأنكر ذلك عليهم.

لبقي منها ما يقضي عليك.:

قال ابن حيان: وأخبرني أبو العيناء، قال: قال رجل لإسماعيل: قد ذهب نصفك.

قال: لو بقيت مني شعرة، لبقي منها ما يقضي عليك.

إن القضاء لا تفتي:

عن أبي العيناء، قال: لما ولي إسماعيل البصرة، دس إليه الأنصاري، - يعني محمد بن عبد الله - إنساناً عن مسألة، فقال: أبقى الله القاضي، رجل قال لامرأته.. فقطع عليه إسماعيل، وقال: قل للذي دسك، إن القضاء لا تفتي.

حملتني عليه أو حملته علي:

حمله بعض الوزراء على دابةٍ، فانتظر علفها، فلما أبطأ عليه قال:

(١) التنوخي، نشوار المحاضرة، ص ١٤٤.

أيها الوزير هذه الدابة حملتني عليه أو حملته علي.

أصبحت بلا بغلٍ:

ووعده ابن المدبر بدابةٍ، فلما طالبه قال: أخاف أن أحملك عليه فتقطعني ولا أراك. فقال: عدني أن تضم إليه حماراً لأواظب مقتضياً.

ووعده أن يحمله على بغل، فلقيه في الطريق؛ فقال: كيف أصبحت يا أبا العيناء؟ قال: أصبحت بلا بغلٍ؛ فضحك من قوله، وبعثه إليه [(١)].

ما هذا الذي أراك تفعله؟:

قال أبو العيناء: رأيت محمد بن مكرم يصلي صلواته كلها ركعتين ركعتين؛ فقلت: يا محمد، ما هذا الذي أراك تفعله؟ قال: عزمت وحياتك على الخروج إلى قم إلى عند أبي.

* * *

(١) الآبي، نثر الدر، ١ /٢٢٩.

أبو دلامة

أعـلام الظرفـاء

أبو دلامة

هو زند بن الجون الاسدي، بالولاء،أبو دلامة، شاعر مطبوع، من أهل الظرف والدعابة، أسود اللون، جسيم وسيم. كان أبوه عبدا لرجل من بني أسد وأعتقه. نشأ في الكوفة ثم انتقل إلي بغداد، أدرك أبو دلامة آخر بني أمية ولم يكن له نباهة في أيامهم، ونبغ في أيام بني العباس، فانقطع إلى أبي العباس السفاح والمنصور والمهدي، وكانوا يقدمونه ويفضلونه ويستطيبون نوادره.وكان يتهم بالزندقة لتهتكه، وأخباره كثيرة متفرقة، وكانت وفاته سنة إحدى وستين ومائة. رحمه الله تعالى، ويقال: إنه عاش إلى أيام هارون الرشيد، وكانت ولاية الرشيد في سنة سبعين ومائة.

ولم يصل لأحد من الشعراء ما وصل لأبي دلامة من المنصور خاصة وكان أبو دلامة فاسد الدين رديء المذهب مرتكبا للمحارم مجاهرا بذلك وكان يعلم هذا منه ويعرف به فيتجافى عنه للطف محله. وكان أول ما حفظ من شعره وأسنيت له الجائزة به قصيدة مدح بها أبا جعفر المنصور وذكر قتله أبا مسلم وفيها يقول:

(أبا مسلم خوفتني القتل فانتحى ::: عليك بما خوفتني الأسد الورد)

(أبا مسلم ما غير الله نعمة على عبده حتى يغيرها العبد)

وانشدها المنصور في محفل من الناس فقال له احتكم فقال له عشرة آلاف درهم فأمر له بها فلما خلا به قال له أما والله لو تعديتها لقتلتك [1].

مواقف من حياته:

شهدت تسعة عساكر انهزمت كلها:

أمر المهدي أبا دلامة بالخروج نحو عبد الله بن علي،لكي يشهد

(١) أنظر: الشعر والشعراء، ٢ / ٧٧٦ - ٧٧٨، طبقات ابن المعتز، ٥٤ - ٦٢، الأغاني، ١٠ / ٢٤٧ - ٢٧٣، تاريخ بغداد، ٨ / ٤٨٨ - ٤٩٣، معجم الأدباء، ١١ / ١٦٥ - ١٦٨، وفيات الأعيان، ٢ / ٣٢٠ - ٣٢٧، نهاية الأرب، ٤ / ٣٦ - ٤٧، البداية والنهاية، ١٠ / ١٣٤ - ١٣٥، شذرات الذهب، ١ / ٢٤٩ - ٢٥٠، سير أعلام النبلاء،٧ /٣٧٥.

الحرب معه، فقال أبو دلامة: أنشدك الله يا أمير المؤمنين ألا تحضرني شيئاً من عساكرك، فإني شهدت تسعة عساكر انهزمت كلها، وأخاف أن يكون عسكرك العاشر، فضحك منه وأعفاه.

هب لي كلباً:

قال أبو العيناء: بلغنا عن أبي دلامة أنه دخل على المهدي فأنشده قصيدة، فقال له: سلني حاجتك، فقال: يا أمير المؤمنين، هب لي كلباً، فغضب، وقال: أقول لك سلني حاجتك، فتقول: هب لي كلباً فقال: يا أمير المؤمنين، الحاجة لي أم لك قال بل لك، قال: فإني أسألك أن تهب لي كلب صيد، فأمر له بكلب، فقال: يا أمير المؤمنين، هبني خرجت إلى الصيد أفأعدو على رجلي فأمر له بدابة، فقال: يا أمير المؤمنين، من يقوم عليها فأمر به بغلام، فقال: يا أمير المؤمنين، هبني صدت صيداً وأتيت به المنزل فمن يطبخه فأمر له بجارية، فقال: يا أمير المؤمنين، هؤلاء يبيتون في البادية فأمر له بدار، فقال: يا أمير المؤمنين، قد صيرت في عنقي كفاء من عيال، جريب غامراً، قال: أما العامر فقد عرفت، فما الغامر قال: الخراب الذي لا شيء فيه، قال: أنا أقطع أمير المؤمنين مائة ألف جريب بالبدو، ولكني أسأل أمير المؤمنين من ألف جريب جريباً واحداً عامراً، قال: من أين قال: من بيت المال، فقال المهدي: حولوا المال وأعطوه جريباً، قال: يا أمير المؤمنين، إذا حول منه المال صار غامراً، فضحك منه، قال: فهل بقيت لك حاجة قال: نعم، تأذن لي أن أقبل يدك، فقال: ما لك إلى ذلك سبيل، قال: والله ما رددتني عن حاجة أهون علي فقداً منها(1).

يقولون ما لا يفعلون:

واتفق أن أبا دلامة تأخر عن الحضور بباب أبي جعفر أياماً ثم

(1) ابن خلكان، وفيات الأعيان،٢ /٣٢١.

حضر، فأمر بإلزامه القصر، وألزمه بالصلاة في مسجده، ووكل به من يلاحظه في ذلك، فمر به أبو أيوب المورياني وهو إذ ذاك وزير أبي جعفر، فقام إليه أبو دلامة ودفع رقعة مختومة، وقال: هذه ظلامة لأمير المؤمنين، فأوصلها أعزك الله إليه بخاتمها، فأخذها أبو أيوب، فلما دخل على أبي جعفر أوصلها إليه فقرأها فإذا فيها:

ألم تعلموا أن الخليفة لزني ::: بمسجده والقصر، ما لي وللقصر
أصلي به الأولى مع العصر دائماً ::: فويلي من الأولى وويلي من العصر
ووالله ما لي نية في صلاتهم ::: ولا البر والإحسان والخير من أمري

وما ضره والله يصلح أمره.. لو أن ذنوب العالمين على ظهري

فضحك المنصور وأمر بإحضاره، فلما حضر قال: هذه قصتك قال: دفعت إلى أبي أيوب رقعة مختومة أسأل فيها إعفائي من لزوم الذي أمرني بلزومه، فقال له أبو جعفر: اقرأها، قال: ما أحسن أن أقرأ، وعلم أنه إن أقر بكتابته لها يحده بذكره الصلاة وتعريضه بها، فلما رآه يحيد من ذلك، قال له: يا خبيث أما لو أقررت لضربتك الحد، ثم قال: لقد أعفيتك من لزوم المسجد، فقال أبو دلامة: أو كنت ضاربي يا أمير المؤمنين لو أقررت قال: نعم، قال: مع قول الله عز وجل:{يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ} [الشعراء: ٢٢٦]. الشعراء. فضحك منه وأعجب من انتزاعه، ووصله.

ونصف النصف في صك قديم:

وذكر ابن شبة في كتاب " أخبار البصرة " أن أبا دلامة كتب إلى سعيد بن دعلج - وكان يومئذ يتولى الأحداث بالبصرة - وأرسلها إليه من بغداد مع ابن عم له:

إذا جئت الأمير فقل سلام ::: عليك ورحمة الله الرحيم
وأما بعد ذاك فلي غريم ::: من الأعراب قبح من غريم
له ألف علي ونصف أخرى ::: ونصف النصف في صك قديم

دراهم مـــا انتفعـــت بهـــا ولكـــن ::: وصـــلت بهـــا شـــيوخ بـــني تمـــيم

فسير له ابن دعلج ما طلب [1].

ووفى له بما ضمنه أبو دلامة وزاد عليه:

وكان روح بن حاتم المهلبي والياً على البصرة، فخرج إلى حرب الجيوش الخراسانية ومعه أبو دلامة، فخرج من صف العدو مبارز قوي، فخرج إليه جماعة فقتلهم، فتقدم روح إلى أبي دلامة بمبارزته فامتنع فألزمه فاستعفاه فلم يعفه، فأنشد أو دلامة:

إني أعـــوذ بـــروح أن يقـــدمني ::: إلى القتال فيخـــزى بي بنـــو أســـد

إن المهلب حـــب المـــوت أورثكـــم ::: ولم أرث أنا حب الموت مـــن أحـــد

إن الـــدنو إلى الأعـــداء أعلمـــه ::: مما يفـــرق بـــين الـــروح والجـــسد

فأقسم عليه ليخرجن، وقال: لماذا تأخذ رزق السلطان؟ قال: لأقاتل عنه، قال: فمالك لا تبرز إلى عدو الله؟ فقال: أيها الأمير، إن خرجت إليه لحقت بمن مضى، وما الشرط أن أقتل عن السلطان، بل أقاتل عنه، فحلف روح: لتخرجن إليه فتقتله أو تأسره أو تقتل دون ذلك، فلما رأى أبو دلامة الجد منه قال: أيها الأمير، تعلم أن هذا أول يوم من أيام الآخرة، ولابد فيه من الزوادة، فأمر له بذلك، فأخذ رغيفاً مطوياً على دجاجة ولحم وسطيحة من شراب وشيئاً من نقل، وشهر سيفاً وحمل، وكان تحته فرس جواد، فأقبل يجول ويلعب بالرمح، وكان مليحاً في الميدان، والفارس يلاحظه ويطلب منه غرة، حتى إذا وجدها حمل عليه، والغبار كالليل، فأغمد أبو دلامة سيفه وقال للرجل: لا تعجل واسمع مني - عافاك الله - كلمات ألقيهن إليك، فإنما أتيتك في مهم، فوقف مقابله وقال: ما المهم قال: أتعرفني قال: لا، قال: أنا أبو دلامة، قال: قد سمعت بك حياك الله، فكيف برزت إلي وطمعت في بعد من قتلت من أصحابك فقال: ما خرجت لأقتلك ولا لأقاتلك، ولكني رأيت لباقتك وشهامتك فاشتهيت أن تكون لي

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٢ /٣٢٢.

صديقاً، وإني لأدلك على ما هو أحسن من قتالنا، قال: قل على بركة الله تعالى، قال: أراك قد تعبت وأنت بغير شك سغبان ظمآن، قال: كذلك هو، قال: فما علينا من خراسان والعراق، إن معي خبزاً ولحماً وشراباً ونقلاً كما يتمنى المتمني، وهذا غدير ماء نمير بالقرب منا، فهلم بنا إليه نصطبح وأترنم لك بشيء من حداء الأعراب، فقال: هذا غاية أملي، فقال: ها أنا أستطرد لك فاتبعني حتى نخرج من حلق الطعان، ففعلا، وروح يتطلب أبا دلامة فلا يجده، والخراسانية تطلب فارسها فلا تجده، فلما طابت نفس الخراساني قال له أبو دلامة: إن روحاً كما علمت من أبناء الكرام، وحسبك بابن المهلب جواداً، وإنه يبذل لك خلعة فاخرة وفرساً جواداً ومركباً مفضضاً وسيفاً محلى ورمحاً طويلاً وجارية بربرية وينزلك في أكثر العطاء، وهذا خاتمه معي لك بذلك، قال: ويحك! وما أصنع بأهلي وعيالي فقال: استخر الله وسر معي ودع أهلك، فالكل يخلف عليك، فقال: سر بنا على بركة الله، فسارا حتى قدما من وراء العسكر، فهجما على روح، فقال: يا أبا دلامة أين كنت قال: في حاجتك، أما قتل الرجل فما أطقته، وأما سفك دمي فما طبت به نفساً، وأما الرجوع خائباً فلم أقدم عليه، وقد تلطفت وأتيتك به أسير كرمك، وقد بذلت له عنك كيت وكيت، فقال: ممضى إذا وثق لي؟ قال: بماذا قال: بنقل أهله، قال الرجل: أهلي على بعد ولا يمكنني نقلهم الآن، ولكن امدد يدك أصافحك وأحلف لك متبرعاً بطلاق الزوجة أني لا أخونك، فإن لم أف إذا حلفت بطلاقها لم ينفعك نقلها، قال: صدقت، فحلف له وعاهده، ووفى له بما ضمنه أبو دلامة وزاد عليه، وانقلب معهم الخراساني يقاتل الخراسانية، وينكي فيهم أشد نكاية، وكان أكبر أسباب ظفر روح.

لكم الأرض كلها فأعيروا ::: عبدكم ما احتوى عليه جداره

كان المنصور قد أمر بهدم دور كثيرة وكان من جملتها دار أبي دلامة، فكتب إلى المنصور:

يـابن عـم الـنبي دعـوة شـيخ ::: قـد دنـا هـدم داره وبـواره
فهو كالماخض التي اعتادها الطـلـ ::: ـق فقـرت ومـا يقـر قـراره
لكـم الأرض كلـها فـأعيروا ::: عبدكم ما احتـوى عليـه جـداره

فأمر له بدار عوضاً عنها(١).

ينخرق قميصي يا أمير المؤمنين:

ولما قدم المهدي بن المنصور من الري إلى بغداد دخل عليه أبو دلامة للتسليم والتهنئة بقدومه، فأقبل عليه المهدي، وقال له: كيف أنت يا أبا دلامة فقال: يا أمير المؤمنين:

إني حلفـت لـئن رأيتـك سـالماً ::: بقـرى العـراق وأنـت ذو وفـر
لتـصلين علـى الـنبي محمـد ::: ولـتملأن دراهمـاً حِجْـري

فقال المهدي: أما الأولى فنعم، وأما الثانية فلا، فقال: جعلني الله فداك! إنهما كلمتان لا يفرق بينهما، فقال: يملأ حجر أبي دلامة دراهم، فقعد وبسط حجره فملئ دراهم، فقال له: قم الآن يا أبا دلامة، فقال: ينخرق قميصي يا أمير المؤمنين، حتى أشيل الدراهم وأقوم، فردها إلى الأكياس ثم قام فدعا له وخرج بها.

كلامك مسموع وشهادتك مقبولة:

ومن أخباره: أنه مرض ولده، فاستدعى طبيباً ليداويه وشرط له جعلاً معلوماً، فلما برئ قال له: والله ما عندنا شيء نعطيك، ولكن ادع على فلان اليهودي - وكان ذا مال كثير - بمقدار الجعل، وأنا وولدي نشهد لك بذلك، فمضى الطبيب إلى القاضي بالكوفة - وكان يومئذ محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، وقيل: عبد الله بن شبرمة - وحمل إليه اليهودي المذكور، وادعى عليه بذلك المبلغ، فأنكر اليهودي، فقال: لي بينة، وخرج لإحضارها، فأحضر أبا دلامة وولده، فدخلا إلى المجلس، وخاف أبو دلامة أن يطالبه القاضي بالتزكية فأنشد في الدهليز قبل دخوله بحيث

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٢ /٣٢٤.

يسمع القاضي:

إن الناس غطوني تغطيت عنهم ::: وإن بحثوا عني ففيهم مباحث
وإن نبشوا نبشت [1] بئارهم ::: ليعلم قوم كيف تلك النبائث

ثم حضرا بين يدي القاضي، وأديا الشهادة، فقال له: كلامك مسموع وشهادتك مقبولة، ثم غرم المبلغ من عنده وأطلق اليهودي، وما أمكنه أن يرد شهادتهما خوفاً من لسانه، فجمع بين المصلحتين وتحمل الغرم من ماله[2].

قد خدعانا والله:

ودخل أبو دلامة على المهدي، فقال: يا أمير المؤمنين، ماتت أم دلامة، وبقيت ليس أحد يعاطيني، فقال: إنا لله، أعطوه ألف درهم يشتري بها أمة تعاطيه، وكان قد دس أم دلامة على الخيزران، فقالت: يا سيدتي مات أبو دلامة وبقيت ضائعة، فأمرت لها بألف درهم، فدخل المهدي على الخيزران، وهو حزين، فقالت: ما بال أمير المؤمنين قال: ماتت أم دلامة، فقالت: إنما مات أبو دلامة، فقال: قاتل الله أبا دلامة وأم دلامة، قد خدعانا والله.

وخنزيراً إذا وضع العمامة:

وكان أبو عطاء السندي مولى بني أسد قد هجاه بقوله:

ألا أبلغ هديت أبا دلامة ::: فليس من الكرام ولا كرامة
إذا لبس العمامة كان قرداً ::: وخنزيراً إذا وضع العمامة

فلم يتعرض له أبو دلامة[3].

وكنا نرجي منحة من إمامنا:

وكان المنصور قد أمر أصحابه بلبس السواد وقلانس طوال تدعم

(١) أي: وإن حفروا بئري حفرت.
(٢) وفيات الأعيان، ٢ /٣٢٥.
(٣) وفيات الأعيان، ٢ /٣٢٧.

بعيدان من داخلها وأن يلقوا السيوف في المناطق ويكتبوا على ظهورها: {فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [البقرة: ١٣٧]، فدخل عليه أبو دلامة في هذا الزي فقال له أبو جعفر ما حالك قال شر حال وجهي في وسطي وسيفي في استي وقد صبغت بالسواد ثيابي ونبذت كتاب الله وراء ظهري فضحك منه وأعفاه وحذره من ذلك وقال له: إياك أن يسمع منك هذا أحد وفي ذلك يقول أبو دلامة:

(وكنا نرجي منحة من إمامنا ::: فجاءت بطول زاده في القلانس)
(تراها على هام الرجال كأنها ::: دنان يهود جللت بالبرانس) [(١)]

اجعلوها كلها عامرة:

دخل أبو دلامة على المنصور فأنشده قصيدته التي أولها

(إن الخليط أجد البين فانتجعوا ::: وزودوك خبالا بئس ما صنعوا)

إلى أن قال فيها يهجو زوجته

(لا والذي يا أمير المؤمنين قضى ::: لك بالخلافة في أسبابها الرفع)
(ما زلت أخلصها كسبي فتأكله ::: دوني ودون عيالي ثم تضطجع)
(شوهاء مشنية في بطنها بجر ::: وفي المفاصل من أوصالها فدع)
(ذكرتها بكتاب الله حرمتنا ::: ولم تكن بكتاب الله ترتدع)
(فاخر نظمت ثم قالت وهي مغضبة ::: أأنت تتلو كتاب الله يا لكع)
(اخرج لتبغ لنا مالا ومزرعة ::: كما لجيراننا مال ومزدرع)
(واخدع خليفتنا عنا بمسألة ::: إن الخليفة للسؤال ينخدع)

فضحك المنصور وقال أرضوها عنه واكتبوا لها ستمائة جريب عامرة وغامرة فقال: أنا أقطعك يا أمير المؤمنين أربعة آلاف جريب غامرة فيما بين الحيرة والنجف وإن شئت زدتك فضحك وقال اجعلوها كلها عامرة[(٢)].

(١) العباسي، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، ٢ /٢١١.
(٢) العباسي، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، ٢ /٢١٢.

ولم أبحث عنك:

وشهد أبو دلامة لجارة له عند ابن أبي ليلى القاضي على أتان نازعها فيه رجل فلما فرغ من الشهادة قال لابن أبي ليلى اسمع ما قلت قبل أن آتيك ثم اقض بما شئت قال هات فأنشده:

(إن الناس غطوني تغطيت عنهم ::: وإن بحثوا عني ففيهم مباحث)

(وإن حفروا بئري حفرت بئارهم ::: ليعلم يوما كيف تلك النبائث)

فأقبل القاضي على المرأة وقال: أتبيعينني الأتان، قالت: نعم، قال: بكم قالت بمائة درهم قال ادفعوها إليها ففعلوا وأقبل على الرجل فقال: قد وهبتها لك وقال لأبي دلامة: قد أمضيت شهادتك، ولم أبحث عنك، وابتعت ممن شهدت له ووهبت ملكي لمن رأيت أرضيت قال نعم وانصرف[1].

ولا رباك لقمان الحكيم:

ودخل أبو عطاء السندي يوما إلى أبي دلامة فاحتبسه ودعا بطعام وشراب، فأكلا وشربا، وخرجت إلى أبي دلامة صبية له فحملها على كتفه فبالت عليه فنبذها عن كتفه ثم قال:

(بللت علي لأحييت ثوبي ::: فبال عليك شيطان رجيم)

(فما ولدتك مريم أم عيسى ::: ولا رباك لقمان الحكيم)

ثم التفت إلى أبي عطاء فقال له: أجزيا أبا عطاء فقال:

(صدقت أبا دلامة لم تلدها ::: مطهرة ولا فحل كريم)

(ولكن قد حوتها أم سوء ::: إلى لباتها وأب لئيم)

فقال له أبو دلامة: عليك لعنة الله ما حملك على أن بلغت بي هذا كله والله لا أنازعك بيت شعر أبدا، فقال له: أبو عطاء يكون الذي من جهتك أحب إلي ثم غدا أبو دلامة إلى المنصور فأخبره بقصة ابنته؟ وأنشده

(١) العباسي، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، ٢ /٢١٣.

الأبيات ثم اندفع فأنشده بعدها:

(لو كان يقعد فوق الشمس من كرم ::: قوم لقيل اقعدوا يا آل عباس)

(ثم ارتقوا في شعاع الشمس كلكم ::: إلى السماء فأنتم أكرم الناس)

(وقدموا القائم المنصور رأسكم ::: فالعين والأنف والأذنان في الراس)

فاستحسنها وقال بأي شيء تحب أن أعينك على قبح ابنتك هذه؟

فأخرج خريطة (جراب) قد خاطها من الليل وقال: تملأ لي هذه دراهم فوسعت أربعة آلاف درهم (1).

كان لي مكرما وهو الذي جاءني من البدو:

ولما توفي أبو العباس السفاح دخل أبو دلامة على المنصور والناس يعزونه فأنشأ أبو دلامة يقول:

(أمسيت بالأنبار يا ابن محمد ::: لم تستطع عن عقرها تحويلا)

(ويلي عليك وويل أهلي كلهم ::: ويلا وعولا في الحياة طويلا)

(فلتبكين لك السماء بعبرة ::: ولتبكين لك الرجال عويلا)

(مات الندى إذ مت يا ابن محمد ::: فجعلته لك في التراب عديلا)

(إني سألت الناس بعدك كلهم ::: فوجدت أسمح من سألت بخيلا)

(ألشقوتي أخرت بعدك للتي ::: تدع العزيز من الرجال ذليلا)

(فلأحلفن يمين حق برة ::: بالله ما أعطيت بعدك سولا)

فأبكي الناس قوله، وغضب المنصور غضبا شديدا وقال: لئن سمعتك تنشد هذه القصيدة لأقطعن لسانك، فقال أبو دلامة: يا أمير المؤمنين إن أبا العباس كان لي مكرما، وهو الذي جاءني من البدو كما جاء الله عز وجل بإخوة يوسف عليه السلام إليه فقل أنت كما قال يوسف:{لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ } [يوسف: ٩٢]، فسري عن المنصور وقال قد أقلناك يا أبا دلامة فسل حاجتك، فقال: يا أمير المؤمنين قد كان أبو العباس أمر لي بعشرة آلاف درهم وخمسين ثوبا، وهو

(١) العباسي، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، ٢ /٢١٥.

مريض، ولم أقبضها، فقال المنصور ومن يعلم ذلك، قال هؤلاء: وأشار إلى جماعة ممن حضر، فوثب سليمان بن مجالد، وأبو الجهم، فقالا: صدق يا أمير المؤمنين، فنحن نعلم ذلك، فقال المنصور لأبي أيوب الخازن وهو مغيظ يا سليمان: ادفع إليه وسيره إلى هذا الطاغية، يعني عبد الله بن علي، وكان قد خرج علي الخليفة المنصور بناحية الشام، وأظهر الخلاف فوثب أبو دلامة فقال: يا أمير المؤمنين أعيذك بالله أن أخرج معهم، فإني والله لمشؤوم، فقال له المنصور: امض فإن يمني يغلب شؤمك، فاخرج، فقال: والله يا أمير المؤمنين ما أحب لك أن تجرب ذلك مني على مثل هذا العسكر فإني لا أدري أيهما يغلب يمنك، أو شؤمي، إلا أني بنفسي أدرى وأوثق وأعرف وأطول تجربة، فقال: دعني من هذا، فما لك من الخروج، بد قال فإني أصدقك الآن شهدت والله تسعة عشر عسكرا، كلها هزمت وكنت سببها فإن شئت الآن على بصيرة أن يكون عسكرك العشرين، فافعل فاستفرغ المنصور ضحكا، وأمره أن يتخلف مع عيسى بن موسى بالكوفة (1).

ولا الثناء على دينه بمحمود:

وعزم موسى بن داود على الحج فقال لأبي دلامة: احجج معي ولك عشرة آلاف درهم فقال هاتها فدفعت إليه، فأخذها، وهرب إلى السواد فجعل ينفقها هناك ويشرب الخمر وطلبه موسى، فلم يقدر عليه وخشى فوات الحج فخرج، فلما شارف القادسية، إذا هو بأبي دلامة خارجا من قرية إلى قرية أخرى وهو سكران، فأمر بأخذه، وتقييده وطرحه في المحمل بين يديه ففعل به ذلك فلما سار غير بعيد أقبل أبو دلامة على موسى وناداه بقوله:

(يا أيها الناس قولوا أجمعين معا ::: صلى الإله على موسى بن داود)

(كأن ديباجتي خديه من ذهب ::: إذا بدا لك في أثوابه السود)

---

(1) العباسي، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، 2 /215.

(إني أعـــوذ بـــداود وأعظمـــه ::: من أن أكلف حجا يــا بــن داود)
(أنبئت أن طريــق الحــج معطــشة ::: من الشراب وما شــربي بتــصريد)
(والله مــا في مــن أجــر فتطلبــه ::: ولا الثناء علــى ديــني بمحمــود)

فقال موسى: ألقوه لعنه الله عن المحمل ودعوه ينصرف، فألقى وعاد إلى قصفة بالسواد حتى نفدت العشرة آلاف[1].

نار الله المؤصدة التي تطلع على فؤاد الربيع:

ودخل أبو دلامة يوما على المنصور فأنشده:

(رأيتك في المنام كــسوت جلــدي ::: ثيابــا جمــة وقــضيت ديــني)
(وكــان بنفــسجي الخــز فيهــا ::: وســاج نــاعم فــأتم زيــني)
(فصدق يا فــدتك الــنفس رؤيــا ::: رأتهــا في المنــام كــذاك عــيني)

فأمر بذلك، وقال: لا عدت تتحلم علي ثانية، فأجعل حلمك أضغاثا ولا أحققه ثم خرج من عنده ومضى، فشرب في بعض الحانات، فسكر وانصرف وهو ثمل فلقيه العسس، فأخذ فقيل له: من أنت وما دينك فقال:

دیــني علــى ديــن بــني العبــاس ::: ما خــتم الطــين علــى القرطــاس
إذا اصــطبحت أربعــا بالكــاس ::: فقــد أدار شــربها براســي

فهــل بمــا قلــت لكــم مــن بــاس

فأخذوه ومضوا، به فخرقوا أثوابه وساجه، وأتوا به إلى المنصور، وكان يؤتى بكل من أخذه العسس، فحبسه مع الدجاج في بيت، فلما أفاق جعل ينادي غلامه مرة وجاريته مرة، فلا يجيبه أحد وهو مع ذلك يسمع صوت الدجاج وزقاء الديكة، فلما أكثر قال له السجان: ما شأنك، قال: ويلك من أنت وأين أنا، قال: في الحبس وأنا فلان السجان، قال: ومن حبسني، قال أمير المؤمنين: قال: ومن خرق طيلساني، قال: الحرس، فطلب منه أن يأتيه بدواة وقرطاس ففعل فكتب إلى المنصور:

(أمــير المــؤمنين فــدتك نفــسي ::: علام حبستني وخرقــت ســاجي)

(١) العباسي، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، ٢ /٢١٨.

(أمـــن صـــهباء صـــافية المـــزاج ::: كـــأن شـــعاعها لهـــب الـــسراج)
(وقـــد طبخـــت بنـــار الله حـــتى ::: لقد صارت من النطـف النـضاج)
(تهـش لهـا القلـوب وتـشتهيها ::: إذا بـرزت ترقـرق في الزجـاج)
(أقـاد إلى الـسجون بغـير جـرم ::: كـأني بعـض عمـال الخـراج)
(ولو معهم حبست لكـان سـهلا ::: ولكـني حبـست مـع الـدجاج)
(وقـد كانـت تخـبرني ذنـوبي ::: بأني مـن عقابـك غـير نـاجي)
(علـى أني وإن لاقيـت شـرا ::: لخـيرك بعـد الـشر راجـي)

فدعا به، وقال له: أين حبست يا أبا دلامة، فقال: مع الدجاج، قال: فما كنت تصنع، قال: أقوقئ معهم حتى أصبحت فضحك، وخلى سبيله، وأمر له بجائزة فلما خرج قال له الربيع: أنه شرب الخمر يا أمير المؤمنين، أما سمعت قوله وقد طبخت بنار الله يعني الشمس فأمر برده، ثم قال له:

يا خبيث شربت الخمر، قال: لا، قال: أفلم تقل طبخت بنار الله، تعني الشمس، قال: لا والله، ما عنيت إلا نار الله الموصدة التي تطلع على فؤاد الربيع، فضحك، وقال: خذها يا ربيع ولا تعاود التعرض له(١).

له لو حدثت الشيطان لأضحكته :

ودخل أبو دلامة على أم سلمة زوج السفاح بعد موته فعزاها به، وبكى فبكت معه، فقالت أم سلمة: لم أجد أحدا أصيب به غيري وغيرك يا أبا دلامة قال: ولا سواء يرحمك الله لك منه ولد، وما ولدت أنا منه قط، فضحكت، ولم تكن ضحكت منذ مات السفاح إلا ذاك الوقت، وقالت له: لو حدثت الشيطان لأضحكته(٢).

فلا تفرح فقد دنت القيامة:

دخل أبو دلامة على المهدي وعنده جماعة من بني هاشم، فقال المهدي

(١) العباسي، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، ٢ /٢٢٠.
(٢) العباسي، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، ٢ /٢٢٠.

له: أنا أعطي الله تعالى عهدا لئن لم تهج واحدا ممن في البيت لأضربن عنقك فنظر إليه القوم وغمزوه بأن عليهم رضاه، قال أبو دلامة: فعلمت أني وقعت وإنها عزمة من عزماته، ولا بد منها فلم أر أحدا أحق بالهجاء مني، ولا أدعى إلى السلامة من هجائي نفسي فقلت:

(إلا أبلغ لـديك يـا أبـا دلامـة ::: فليس مـن الكـرام ولا كرامـة)
(إذا لـبس العمامـة قلـت قـردًا ::: وخنـزيرًا إذا وضـع العمامـة)
(جمعـت دمامـة وجمعـت لؤمـا ::: كـذاك اللـؤم تتبعـه الدمامـة)
(فإن تك قد أصـبت نعـيم دنيـا ::: فلا تفـرح فقـد دنـت القيامـة)

فضحك القوم ولم يبق منهم أحد إلا أجازه [(١)].

فهنيئا لهما كل امرىء يأكل زاده:

وخرج المهدي وعلي بن سليمان إلى الصيد فسنح لهما قطيع من ظباء فأرسلت الكلاب، وأجريت الخيل، فرمى المهدي سهما فصرع ظبيا، ورمى علي بن سليمان فأصاب كلبا فقتله فقال في ذلك أبو دلامة

قـد رمـى المهـدي ظبيـا ::: شـك بالسـهم فـؤاده
وعلـي بـن سـليمان ::: رمـى كلبـا فصـاده

فهنيئا لهما كل امرئ يأكل زاده

فضحك المهدي حتى كاد يسقط عن سرجه وقال: صدق والله أبو دلامة وأمر له بجائزة ولقب علي بن سليمان بصائد الكلب فعلق به[(٢)].

حمادة بنت عيسى:

وتوفيت حمادة بنت عيسى وحضر المنصور جنازتها فلما وقف على حفرتها قال لأبي دلامة: ما أعددت لهذه الحفرة، قال: بنت عمك يا أمير المؤمنين حمادة بنت عيسى يجاء بها الساعة فتدفن فيها فضحك المنصور حتى غلب وستر وجهه.

(١) العباسي، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، ٢ /٢٢١.
(٢) العباسي، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، ٢ /٢٢٢.

على أن تخبأها لي بين السماء والأرض:

وحدث الهيثم بن عدي قال: حجت الخيزران، فلما خرجت صاح أبو دلامة جعلني الله فداك الله، الله في أمري فقالت: من هذا؟ قالوا: أبو دلامة قالت: اسألوه ما أمره؟ قال: أدنوني من محملها، فأدني، فقال: أيها السيدة إني شيخ كبير وأجرك في عظيم، قالت: فمه، قال: تهبين لي جارية من جواريك، تؤنسني وترفق بي وتريحني من عجوز عندي قد أكلت رفدي، وأطالت كدي، فقد عاف جلدي جلدها وتمنيت بعدها وتشوقت فقدها فضحكت، وقالت: سوف آمر لك بما سألت فلما رجعت تلقاها واذكرها، وخرج معها إلى بغداد، وأقام حتى سئم، ثم دخل على عبيدة حاضنة موسى وهارون فدفع إليها رقعة قد كتبها إلى الخيزران فيها:

(أبلغي سيدتي بالله	:::	يا أم عبيدة)
(أنها أرشدها الله	:::	وإن كانت رشيدة)
(وعدتني قبل أن تخرج	:::	للحج وليدة)
(فتأتيت وأرسلت	:::	بعشرين قصيدة)
(كلما أخلقن أخلفت	:::	لها أخرى جديدة)
(ليس في بيتي لتمهيد	:::	فراشي من قعيدة)
(غير عجفاء عجوز	:::	ساقها مثل القديدة)
(وجهها أقبح من حوت	:::	طري في عصيده)
(ما حياتي مع أنثى	:::	مثل عرسي بسعيده)

فلما قرئت عليها الأبيات ضحكت، واستعادت قوله وجهها أقبح من حوت إلى آخره، وجعلت تضحك، ودعت بجارية من جواريها فائقة، فقالت لها: خذي كل ما لك في قصري، ففعلت، ثم دعت بخادم وقالت له: سلمها إلى أبي دلامة فانطلق الخادم بها، فلم يصبه في منزله، فقال لامرأته: إذا رجع فادفعيها إليه، وقولي له تقول لك السيدة أحسن صحبة هذه الجارية، فقد آثرتك بها فقالت له: نعم فلما خرج دخل إليها ابنها دلامة، فوجد أمه تبكي، فسألها عن خبرها فأخبرته، وقالت: إن أردت أن

تبرني يوما من الدهر، فاليوم قال: قولي ما شئت فإني أفعله، قالت: تدخل عليها فتعلمها أنك مالكها فتطؤها وتحرمها عليه، وإلا ذهبت بعقله وجفاني وجفاك، ففعل ودخل على الجارية، فوطئها، ووافقها ذلك منه وخرج، ثم دخل أبو دلامة فقال لامرأته: أين الجارية، فقالت: في ذلك البيت، فدخل إليها شيخ محطم ذاهب، فمد يده إليها، وذهب ليقبلها، فقالت له: ما لك، ويلك، تنح عني وإلا لطمتك لطمة دققت بها أنفك، فقال: أبهذا أوصتك السيدة؟ فقالت: إنها بعثت بي إلى فتى من حاله وهيئته كيت وكيت، وقد كان عندي آنفا، ونال مني حاجته، فعلم أنه قد دهى من أم دلامة وابنها، فخرج إلى دلامة فلطمه، وتلبب به، وحلف أنه لا يفارقه إلا إلى المهدي، فمضى به متلببا، حتى وقف على باب المهدي، فعرف خبره، وأنه قد جاء بابنه على تلك الحالة، فأمر بإدخاله، فلما دخل قال له: ما لك؟ ويلك، قال: عمل هذا الخبيث ابن الخبيثة ما لم يعمله ولد بأبيه، ولا يرضيني إلا أن تقتله، فقال: ويلك فما فعل بك فأخبره الخبر، فضحك حتى استلقى على قفاه، ثم جلس، فقال له: أبو دلامة أعجبك فعله، فتضحك منه، فقال: علي بالسيف والنطع، فقال له دلامة: قد سمعت قوله يا أمير المؤمنين فاسمع حجتي، قال: هات، قال: هذا الشيخ أصفق الناس وجها، وهو يجامع أمي منذ أربعين، ما غضبت، جامعت أنا جاريته مرة واحدة فغضب، وصنع بي ما ترى، فضحك المهدي أشد من ضحكة الأول، ثم قال: دعها له، وأنا أعطيك خيرا منها، قال على: أن تخبأها لي بين السماء والأرض وإلا جامعها والله كما جامع هذه، فتعهد المهدي إلى أبي دلامة ألا يعاود دلامة مثل فعله، وحلف أنه إن عاود قتله، وأمر له بجارية أخرى كما وعده(١).

حكمت عليه أن يشتري نفسه منك بألف درهم:

ودخل أبو دلامة على المهدي، وسلمه الوصيف واقف فقال: إني قد

(١) العباسي، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، ٢ /٢٢٣ - ٢٢٤.

أهديت لك يا أمير المؤمنين مهرا ليس لأحد مثله، فإن رأيت أن تشرفني بقبوله فأمر بإدخاله إليه فخرج أبو دلامة، وأدخل فرسه الذي كان تحته، فإذا هو برذون محطم أعجف هرم، فقال له المهدي: أي شيء ويلك هذا ألم تزعم أنه مهر؟ فقال له: أو ليس هذا سلمة الوصيف بين يديك، قائما تسميه الوصيف، وله ثمانون سنة وهو بعد عندك وصيفا، فإن كان سلمة وصيفا، فهذا مهر فجعل سلمة يشتمه والمهدي يضحك ثم قال لسلمة: ويحك إن لهذه منه أخوات، وإن أتى بمثلها في محفل يفضحك، فقال أبو دلامة: أي والله يا أمير المؤمنين لأفضحنه، فليس في مواليك أحد إلا وقد وصلني غيره، فإني ما شربت له الماء قط، قال: فقد حكمت عليه أن يشتري نفسه منك بألف درهم حتى يتخلص من يدك، قال: قد فعلت على ألا يعاود، قال: أفعل ولولا أني ما أخذت منه شئيا قط ما استعملت معه مثل هذا فمضى سلمة فحملها إليه وسلمه إياها [(١)].

فتعاونوني عليه حتى أخصيه:

وجاء دلامة يوما إلى أبيه، وهو في محفل من جيرانه وعشيرته جالسا فجلس بين يديه، ثم أقبل على الجماعة فقال لهم: إن شيخي كما ترون قد كبر سنه ودق عظمه وبنا إلى حياته حاجة شديدة، ولا أزال أشير عليه بالشيء يمسك رمقه ويبقي قوته فيخالفني، وإني أسألكم أن تسألوه قضاء حاجة لي أذكرها بحضرتكم فيها صلاح جسمه وبقاء حياته، فأسعفوني بمسألته معي فقالوا: نفعل وحبا وكرامة، ثم أقبلوا على أبي دلامة بألسنتهم، فتناولوه بالعتاب حتى رضي ابنه وهو ساكت، فقال: قولوا لهذا الخبيث فليقل ما يريد فستعلمون أنه لم يأت إلا ببلية فقالوا: قل فقال: إن أبي ما يقتله إلا كثرة الجماع، فتعاونوني عليه حتى أخصيه، فلن يقطعه عن ذلك غير الخصاء، فيكون أصح لجسمه وأطول لعمره، فعجبوا مما أتى به وعلموا أنه أراد أن يعبث بأبيه ويخجله حتى يشيع ذلك عنه،

---

(١) العباسي، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، ٢ /٢٢٤.

ويرتفع له به ذكر، فضحكوا منه، ثم قالوا لأبي دلامة: قد سمعت فأجب، قال: قد سمعتهم أنتم وعرفتم أنه لم يأت بخير، قالوا: فما عندك في هذا قال: قد جعلت أمة حكما بينى وبينه، فقوموا بنا إليها، فقاموا بأجمعهم، ودخلوا إليها وقص أبو دلامة القصة عليها، وقال: قد حكمتك فأقبلت على الجماعة، فقالت: إن ابنى هذا أبقاه الله فد نصح أباه وبره، ولم يأل جهدا، وما أنا إلى بقاء، أبيه بأحوج منى إلى بقائه وهذا أمر لم تقع به تجربة ولا جرت بمثله عادة، ولا أشك في معرفته بذلك فليبدأ بنفسه أولا فليخصها، فإذا عوفى ورأينا ذلك قد أثر عليه أثرا محمودا استعمله أيضا، فجعل أبوه يضحك منه، وخجل ابنه دلامة، وانصرف القوم يضحكون ويعجبون من خبثهم جميعا واتفاقهم في ذلك المذهب (١).

أفلت من بلاء عظيم:

دخل ابو دلامة على المهدى فأنشده قصيدته في بغلته المشهورة يهجوها ويذكر معايبها فلما أنشده قوله:

(أتاني خائب يستام مني ::: عريقا في الخسارة والضلال)
(فقال تبيعها قلت ارتبطها ::: بحكمك إن بيعي غير غالي)
(فأقبل ضاحكا نحوي سرورا ::: وقال أراك سهلا ذا جمال)
(هلم إلي يخلو بي خداعا ::: وما يدري الشقي لمن يخالي)
(فقلت بأربعين فقال أحسن ::: إلي فان مثلك ذو سجال)
(فأترك خمسة منها لعلمي ::: بما فيه يصير من الخبال)

فقال له المهدي: لقد أفلت من بلاء عظيم، فقال: والله يا أمير المؤمنين، لقد مكثت شهرا أتوقع صاحبها أن يردها علي. ثم أنشده:

(فأبدلني بها يا رب طرفا ::: يكون جمال مركبه جمالي)

فقال المهدي لصاحب دوابه خيره بين مركبين من الإصطبل، فقال:

(١) العباسي، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، ٢ /٢٢٥.

يا أمير المؤمنين إن كان الاختيار إلي وقعت في شر من البغلة ولكن مره أن يختار لي فقال: اختر له [1].

ما أفلح قط:

وكان أبو العباس السفاح مولعاً بأبي دلامة، لا يفارقه ليلاً ولا نهاراً لكثرة نوادره وجودةً شعره، ومعرفته بأيام الناس وأخبارهم؛ وكان أبو دلامة يهرب منه جهده، ويأتي حانات الخمارين فيشرب مع إخوانه من الشعراء، وكان يحب مجالستهم وتهرب من مؤانستنا؟ فقال: والله يا أمر المؤمنين؛ إن الفضل والشرف والعز والخير كله في الوقوف ببابك ولزوم خدمتك، ولا نكره كما ذكرت، ولا مللتك قط، وإنك لتعلم ذلك، ولكنك قد اعتدت حانات الخمارين، ومجالسة أهل المجون. ثم أمره بلزوم قصره، ووكل به من يمنعه الخروج، وأمره بملازمة المسجد الذي يصلي فيه السفاح، حتى أضر به فقال:

ألم تعلموا أنّ الخليفة لزّمني ::: بمسجده والقصر، ما لي وللقصر!
أُصلّي به الأولى مع العصر آيساً ::: فويلي من الأولى وويلي من العصر
ويحبسني عن مجلس أستلذّه ::: أعلّل فيه بالسماع وبالخمر
ووالله ما لي نيّةٌ في صلاته ::: ولا البرّ والإحسان والخير من أمري
وما ضرّه، واللّه يصلح أمره ::: لو أنّ ذنوب العالمين على ظهري

فلما بلغت الأبيات السفاح قال: دعوه وشأنه، فوالله ما أفلح قط[2].

ولكن هذا بديع يريد الهروب:

وخرج الربيع إلى أصحاب المنصور وهم بالباب، وقد هرب منه سلم غلامه، فقال لهم: أمير المؤمنين يقرئكم السلام، ويقول لكم: إن غلامي سلماً قد هرب، ومحال أن يهرب أحد من غلماني إلا وقد أسند أمره إلى واحد منكم.

فقام أبو دلامة فقال: بلغ عنا أمير المؤمنين كما بلغتنا عنه. قال: نعم! قال:

(١) العباسي، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، ٢ /٢٢٧.
(٢) الحُصري، جمع الجواهر في الملح والنوادر، ص ٤٣.

أما سلم فلا نعرف خبره ولا قصته، ولكن هذا بديع يريد الهروب، فرأى أمير المؤمنين في أخذه، وكان بينه وبين بديع تباعد، فبلغ ذاك المنصور فهرب(1).

لأنك لا تعرف المدح من الهجاء:

اختصم أبو دلامة مع رجل إلى عافية قاضى أبي جعفر المنصور، فادعى الرجل عليه، فقال له القاضي: ما تقول؟ قال: اسمع أولاً، وأنشأ يقول:

لقد خاصمتني دهاة الرجال ::: وخاصمتها سنة وافيه
فما أدحض الله لي حجةً ::: ولا خيب الله لي قافيه
فمن خفت من جوره في القضاء ::: فلست أخافك يا عافيه

فغضب وقال: لأشكونك إلى أمير المؤمنين. قال أبو دلامة: ولم تشكوني؟ قال: لأنك هجوتني قال: إذن والله يعزلك. قال عافية: ولم يعزلني؟ قال: لأنك لا تعرف المدح من الهجاء.

كيف يكون عجانه في ظهره؟ :

أنشد أبو دلامة أبا جعفر المنصور شعراً استحسنه جداً، فجعل من عنده من ندمائه يظهرون استحسانه، فلما أفرطوا قال أبو دلامة: والله يا أمير المؤمنين إنهم لا يعرفون رديئه من جيده، وإنما يستحسن منه باستحسانك، وإن شئت بينت لك ذلك، قال: افعل. فأنشده:

أنعت مهراً كاملا في قدره ::: مركباً عجانه في ظهره

حتى فرغ منها، فاستحسنوها، فقال أبو دلامة: ألم أخبرك يا أمير المؤمنين؟ قال المنصور: صدق والله أبو دلامة، كيف يكون عجانه في ظهره؟ (2).

(1) الوطواط، غرر الخصائص الواضحة، ص ١٤٦.
(2) ابن المعتز، طبقات الشعراء، ص ١٣.

فر من الموت وفي الموت وقع:

وقال أبو دلامة: كنت مع مروان أيام الضحاك الحروري، فخرج فارس منهم فدعا إلى البراز، فخرج إليه رجل فقتله، ثم ثان فقتله، ثم ثالث فقتله فانقبض الناس عنه وجعل يدنو ويهدر كالفحل المغتلم. فقال مروان: من يخرج إليه وله عشرة آلاف؟ قال: فلما سمعت عشرة آلاف هانت علي الدنيا وسخوت بنفسي في سبيل عشرة آلاف وبرزت إليه، فإذا عليه فرو قد أصابه المطر فارمعل، ثم أصابته الشمس فاقفعل، وله عينان تتقدان كأنهما جمرتان. فلما رآني فهم الذي أخرجني، فأقبل نحوي وهو يرتجز ويقول:

وخارج أخرجه حب الطمع ::: فر من الموت وفي الموت وقع

" من كان ينوي أهله فلا رجع "

فلما رأيته قنعت رأسي، ووليت هارباً، ومروان يقول: من هذا الفاضح؟ لا يفتكم، فدخلت في غمار الناس [1].

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا:

سأل أبو جعفر المنصور أبا دلامة فقال: أي بيت قالته العرب أشعر؟ قال: بيت يلعب به الصبيان، قال: وما هو ذلك؟ قال: قول الشاعر:

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا ::: وأقبح الكفر والإفلاس بالرجل[2]

فأراني ميتاً ولا أدري:

ويروى أن أبا دُلامة الشاعر دخل على المنصور أو المهدي وعليه جبّةٌ فاخرة، فقال: ما هذه الجبة يا أبا دلامة؟ فقال: هذه لا ألبسُها إلا في كل موتِ خليفةٍ، قال: فأراني ميتاً ولا أدري.

حتى تذهب حمياها:

(١) ابن عبد ربه، العقد الفريد،١ /٧٤.
(٢) المبرد، الفاضل، ١٥/١.

وقال السفاح لأبي دلامة: الصلاة. فقال: حتى تذهب حمياها. قال: وما حمياها؟ قال: الركعتان الأولتان لأنهما أطول[١].

* * *

(١) المبرد، الفاضل، ١٦/١.

مزبد المدني

أعــلام الظرفــاء

مزبد المدني

هو أبو إسحاق المدني؛ كان كثير المجون حلو النادرة، له أخبار كثيرة في البخل، فإنه كان مبخلا إلى الغاية.

مواقف من حياته:

ومن يضمن عشائي أصلحك الله؟:

أحضره بعض ولاة المدينة، وقد اتهمه بشرب الخمر، فاستنكهه فلم يجد له رائحة، فقال: قيئوه، فقال: ومن يضمن عشائي أصلحك الله؟

وفيه ولد بيونس بن متى؟:

وقيل له: هل لك في الخروج إلى قباء والعقيق، وأخذ ناحية قبور الشهداء، فإن يومنا كما ترى طيباً؟ فقال: اليوم الأربعاء ولست أبرح من منزلي، قالوا: وما تكره من يوم الأربعاء، وفيه ولد بيونس بن متى؟ فقال: بأبي أنتم وأمي فقد التقمه الحوت، قالوا: فهو اليوم الذي نصر الله فيه النبي على الأحزاب، قال: أجل ولكن بعد:{وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠} [الأحزاب: ١٠].

هذه القيامة على الريق:

وهبت يوماً ريح شديدة فصاح الناس: القيامة، القيامة، فقال مزبد: هذه القيامة على الريق بلا دابة الأرض ولا الدجال ولا يأجوج ومأجوج!!.

أفأحتمي منها؟!:

ومرض مرة فقال له الطبيب: احتم، قال: يا هذا أنا ما أقدر على شيء إلا على الأماني، أفأحتمي منها؟!

وإنما أنزلت بالحجاز في حزيران وتموز وآب:

ورآه إنسان وهو بالرها وعليه جبة خز فقال: هب لي هذه الجبة، فقال: ما أملك غيرها، فقال الرجل: فإن الله تعالى يقول:{وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ} [الحشر: ٩]، فقال: الله أرحم بعباده من أن ينزل

هذه الآية بالرها في كانون، وإنما أنزلت بالحجاز في حزيران وتموز وآب.

إن مات مالك احتاج الناس إليك لأحكامهم:

ونظر يوماً إلى امرأته وهي تصعد في سلم فقال لها: أنت طالق إن صعدت، وأنت طالق إن نزلت، وأنت طالق إن وقفت، فرمت بنفسها إلى الأرض، فقال لها: فداك أبي وأمي، إن مات مالك احتاج الناس إليك لأحكامهم(١).

لأنه يعلم سوء المنقلب:

واشترى يوماً جارية فسئل عنها فقال: فيها خلتان من خلال الجنة: البرد والسعة.

وقيل له: ما بال حمارك يتبلد إذا رجع إلى منزله؟ قال: لأنه يعلم سوء المنقلب.

وقيل له: أيولد لابن ثمانين ولد؟ قال: نعم، إذا كان له جار ابن ثلاثين سنة.

ليت لنا ما نأكله بالأصابع:

وسمع رجلاً يقول: عن ابن عباس أنه قال: من نوى حجة فعاقه عنها عائق كتبت له، فقال مزبد: ما خرج كرى أرخص من ذا العام.

وطلب منه بعض جيرانه ملعقة، فقال: ليت لنا ما نأكله بالأصابع.

اللهم اصلبه:

وصلى يوماً، فلما فرغ دعا، فقالت امرأته: اللهم أشركني في دعائه، فسمعها، فقال: اللهم اصلبني.

أو تعلمني الزمر؟!:

وغضب يوماً عليه بعض الولاة، فأمر الحجام بحلق لحيته، فقال له

---

(١) محمد بن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، ٤ /١٣٢.

الحجام: انفخ شدقك حتى أتمكن من الحلاقة، فقال: الوالي أمرك بحلق لحيتي أو تعلمني الزمر؟!

كيف حبك لأبي بكر وعمر؟:

وقيل له: كيف حبك لأبي بكر وعمر؟ فقال: ما ترك الطعام في قلبي حباً لأحد.

تحسن الطبيخ:

وباع جارية على أنها تحسن تطبخ، فلم تحسن شيئاً، فطلب إلى القاضي وطولب بأن يحلف على أنها تحسن الطبيخ، فاندفع وحلف أيماناً مغلظة أنه دفع إليها مرة جرادة فعملت منها خمسة ألوان من الطعام وفضل منها شريحة للقديد، سوى الجنب فإنها عملته جوذابة، فضحك من حضر وبئس الخصم من الوصول إلى شيء منه، فخلى سبيله.

فأين موضعه؟:

وجمع مرة في بيته بين متعاشقين، فتعاتبا ساعة، ثم إن العشيق مد يده إليها فقالت: دع هذا ليس هذا موضعه، فسمعها مزبد فقال: يا زانية، فأين موضعه؟ بين الركن والمقام؟ والله ما بنيت هذه الدار إلا للقحاب والقوادين، ولا أشتري خشبها إلا من دراهم القمار، فأي موضع أحق بالزنا منها؟

ونوادره كثيرة، عفا الله عنا وعنه وسامحنا بمنه وكرمه[(١)].

فجـأة:

تغدى أعرابيٌ مع مزبدٍ فقال له مزبد: كيف مات أبوك؟ فأخذ يحدثه بحاله وأخذ مزبّد يمضي في أكله، فلمّا فطن الأعرابي قطع الحديث وقال له: أنت كيف مات أبوك؟ فقال فجأة، وأخذ يأكل.

تحتاج القدر إلى لحمٍ:

(١) محمد بن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، ٤ /١٣٣ - ١٣٤.

وقف قومٌ على مزبدٍ وهو يطبخ قدراً، فأخذ أحدهم قطعة لحم، فأكلها وقال تحتاج القدر إلى خلّ وأخذ آخر قطعة لحم فأكلها، وقال: تحتاج القدر إلى أبزار وأخذ آخر قطعة لحم فأكلها وقال: تحتاج القدر إلى ملحٍ فأخذ مزبد قطعة لحمٍ فأكلها وقال تحتاج القدر إلى لحمٍ.

من حفر حفرة سوء وقع فيها:

قيل لمزبد: إن فلانا الحفار قد مات، فقال: أبعده الله من حفر حفرة سوء وقع فيها.

لأنه لا يكون شىء إلا بشيء:

وقال مزبد لرجل: أيسرك أن تعطى ألف درهم، وتسقط من فوق البيت قال: لا، قال مزبد: وددت أنها لي وأسقط من فوق الثريا، فقال له الرجل: ويلك فإذا سقطت مت، قال: وما يدريك لعلي سقطت في التبانين، أو على فرش زبيدة، وقيل له: أيسرك أن تكون هذه الجبة لك، قال: نعم، وأضرب عشرين سوطا، قالوا: ولم تقول هذا قال لأنه لا يكون شىء إلا بشيء.

ذهب النصف الثاني وبقي ما قبله:

قبل مزبدٌ جاريةً بخراء، فقال لها: أظنك تعشيت بكرش، أو احتشيت صحناً؛ فقالت: ما أكلت إلا خردلاً. قال: قد ذهب النصف الثاني وبقي ما قبله.

وديكي بسبعة:

أراد مزبد أضحيةً فلم يجدها، فأخذ ديكاً ليضحي به، فوجه إليه جيرانه شاةً شاةً حتى اجتمع عنده سبع شياه، فقال: ديكي أفضل عند الله من إسحاق لأنه فدي بكبش، وديكي بسبعة [1].

(١) أبو حيان علي بن محمد بن العباس التوحيدي،الإمتاع والمؤانسة، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤٢٤ هـ ٢٠٠٣ م، ٤٢١/١.

يا أحمق فلم خبأته:

وقيل لمزبد: يا مزبد ما هذا الذي تحت حضنك فقال: يا أحمق فلم خبأته.

وحلف مزبد فقال: إن كان كذا فعلى أن أصعد السماء في حزيران على سلم من الزبد.

وما يمين مزبد أصلحك الله؟:

وادعى رجل عليه شيئاً، وقدمه إلى القاضي، فأنكره، وسأله إقامة البينة؛ فقال: ليس لي بينةٌ. قال: فأستحلفه لك؟ قال: وما يمين مزبد أصلحك الله؟ فقال مزبد: ابعث، أصلحك الله، إلى ابن أبي ذئب فاستحلفه له.

فتبقى بلا وجه:

وتناول رجلٌ من لحيته شيئاً، فسكت عنه، وكان الرجل قبيح الوجه، فقال: ويحك لم لا تدعو لي؟ فقال: كرهت أن أقول صرف الله عنك السوء فتبقى بلا وجه (١).

اللهم قنعه حربةً:

أردف مزبد رجلاً على بغلةٍ، فلما استوى الرجل قال: اللهم أنزلنا منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين فقال مزبد: اللهم قنعه حربةً، يسأل ربه منزلاً مباركاً وهو بين استي واست البغلة.

تحت السرير:

استأذن مزبد على بعض البخلاء وقد أهدى له تين في أول أوانه، فلما أحس بدخوله تناول الطبق، فوضعه تحت السرير، وبقيت يده معلقة، ثم قال لمزبد: ما جاء بك في هذا الوقت؟ قال: يا سيدي؛ مررت الساعة بباب فلان، فسمعت جاريته تقرأ لحناً ما سمعت قط أحسن منه، فلما علمت من شدة محبتك للقرآن، وسماعك للألحان، حفظته، وجئته لأقرأه عليك. قال:

(١) الآبي، نثر الدر،٣ /١٥٦.

فهاته، فقال: بسم الله الرحمن الرحيم. " والزيتون وطورسنين ". فقال: ويلك أين التين؟ قال: تحت السرير [1].

فأما العصا فإنها سهل:

قيل له - وقد اشترى حماراً -: ما في هذا الحمار عيبٌ إلا أنه ناقص النفس بليدٌ يحتاج إلى عصاً. قال: إنما كنت أغتم لو كان يحتاج إلى طعام. فأما العصا فإنها سهل.

خندق على وجهك لا يتحول رأساً:

ونظر إلى رجل كثير شعر الوجه؛ فقال له: يا هذا؛ خندق على وجهك لا يتحول رأساً. وقال له رجلٌ: من شجك ها هنا؟ - وأشار إلى استه - قال: الذي شج أمك في موضعين.

وسكر يوماً؛ فقالت امرأته: أسأل الله أن يبغض النبيذ إليك. فقال: واللحم إليك [2].

يلقى الله منذ ثلاثين سنة بصحيفته مملوءةً خمراً:

وقال مرة: إن أخي يلقى الله منذ ثلاثين سنة بصحيفته مملوءةً خمراً، وهو لم يشرب منها جرعة؛ فقيل له: كيف ذلك؟ قال: هو منذ ثلاثين سنة يبكر كل يوم في طلب الخمر، فلا يجد إليها سبيلاً لفاقته، وعزمه صحيح على شربها لو وجدها.

إن كان الذي في بطنك لا يشبهني:

وقالت امرأة مزبد - وكانت حبلى، ونظرت إلى قبح وجهه -: الويل لي إن كان الذي في بطني يشبهك؛ فقال لها: الويل لي إن كان الذي في بطنك لا يشبهني.

في هذا الموضع ريبة:

---

(١) الآبي، نثر الدر، ٣ /١٥٧.
(٢) الآبي، نثر الدر، ٣ /١٥٨.

لقي مزبد رجلاً، فقال له: من أنت؟ قال: قرشي والحمد لله؛ فقال مزبد: الحمد لله في هذا الموضع ريبة [1].

أربعة أشهرٍ وعشرا:

وقيل له: ما ورثت أختك عن زوجها؟ فقال: أربعة أشهرٍ وعشرا.

أسلم نصراني، وفعل في الإسلام فعلاً قبيحاً؛ فقال مزبد: انظروا إلى هذا الذي أسخط المسيح، ولم يرض محمداً.

كيف أمرتك؟:

دفع مرةً إلى والي مكة، وقد أفطر في شهر رمضان؛ فقال له الوالي: يا عدو الله؛ تفطر في شهر رمضان قال: أنت أمرتني بذلك. قال: هذا شرٌّ، كيف أمرتك؟ ويلك. قال: حدثت عن ابن عباسٍ: أنه من صام يوم عرفة عدل صومه سنة، وقد صمته. فضحك الوالي وخلاه.

وهو على تلك الحال:

واعتل علةً، وأشرف منها إلى الهلاك، وأراد أن يوصي، فدعا بعض أوليائه، وأوصى إليه، وكتب كتاب وصيته، وأمر للوصي بشيءٍ؛ فلما فرغ من الكتابة رآه مزبدٌ وهو يترب الكتاب؛ فقال وهو على تلك الحال: نعم يا سيدي، فهو أقضى للحاجة.

ومن أين يعلم السمك وهو ميتٌ أني أكلت الجبن؟:

ونظر إلى قومٍ مكتفين يذهب بهم إلى السجن؛ فقال: ما قصة هؤلاء؟ قالوا: خيرٌ. قال: إن كان خيراً فاكتفوني معهم.

وجلس يوماً يأكل السمك والجبن وقال: ومن أين يعلم السمك وهو ميتٌ أني أكلت الجبن؟

والله ما لك عندي ذنبٌ غيره:

(١) الآبي، نثر الدر،٣ /١٥٩.

وخاصم مرة امرأته، وأراد أن يطلقها؛ فقالت له: اذكر طول الصحبة. قال: والله ما لك عندي ذنبٌ غيره.

يذهب شتمنا ضياعاً:

وحضر مع محبوبٍ مجلساً فعربدوا عليهما، فقام محبوبٌ يقاتلهم، ويفتري عليهم؛ فقال مزبد: اسكت يا أخي، فإن القوم سكارى، يذهب شتمنا ضياعاً.

رأى شيئاً فزع منه:

ومرت به امرأةٌ قبيحة؛ فقال: لعنها الله، كأن وجهها وجه إنسانٍ رأى شيئاً فزع منه[1].

انقطع والله عنك الوحي الذي كان يوحي إليك:

وكانت بالمدينة جاريةٌ، يقال لها: بصبص، مغنية، يجتمع الأشراف عند مولاها لسماع غنائها، فاجتمع عندها يوماً محمد بن عيسى الجعفري، وعبد الله بن مصعب الزبيري، في جماعة من أشراف المدينة، فتذاكروا أمر مزبد وبخله، فقالت بصبص: أنا آخذ لكم منه درهماً. فقال لها مولاها: أنت حرةٌ إن لم أشتر لك مخنقةً بمائة دينار إن فعلت هذا، واشتري له مع ذلك ثوب وشيٍ بمائة دينار، وأجعل لك مجلساً بالعقيق أنحر فيه بدنة لم تركب، ولم تقتب. فقالت: جئ به، وأرفع الغيرة عني. قال: أنت حرةٌ إن منعتك منه ولو رأيته قد رفع رجليك، ولا عاديته على ذلك إن حصلت منه الدرهم؛ فقال عبد الله بن مصعب: أنا لكم به زعيم. قال عبد الله: فصليت الغداة في مسجد المدينة، فإذا أنا به قد أقبل؛ فقلت: أبا إسحاق؛ أما تحب أن ترى بصبص؟ فقال: بلى والله. امرأته طالق إن لم يكن الله ساخطاً على في أمرها فقد جفتني، وإلا فأنا أسأله منذ سنةٍ أن ألقاها فلا تجيبني.

---

(١) الآبي، نثر الدر،٣ /١٦٠.

فقلت: إذا صليت العصر فأتني هاهنا. فقال: امرأته طالق إن برح يومه من هاهنا إلى العصر. قال: فتصرفت في حوائجي حتى فاتت العصر، فدخلت المسجد فوجدته؛ فأخذت بيده فأتيتهم به، وأكل القوم، وشربوا حتى صليت العتمة، ثم تساكروا وتناوموا. فأقبلت بصبص على مزبد؛ فقالت له: يا أبا إسحاق؛ كأني - والله - في نفسك تشتهي أن أغنيك الساعة:

لقد رحلوا الجمال ليه ::: ربوا منا فلم يئلوا.

قال لها: امرأته طالق إن لم تكوني تعلمين ما في اللوح المحفوظ. فغنته إياه فقالت له: أي أبا إسحاق كأني بك تشتهي أن أقوم من مجلسي فأجلس إلى جنبك، فتدخل يدك في جلبابي، فتقرص عكني قرصاتٍ وأغنيك: قالت وأبثثتها وجدي فبحت، به فقال لها: امرأته طالق إن لم تكوني تعلمين ما في الأرحام. وما تكسبه الأنفس غداً، وبأي أرضٍ تموت. قالت: نعم؛ فقام فجلس إلى جنبها وأدخل يده في جلبابها، وقرصها وغنت له. ثم قالت: برح الخفاء. أنا أعلم أنك تشتهي أن تقبلني شوق التين، وأغنيك هزجاً:

غلاماً حسن الدل... كغصن ألبان أنا أبصرت بالليل قد أصبح مسقياً من الطل فقال: امرأته طالقٌ إن لك تكوني نبيةً مرسلةً فقبلها، وغنته.

ثم قالت: يا أبا إسحاق رأيت قط أنذل من هؤلاء؟ يدعونك، ويخرجوني إليك، ولا يشترون لنا ريحانا بدرهم، هلم درهماً نشتري به ريحاناً. فوثب وصاح: واحرباه أي زانية أخطأت استك الحفرة، انقطع والله عنك الوحي الذي كان يوحي إليك، ووثب من عندها وجلس ناحية. فعطعط بها القوم، وعلموا أن حيلتها لم تنفذ عليه، وعادوا لمجلسهم، وخرج مزبد من عندهم فلم يعد إليهم [1].

---

(١) الآبي، نثر الدر،٣ /١٦١ - ١٦٢.

ومن يسره دخول النار بالمجان:

وقيل لمزبد: أيسرك أن يكون عندك قنينة شراب؟ فقال: يا بن أم؛ ومن يسره دخول النار بالمجان.

وجد المنخل في موضعه، فصار في موضعه:

وضعت امرأته المنخل على فراشه، فجاء، فلما رآه تعلق بوتد كان في داره، فقالت امرأته: ما هذا؟ قال: وجدت المنخل في موضعي، فصرت في موضعه.

وحكموا لأنفسهم بما أرادوا:

قالت امرأة مزبدٍ لجارةٍ لها: يا أختي؛ كيف صار الرجل يتزوج بأربعةٍ، ويملك من الإماء ما يشاء، والمرأة لا تتزوج إلا واحداً ولا تستبد بمملوكٍ؟. قالت لها: يا حبيبتي؛ قومٌ الأنبياء منهم، والخلفاء منهم، والقضاة منهم، والشرط منهم، تحكموا فينا كما شاءوا، وحكموا لأنفسهم بما أرادوا.

رهنٌ تقل رغبة التجار فيه:

قال مزبد: جاءني صديقٌ لي فقال: ألا تسأل فلاناً التاجر أن يقرضني مائة درهم؟ على رهن وثيق، فإني بضيق، منقطع بي، فقلت: إنه يفعل، فما الرهن؟ قال: اكتب له على نفسي بالقذف، وأشهد العدول، فإن وفيته حقه وقت المحل، وإلا استعدى علي، وأقام البينة بأني قذفته، حتى أحد حد القاذف. فقلت له: يا أخي؛ هذا رهنٌ تقل رغبة التجار فيه.

حنطة أو شعير:

كان لمزبد غلام، وكان إذا بعثه في حاجةٍ جعل بينه وبينه علامة، أن يكون إذا رجع سأله فقال: حنطة أو شعير، فإذا كان عاد بالحاجة قال: حنطة، وإن لم يقض الحاجة قال: شعير. فبعثه يوماً في حاجةٍ، فلما انصرف قال: حنطةٌ أم شعير؟ قال: خرا. قال: ويلك وكيف ذلك؟ قال:

لأنهم لم يقضوا الحاجة، وضربوني وشتموك[1].

أن يكون معك عصاً أو حجر:

وسمع رجلاً يقول لآخر: إذا استقبلك الكلب في الليل فاقرأ:

{يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ (٣٣)} [الرحمن: ٣٣]، فقال مزبد: الوجه عندي أن يكون معك عصاً أو حجر، فليس كل كلبٍ يحفظ القرآن.

نقتنع باجتماع الأرجل إلى وقت حلول الأجل:

ووقع بينه وبين امرأته خصومةٌ، فحلف: لا يجتمع رأسي ورأسك على مخدة سنةً؛ فلما طال ذلك عليه قال: نقتنع باجتماع الأرجل إلى وقت حلول الأجل.

ما أيسر ما طلبت:

واشتهت امرأته فالو ذجاً (حلوى)، فقال: ما أيسر ما طلبت عندنا من آلته أربعة أشياء، وبقي شيئان تحتالين فيهما أنت. قال: وما الذي عندنا؟ قال: الطنجير والإسطام والنار والماء. وبقي: الدهن والعسل؛ وهما عليك[2].

فواحدةٌ من الله والأخرى منك:

وقالت له امرأته في خصومة بينهما: يا مفلس، يا قرنان. قال: إن صدقت فواحدةٌ من الله والأخرى منك.

بخرها بمثلثة:

وشكا إليه رجل سوء خلق امرأته؛ فقال له مزبد: بخرها بمثلثة. يريد: الطلاق.

نصف سنةٍ فيه شهر رمضان:

(١) الآبي، نثر الدر، ٣/ ١٦٣.

(٢) الآبي، نثر الدر، ٣/ ١٦٤.

وقيل له: صوم يوم عرفة يعدل صوم سنة. فصام إلى الظهر ثم أفطر فقال: يكفيني صوم نصف سنةٍ فيه شهر رمضان.

إذاً لا يبقى في الدنيا كلبٌ إلا جاءه وعضه:

قيل لمزبد وقد عضه كلب: إن أردت أن يسكن فأطعم الكلب اللحم، فقال: إذاً لا يبقى في الدنيا كلبٌ إلا جاءني وعضني.

فيقع فيما أكره:

وقيل له: إن النبي عليه السلام قال: ' إذا رأيت شخصاً بالليل فكن بالإقدام عليه أولى منه عليك ' قال: أخاف أن يكون قد سمع هذا الحديث فأقع فيما أكره.

إذا أصبحنا جاءت:

كان مزبدٌ الغاضري في حبس محمد بن عبد الله - رضي الله عنه - حين ظهر بالمدينة؛ فلما أمسى في الليلة التي قتل محمدٌ في صبيحتها وجعل يقول: معنا علم الغيب. قيل: وكيف ذاك؟ قال: ما في الدنيا قومٌ يعرفون آجالهم غيرنا، إذا أصبحنا جاءت [(١)].

مالك ويلك؟:

كان لامرأة مزبد صديقٌ فضربها وشجها، ودخل مزبد فرآها على تلك الحال؛ فقال لها: مالك ويلك؟ قالت: سقطت من الدرجة، فقال لها مزبد: أنت طالقٌ، إنك لو سقطت من بنات نعش ما أصابك هذا كله.

بالطلاق:

زفت إلى مزبد امرأةٌ قبيحة، فجاءت إليه الماشطة، فقالت: بأي شيءٍ تصبحها؟ قال: بالطلاق.

لأن معك آلة الخمر:

---

(١) الآبي، نثر الدر، ٣/ ١٦٥.

دفع مزبد إلى والي المدينة ومعه زق، فأمر بضربه، فقال: لم تضربني؟ قال: لأن معك آلة الخمر. قال: وأنت - أعزك الله - معك آلة الزنى.

كلما أذنب ذنباً:

دفع مزبد في ذنبٍ إلى الوالي؛ فضربه خمسةً وسبعين سوطاً، ثم ظهر له براءة ساحته، فأحضره واستحله، فقال مزبد: لا، ولكن تقاصني بها كلما أذنبت ذنباً، فكان يسحب له كل مرة إذا أذنب بعشرةٍ ومثلها إلى أن نفدت وفضل عليه شيء[١].

لم لا تكون كفلان؟:

وقيل له: لم لا تكون كفلان؟ يعنون رجلاً موسراً فقال: بأبي أنتم كيف أشبه بمن يضرط فيشمت وأعطس فألطم.

لا تصلي:

قال مزبد لسقاية مدنية كان يألفها وهو في جماعة: ادخلي صبي لنا ماء، قالت: وحياتك لا أصلي.

أو ما ترون ظلمة الحلال فيه؟:

نظروا إلى مزبد المديني وبين يديه نبيذ أسود، فقالوا له: ما لون نبيذك هذا؟ قال: أو ما ترون ظلمة الحلال فيه؟[٢].

أحسن حالاً من أحيائنا:

مر مزبد بقبر عليه أثواب فاخرة فقال: موتاهم - يشهد الله - أحسن حالاً من أحيائنا.

ما اشتريته لك بهذا السعر:

اشتهت امرأة مزبد عليه اللحم فسأل عن سعره فقيل: المد بدرهم،

(١) الآبي، نثر الدر،٣ /١٦٦.
(٢) أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ٢٠٧/١.

فقال: والله لو كان الدجال ينزل المدينة وأنت ماخض بالمسيح ما اشتريته لك بهذا السعر[1].

ما يعرف من الحكم شيئاً:

أضاف مزبد رجلاً فأطال المكث، فقال ليلة لامرأته: كيف نعمل برحيل هذا عنا؟ قالت: أخاصمك ونحتكم إليه، ففعلا، فقالت المرأة: بالذي يبارك لك في ركوبك غداً لما حكمت بيننا بالحق، قال: والذي يبارك لي مقامي عندكم هذه السنة ما أعرف من الحكم شيئاً[2].

أصلحك الله كيف خلقها؟:

وشهد مزبد المديني عند قاضي المدينة بشهادة، وكان ذلك القاضي مفرط الحدة، شديد البطش، سريع الطيرة، فقال له القاضي: أعلي تجترئ وعندي تشهد؟ جرا برجليه وألقياه تحت البغلة! فلما أمعنا به نحو البغلة، التفت إلى القاضي فقال: أصلحك الله كيف خلقها؟ فضحك وخلى سبيله[3].

هو صائم:

دعي مزبد إلى طعام فقال: أنا صائم، فلما قدم الفالوذج زحف إليه، فقيل له في ذلك، فقال: أنا على رد يوم أقدر مني على ترك هذا[4].

وما هذه القصة؟:

قيل: كان مزبد يسبق الحاج في كل عام، وكان يجيء في ثلاث على رجليه. قال: فتزوج بامرأة ولها صديق صراف يختلف إليها في غيبة مزبد.

وتأخر مزبد عن وقته الذي كان يجيء فيه لعلة أصابته. فظن الصراف أنه قد مات أو أصابته بلية، فأقام في ذلك اليوم عندها ولم يبرح.

(١) أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ١٨٩/١.
(٢) أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ٢٥٥/١.
(٣) الجاحظ، البغال، ٥/١.
(٤) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ١٠٩/٣.

وجاء مزبد ودخل على الوالي وخبره بقصة الحاج وانصرف إلى منزله، فدنا من الباب واطلع من كوة فيه، وإذا الصراف مع امرأته في البيت، فلم يستفتح الباب، ومضى من وقته إلى المخنثين - وكانوا لا يعصونه - فدعاهم فأجابوه، فوقف على بابه وأمرهم فضربوا بطبولهم وزمروا، واجتمع الناس فأقبلوا يقولون له: يا أبا إسحاق ما حدث؟ فيقول: تزوجت امرأتي. فيقولون: ما بك؟ وما هذه القصة؟ فلا يخبرهم باسمه. قال: فجاء الصراف إلى الباب فقال: يا أبا إسحاق، فأذن لي أن أكلمك. فدنا فقال: اتق الله من الفضيحة وأنا أفتدي. قال: فافعل، واردد علي نفقتها ومهرها نقداً فقد أفسدتها. قال: وكم ذاك؟ قال: خمسون ديناراً. قال فكتب رقعةً إلى غلامه في السوق، ودفعها إليه من تحت الباب، فانطلق وأخذ الخمسين، وقال: أي بني أمي، تفرقوا فإنما كنت أمزح. فتفرقوا، ودخل فقنع رأسه وأدخله سراً وقعد على امرأته وسكت(١).

لم تحلف بالطلاق:

وقيل لمزبد: وقد أدمن الحلف بالطلاق وجلس مرة على الطريق يبول وهو سكران: ويحك! لم تحلف بالطلاق؟ فقال: قوموا معي حتى أريكم امرأتي، فإن كانت تصلح إلا للحنث فاصنعوا بي ما شئتم(٢).

أيما أخشن:

اشترى مزبد لامرأته ثوباً، فقلت: هو خشن، فقال: أيما أخشن هو أم الطلاق؟ فرضيت به(٣).

* * *

(١) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ٢١٩/٣.
(٢) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ٢٢٤/٣.
(٣) الزمخشري، ربيع الأبرار، ٣٩٣/١.

أبو الحارث جمين

أعـلام الظرفـاء

أبو الحارث جمين

هو أبو الحارث جمين المديني كان بطالا مضحاكا يأتي بالنوادر، أبو الحارث البصري [1].

مواقف من حياته:

ثلاث سمكات:

مر أبو الحارث جمين يوما بسوق المدينة فخرج عليه رجل من زقاق ابن واقف بيده ثلاث سمكات قد شق أجوافها وقد خرج شحمها فبكى أبو الحارث ثم قال: تعس الذي يقول:

(فلم تَرَ عيني مثلَ سِربٍ رأيته ::: خرجن علينا من زُقاقِ ابنِ وَاقفِ)

وانتكس ولا انجبر والله لهذه السمكات الثلاث أحسن من السرب الذي وصف.

الملائكة والذباب :

قيل له من يحضر مائدة محمد بن يحيى؟ فقال: أكرم الخلق والأمهم يعني الملائكة والذباب، ونظر يوماً في المرآة فاستقبح وجهه، فقال: الحمد لله الذي لا يحمد على المكروه غيره.

لما سقطت من بين أصابعه حبة واحدة:

ثم قيل لأبي الحارث جمين: كيف وجه محمد بن يحيى على غدائه قال: أما عيناه فعينا مجنون وقال فيه أيضاً: لو كان في كفه كر خردل ثم لعب الأبلى بالأكرة لما سقطت من بين أصابعه حبة واحدة وقيل له أيضاً: فكيف سخاؤه على الخبز خاصة قال: والله لو ألقي إليه من الطعام بقدر ما

(١) أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني البغدادي، المؤتلف والمختلف، تحقيق الدكتور موفق ابن عبد الله بن عبد القادر، دار الغرب الإسلام، ٤٨/٣، ابن الجراح، الورقة، ٩/١.

إذا حبس نزف السحاب ما تجافي عن الرغيف(١).

وما المرء إلا حيث يجعل نفسه:

ونظر أبو الحارث جمين الى برذون يستقي عليه الماء فقال: وما المرء إلا حيث يجعل نفسه لو أن هذا البرذون هملج ما فعل به هذا (٢).

فمن يحضرها؟:

وسأل يحيى بن خالد أبا الحارث جمين عن طعام رجل، فقال: أما مائدته فمقببة، وأما صحافه فمخروطة من حب الخردل، وبين الرغيف والرغيف فترة نبي. قال: فمن يحضرها؟ قال: الكرام الكاتبون. قال: فمن يأكل معه؟ قال: الذباب.

لم يفعل:

قال له يحيى: وأرى ثوبك مخرقاً فلا يكسوك ثوباً وأنت في صحبته؟ قال: جعلت فداك، والله لو ملك بيتاً من بغداد إلى الكوفة مملوءاً إبراً وفي كل إبرة منه خيط، وجاءه يعقوب يسأله إبرة منها يخيط بها قميص يوسف ابنه الذي قد من دبر، ومعه جبريل وميكائيل يضمنان عنده لم يفعل.

فوضع بين أيدينا مائدة:

وقال أبو الحارث جمين: دخلت على فلان،فوضع بين أيدينا مائدة كنا أشوق إلى الطعام إذا رفعت منا إليه إذا وضعت(٣).

ولكنه لقيه بعصا:

قيل له: ما تقول في فالوذجة؟ قال: والله لو أن موسى لقي فرعون بفالوذجةٍ لآمن، ولكنه لقيه بعصا.

---

(١) الجاحظ، البخلاء، ١ /١٣١.

(٢) أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق فوزي عطوي، دار صعب - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٨م، ٢٦٥/١.

(٣) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ٤٦٠/٢.

على رائحة شواءٍ:

وقيل له يوماً: ما تشتهي؟ فقال: نشيش مقلاةٍ بين غليان قدرٍ على رائحة شواءٍ.

اسقه ماءً ليس فيه باذنجان:

وكان لا يأكل الباذنجان، فكايده محمد بن يحيى واتخذ ألوانه كلها باذنجان، فجعل كلما قدم لون فرابه الباذنجان فيه توقاه، وأقبل على الخبز والملح؛ فلما عطش قال: يا غلام، اسقني ماءً ليس فيه باذنجان.

فلما رجعنا كنت أول الموكب:

وقيل له: سبقت ببرذونك هذا قط؟ قال: بلى، مرة، دخلنا زقاقاً لا منفذ له وكنت آخر القوم؛ فلما رجعنا كنت أول الموكب.

هو ذا تحتاج إلى اللحم:

ودخل جماعة من إخوانه، فاشتهوا عليه لوناً يطبخه لهم، فدنا أحدهم من القدر ليذوقها، وأخرج قطعة لحم وأكلها، وفعل كل واحد منهم كذلك؛ فقال أحدهم: هي طيبةٌ لكنها تحتاج إلى شيءٍ لا أدري ما هو؟ فقال أبو الحارث: أنا أعلم، هو ذا تحتاج إلى اللحم [(١)].

تركه وانصرف:

وحكى دعبلٌ قال: بلغني أن أبا الحارث قد مرض، فاغتممت لظرفه وملاحته، فصرت إليه فوجدته في عافية؛ فحمدت الله وسألته عن خبره؟ فقال: دخلت الحمام وأكلت السمك، ودعوت المزين فأخذ شعرى، فظن الفالج لما رأى المزين عندي أني احتجمت؛ فلما علم أنه أخذ من شعري تركني وانصرف.

روح العجة:

(١) الآبي، نثر الدر، ٣ /١٦٧.

وأكل يوماً مع الرؤساء بيضاً مسلوقاً، فجعل يأكل الصفرة، وينحى البياض إلى بين يدي أبي الحارث عبثاً به؛ فقال لما طال ذلك عليه - وتنفس الصعداء -: سقى الله روح العجة فما أعدلها.

ما تشتهي؟:

ودخل إلى بعض أصدقائه يوماً، فقال له: ما تشتهي؟ قال: أما اليوم فماء حصرم، وأما غداً فهريسة. قال بعضهم: دخلت على جمين أعوده من مرضٍ به، فقلت له: ما تشتهي؟ فقال: أعين الرقباء، وألسن الوشاة، وأكباد الحساد.

فرددت عليه بالضمير:

مر رجلٌ به فسلم عليه وأشار له بسوطه، فلم يرد عليه؛ فقيل له في ذلك؛ فقال: سلم علي بالإيماء، فرددت عليه بالضمير.

وما بين الرغيف والرغيف مد البصر:

وسأله يحيى بن خالد عن مائدة ابنه؛ فقال: أما مائدته فمن نصف كسرة، وأما صحافه فمنقورةٌ من قشور حب الخشخاش، وما بين الرغيف والرغيف مد البصر، وما بين اللون واللون فترة ما بين نبي ونبي. قال: فمن يحضرها: قال: خلقٌ كثيرٌ من الكرام الكاتبين. قال: فيأكل معه أحد؟ قال: نعم، الذباب. قال: سوءة له هذا، فشوبك مخرق وأنت بفنائه يطور، فلو رقعت قميصك. قال: ما أقدر على إبرة، قال: هو يعطيك، قال: والله لو ملك بيتاً من بغداد إلى النوبة مملوءاً إبراً في كل إبرةٍ خيطٌ، ثم جاء جبريل وميكائيل ومعهما يعقوب النبي عليه السلام يسألونه إبرة يخيط بها يوسف قميصه الذي قد من دبرٍ ما أعطاهم[1].

والرغيفان من عند العصفور:

وجاء إليه رجل يسأله شيئاً، وقال: قد قطع علي الطريق. قال: فعلي

(١) الآبي، نثر الدر، ٣ /١٦٨.

إذا قطع الطريق. ولقيه رجلٌ - وقد تعلق به غلام - فقال: يا أبا الحارث؛ من هذا؟ قال: هذا غلام الفضل بن يحيى، كنت عند مولى هذا أمس، فقدم إلينا مائدةً عليها رغيفان عملا من نصف خشخاشة سوى ما ذهب عند النحت، وثريدة في سكرجةٍ، وخبيصة في مسعط، فتنفست الصعداء فدخل الخوان وما عليه في أنفي، فمولاه يطالبني بالقيمة. قال الرجل: استغفر الله مما تقول، فأومأ إلى غلامٍ معه وقال: غلامي هذا حرٌ إن لم يكن لو أن عصفوراً وقع على بعض قشور ذلك الخشخاش الذي عمل منه ذلك، لما رضي مولى هذا حتى يؤتى بذلك العصفور مشوياً بين رغيفين، والرغيفان من عند العصفور. ثم قال: وعلي المشي إلى بيت الله الحرام، إذا عطشت بالقرعاء رجعت إلى دجلت العوراء حتى أشرب منها ماءً، لو أن مولى هذا كلف في يوم قائظٍ شديد الحر أن يصعد على سلم من زبد، حتى يلتقط كواكب بنات نعشٍ كوكباً كوكباً؛ لكان ذلك أسهل عليه من أن يشم شام تلك الثريدة، أو يذوق ذائقٌ تلك الخبيصة. فقال الرجل: عليك لعنة الله، وعلي إن سمعت منك شيئاً بعد هذا.

في بطنه قبراً:

وقيل له وهو على نبيذ: كل من هذا الطين السيراني فإنه نظيف؛ فقال: ومتى بلغك أن في بطني قبراً.

وكيف علمت ذلك؟:

وقيل له: ما تغديت عند فلان؟ قال: لا، ولكني مررت ببابه وهو يتغدى. قيل: وكيف علمت ذلك؟ قال: رأيت غلمانه ببابه، بأيديهم قسي البنادق يرمون الطير في الهواء.

أعرى من الحجر الأسود:

وقال له الرشيد: لم لا تدخل إلى محمد بن يحيى؟ فقال: أدخل والله يا أمير المؤمنين، وأنا أكسى من الكعبة، وأخرج وأنا أعرى من الحجر

الأسود [1].

في بيتك وأنت تبغضها:

وقيل لجمين - وقد رأى سوداء قبيحة -: ابتلاك الله بحبها قال: يا بغيض لو ابتلاني بحبها كانت عندي من الحور العين، ولكن ابتلاك الله بأن تكون في بيتك وأنت تبغضها.

غمزه الآخر بحاجبه:

وقال له الرشيد: اللوزينج أم الفالوذج؟ قال: أحضرهما يا أمير المؤمنين، فأحضرا، فجعل يأكل من هذا وهذا، ثم قال: يا أمير المؤمنين، كلما أردت أن أشهد لأحدهما غمزني الآخر بحاجبه.

كيف تغني جبتك؟:

قال بصري لجمين: يأتينا المد والجزر في كل يوم مرتين. قال: يستأذن الله في هلاككم مرتين، وكأن قد. ورأوا عليه جبةً قد تخرقت، فقيل له: ما هذا؟ قال: غنت بقول الشاعر: لقا فؤادي، لقد بلى جزعاً.. قطعه البين والهوى قطعا ثم قيل له بعد ذلك: كيف تغني جبتك؟ فقال: قد كانت تغنى، وقد صارت تلطم في مأتم.

لبزق كل منهما في وجه صاحبه:

ودعته امرأةٌ كان يحبها، فجعلت تحادثه ولا تذكر الطعام، فلما طال ذلك به قال: جعلني الله فداءك، لا أسمع للغداء ذكراً. قالت له: أما تستحيى أما في وجهي ما يشغلك عن هذا؟ قال: جعلني الله فداءك، لو أن جميلاً وبثينة قعدا ساعةً لا يأكلان شيئاً لبزق كل منهما في وجه صاحبه[2].

حطي شراعك:

كانت عنان جارية الناطفي عندها جماعة من الشعراء وجمين معهم،

---

(١) الآبي، نثر الدر، ٣ /١٦٩.
(٢) الآبي، نثر الدر، ٣ /١٧٠.

وحضرت المائدة فأرادوا أن يوسعوا لعنان فقالت: مكانكم! فلو مددت يدي إلى البصرة لنلتها، ومدت يدها فضرطت، فقال جمين: حطي شراعك حتى نتعشى بواسط[١].

وما كان معهم انفلت:

خرج أبو الحارث جمين مع عيسى بن موسى إلى الصيد فخلا به، فانحنى عيسى على قربوس سرجه فأفلت منه ضرطة، فالتفت إلى أبي الحارث جمين فقال: إنك ستجعل هذه نادرة تأكل بها، وإني أعطي الله عهداً لئن بلغني أنك حدثت بهذا لأضربن عنقك، فقال جمين: سبحان الله أيها الأمير، وأنا لا أدري بمن أتعبث وحديث من أتحدث؟! فلما انصرفا قام إليهما بعض أهل الدار فقال: كم اصطدتم؟ قال: فبادر أبو الحارث فقال: لا والله ما اصطدنا شيئاً، وما كان معنا انفلت، وأشار إلى نحو بطن عيسى[٢].

لو صدئ القمر لجلي بأقل من هذا:

رفع وكيل لبعض بني هاشم في حساب ثلاثمائة درهم في جلاء مرآة، فقال جمين: والله لو صدئ القمر لجلي بأقل من هذا[٣].

مرحباً بك يا نصف القرآن:

وقال جمين لرجل: أبو من؟ قال: أبو عبد الكريم الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه. فقال: مرحباً بك يا نصف القرآن، ارتفع[٤].

بأي شيء تشبه البدر؟:

قيل لأبي الحارث جمين: بأي شيء تشبه البدر؟ قال: بالحلوي إذا

(١) أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ١٢٨/١.
(٢) أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ٣٤٥/١.
(٣) أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ٥٠٠/١.
(٤) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ٣٦٥/١.

سقيت لبن حليب طري بزبد مروي، وسكر طبرزد.

وكان يقول: ما أشبه البيض على الموائد إلا بالكواكب في الأفق[1].

لما أعارهم:

حدث رزين العروضي قال: رأيت غلاماً لمحمد بن يحيى بن خالد يضرب أبا الحارث جُمينْ بباب الجسر، فقلت له في ذلك. فقال: شتم مولاي فقلت له: لم فعلت؟ فقال: والله لو أن يوسف الصديق جاء إلى مولاه ومعه النبيون والملائكة شفعاء في أن يعيرهم إبرة يخيط بها ما قُدَّ من قميصه، وله طور مملوء إبراً ترسل المهر في أوله فلا يبلغ إلى آخره حتى يقرح، لما أعارهم. قال رزين: فقلت:

لو أرك أنبتت لكَ واحتشتْ ::: إبراً يضيقُ بها فضاءُ المنزلِ

وأتاك يوسفُ يستعيرك إبرةً ::: ليخيطَ قدَّ قميصهِ لمْ تفعلِ[2]

* * *

(١) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ١٠٣/٣.

(٢) ابن الجراح، الورقة، ١٠/١.

الجماز البصري

أعــلام الظرفــاء

الجماز البصري

هو أبو عبد الله محمد بن عمرو بن حماد بن عطاء ابن ريان، مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وهو ابن أخت سلم الخاسر؛ قال السمعاني في حقه: كان خبيث اللسان حسن النادرة، وكان أكبر من أبي نواس، وقيل في نسبه غير ذلك، والجماز لقبه، وهو بفتح الجيم وتشديد الميم وبعد الألف زاي وإنما قيل له الجماز لأنه كان يركب الجمازة وهى من آلات المحامل وكان صاحب نوادر، شاعر، روى عن ابى عبيدة معمر بن المثنى.

كان الجماز رجلاً من موالي قريش يكنى أبا عبد الله من ساكني البصرة، وكان شاعراً مفلقاً مفوهاً مطبوعاً(١).

مواقف من حياته:

مرقكم لا يغير الثياب:

كان الجماز ببغداد عند يحيى بن عبد الرحمن البختكاني، ومر الغلام بصحفة، فقطرت على ثوبه قطرة من المرق، فاغتم الجماز، فقال له: يا أبا عبد الله لا تغتم فلك عندنا قميص بل أقمصة. فقال: ما اغتممت أصلحك الله فإن مرقكم لا يغير الثياب - أي ليس فيه دسم - فضحك البختكاني حتى استلقى على قفاه.

هات علامة:

كان الجماز يوماً مع قثم بن جعفر الهاشمي، فوقف عليه رجل يستسقي، فقاله له قثم: ادخل الدهليز، وأمر الغلمان أن يسقوه، فدخل غلام ثم خرج مسرعاً. فقال له قثم: أين الماء؟ قال الغلام: قالت لي أمك: هات

---

(١) أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٢٦/٣، ابن حَجَر العسقلاني، تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، تحقيق محمد علي النجار - مراجعة علي محمد البجاوي، المكتبة العلمية - بيروت - لبنان، ٣٤٦/١.

علامة. فضحك القوم وأحرج قثم.

فضحكت الجارية:

اجتمع الجماز مع قوم يشربون، وعندهم جارية تغني. فبينما هي في بعض أمرها إذ ضرطت ضرطة خفيفة لم يسمعها إلا الجماز، وكان قريب المجلس منها. فظنت الجارية أنه لم يسمعها، وأن أحداً غيره لم يسمعها إن كان هو لم يسمعها، فقالت له لما صار القدح إليه: أي صوت تحب أن أغني لك يا أبا عبد الله؟ فقال: غني: " يا ريح ما تصنعين بالدمن " فضحكت الجارية وقالت: اكتم علي.

ومما اخترناه من شعره قوله:

إن جعلتك يا محمد مفزعاً ::: في حاجتي وتشوقي لقضائها

من كان في هدم المكارم شغله ::: فمحمد متشاغل ببنائها

وفي الحسين بن الضحاك وأبي جعفر أخيه:

أبو علي وأبو جعفرٍ ::: أصغر من يُعرف بالعسكر

كلاهما طفل بلا دايةٍ ::: عُلل باللوز وبالسكر

وله في جفاءٍ كان من جعفر بن القاسم قوله:

قد جفاني الأمير حين تقرّا ::: فتقرأت مكرهاً لرضائه

ما طلاق لمكره بطلاق ::: قد رواه الأمير عن فقهائه

والذي انطوى عليه المعاصي ::: علم الله ذاك لي من سمائه

ما هم اليوم إلا عصبة:

جلس الجماز يأكل على مائدة بين يدي جعفر بن القاسم وجعفر يأكل على مائدة أخرى مع قوم فكانت الصحفة ترفع من بين يدي جعفر وتوضع بين يدي الجماز ومن معه فربما جاء قليل، وربما لم يجيئ شيء، فقال الجماز: أصلح الله الأمير ما نحن اليوم إلا عصبة، ربما فضل لنا بعض المال وربما أخذه أهل السهام فلا يبقى لنا شيء.

دع عنك هذا:

وقال يموت: كان أبى والجماز يمشيان وأنا خلفهما بالعشي فمررنا بإمام وهو ينتظر من يمر عليه فيصلى معه، فلما رآنا أقام الصلاة مبادرا، فقال له الجماز: دع عنك هذا، فإن رسول الله قد نهى أن يتلقى الجلب.

حتى ولاك جزيرة القرود:

حدث عافية بن شبيب التميمي الحليس قال: كنا نكثر الحديث للمتوكل عن الجماز، وهو محمد بن عمرو بن حماد مولى بنى تيم وسلم الخاسر خاله فأحب ان يراه فكتب في حمله، فلما دخل عليه لم يقع الموقع الذي أردناه فتعصبنا كلنا له، فقال له المتوكل: تكلم، فإنى أريد أن أستبرئك فقال الجماز: بحيضة أو حيضتين، فضحك الجماعة منه، فقال له الفتح: قد كلمت أمير المؤمنين فيك، حتى ولاك جزيرة القرود، فقال الجماز: أفلست في السمع والطاعة أصلحك الله فحصر الفتح وسكت، فأمر له المتوكل بعشرة آلاف درهم فأخذها وانحدر فمات فرحا بها [١].

الجماز يدعوه إلى التوبة فيرفض :

دخل الجماز على أبي نواس يعوده في مرضة لم يمت منها، فقال: اتق الله فكم من محصنة قذفت وسيئة اقترفت وكبيرة ارتكبت، وأنت على هذه الحال فتب، فقال: صدقت يا أبا عبد الله ولا أفعل، قال: ولم؟ قال: مخافة أن تكون توبتي على يد مثلك يا عاض بظر أمه، فقال له: إن برأت والعياذ بالله كلت لك بالصاع الأوفر، فقال: يا أبا عبد الله والله، ما أشركت بالله طرفة عين قط.

قم أخرجنا مما أدخلتنا فيه:

خرج الناس بالبصرة ينظرون هلال شهر رمضان، فرآه رجلٌ واحد منهم، ولم يزل يومئ إليه حتى رآه معه غيره وعاينوه، فلما كان هلال

(١) أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٢٦/٣، ابن حَجَر العسقلاني، تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، تحقيق محمد علي النجار - مراجعة علي محمد البجاوي، المكتبة العلمية - بيروت - لبنان، ٣٤٦/١.

الفطر جاز الجماز صاحب النوادر إلى ذلك الرجل، فدّق عليه الباب فقال: قم أخرجنا مما أدخلتنا فيه.

قال الجماز: أصبحت في يوم مطير، فقالت لي امرأتي: أي شيء يطيب في هذا اليوم فقلت لها: الطلاق، فسكتت عني.

ما أعجب أسباب الرزق!:

ودخل يوماً بعض إخوانه وقد طبخ وغرف الطعام، فقال الداخل: سبحان الله ما أعجب أسباب الرزق! فقال الجماز؛ الحرمان والله أعجب منه، امرأته طالق إن ذقته.

وكان يلازم الجامع ثم انقطع عنه:

هجرت المسجد ::: الجامع والهجر له ريبه
فلا نافلةً تأتي ::: ولا تشهد مكتوبه
وأخبارك تأتينا ::: على الأعلام منصوبه
فإن زدت من الغيبة ::: زدناك من الغيبه [1]

وأدخل على المتوكل فأنشده:

ليس لي ذنب إلى الشيعة إلا خلتين ::: حب عثمان بن عفان وحب العمرين

وهاجى عبد الصمد بن المعذل. وللجاحظ فيه:

نسب الجماز مقصور إليه منتهاه ::: يتحامى من أبي الجماز عنه كاتباه

ليس يدري من أبو الجماز إلا من رآه

فأجابه الجماز:

يا فتى نفسه إلى الكفر تائقه ::: لك في الفضل والتزهد والنسك سابقه

فدع الكفر جانباً يا دعيُ الزنادقة

والرزق عند اللهَّ لا ينفَدُ:

حدث العباس بن عبيد الله بن سنان بن عبد الملك بن مسمع قال: كنا

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ٧/٧١.

عند قثم بن جعفر بن سليمان وعنده أبو العتاهية ينشد في الزهد فقال قثم: يا عباس أطلب الساعة الجماز حيث كان ولك عندي سبق فطلبته فوجدته عند ركن دار جعفر بن سليمان، فقلت: أجب الأمير فقام معي حتى أتى قثم فجلس في ناحية مجلسه وأبو العتاهية ينشده فأنشأ الجماز يقول:

(ما أقبحَ التَّزهيدَ من واعظ ::: يُزَهِّد الناسَ ولا يَزْهَدُ)
(لو كان في تزهيده صادقًا ::: أَضحى وأمسى بيتُه المسجدُ)
(يخاف أن تنفَد أرزاقُه ::: والرزق عند اللّه لا ينفَدُ) (١)

تهاجي الجماز والمعذل :

حدث إبراهيم بن عقبة اليشكري قال: قال لي عبد الصمد بن المعذل: هجاني الجماز ببيتين سخيفين فسارا في أفواه الناس حتى لم يبق خاص ولا عام إلا رواهما وهما:

(ابنُ المعذل مَنْ هو ::: ومن أبوه المعذّلْ)
(سألْتُ وَهْبانَ عنه ::: فقال بَيْضٌ مُحَوَّلْ)

فقلت: أنا فيه شعرا تركته يتحاجى فيه كل أحد فما رواه أحد ولا فكر فيه وذلك لضعته وهو قولي:

(نَسَبُ الجمّاز مقصورٌ ::: إليه مُنْتَهاهُ)
(يتراءى نَسَبُ الناس ::: فما يخفَى سواهُ)
(يتحاجى في أبي الجَمَاز ::: من هُوْ كاتَباهُ)
(ليس يَدْري مَنْ أبو الجَمَاز ::: إلا مَن يراه) (٢)

أمه تشهد الفجور والسرور:

كتب الجماز إلى صديق له يسأله شيئاً فأجابه إن كنت كاذباً، فجعلك الله صادقاً، وإن كنت ملوماً فجعلك الله معذوراً، وكانت أمه نائحة فجمعه المكتب بالبصرة وابن مغنية فتشاجرا يوماً وتشاتما، فزناه ابن المغنية،

(١) الأصفهاني، الأغاني، ١٣ /٢٦١.
(٢) الأصفهاني، الأغاني، ١٣ /٢٦٣.

فضحك الجماز وقال للصبيان: أنصفوني يا قوم من هذا إن أمه تشهد الفجور والسرور وأمي تشهد الأتراح والأحزان فانظروا أيتهما أحق بالزنى.

وبلغ كلامه المؤدب فتعجب منه وقال: إن عاش هذا خرج باقعة في الظرف والنوادر فكان كذلك.

من الظرف رد الظرف:

وقال الجماز مرة: شممت من دار فلان رائحة طيبة أطيب من رائحة العروس الحسناء في أنف العاشق الشيق وأهدى إلى صديق له فاكهة على طبق وكتب إليه: من الظرف رد الظرف(١).

لو كُنْتَ ذا عِرْضٍ هَجَوْناكا:

ضاف رجلٌ قبيح الوجه دَنيّ الحَسَب أبا عبد الله الجمّار، فجعل يَفْخر ببيته؟ فقال له الجماز: اسكت، فقَبَاحة وجهك، ودُنُوّ حسبك يمنعاننا مِن سَبّك؛ فأبى إلا التّمادي في اللّجاج، فقال له الجمّاز:

لو كُنْتَ ذا عِرْضٍ هَجَوْناكا ::: أو حسن الوجه عاتبناكا

جمعتَ مَرْ قُبْحك لؤْماً فلل ::: قُبح أو اللّؤم تَرَكْناكا(٢)

كلب في قحف خنزير:

ومر طفيلي على الجماز، فقال له: ما تأكل؟ قال: كلب في قحف خنزير(٣).

إن أنكر الأصوات لصوت الحمير!:

وقال الجماز لأبي العيناء: كيف ترى غنائي؟ فقال: كما قال الله تعالى: {إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ} [لقمان: ١٩].

حفظه لك أن يبقيك فيه:

---

(١) أبو منصور عبد الملك عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، الإعجاز والإيجاز، دار الغصون - بيروت / لبنان - ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ١٣٢/١.

(٢) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ٤٨٥/١.

(٣) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ٤٧١/٢.

وسمع الجماز محبوساً يقول: اللهم احفظني. فقال: قل اللهم ضيعني فإن حفظه لك أن يبقيك فيه.

ما أرى في وجهك منها شيئاً:

قال الجماز لأبي شراعة: كيف تجدك؟ قال: أجدني وقيذاً من دماميل قد ظهرت في أقبح المواضع. قال: ما أرى في وجهك منها شيئاً.

صلى رجلٌ صلاةً خفيفة؛ فقال له الجماز: لو رآك العجاج لسر بك. قال: ولم؟ قال: لأن صلاتك رجز [1].

فقد نزلت ملائكة الليل:

ودخل مع صاحبٍ له إلى قثمٍ بن جعفر؛ فتغديا عنده وتحدثا، وأراد قثم أن يقيل، فدعا غلاماً رومياً وضيئاً فقال: قف هاهنا، فقال الجماز لصاحبه: قم بنا نعرج. قال: إلى أين؟ قال: إلى السماء، فقد نزلت ملائكة الليل.

أتدري لم جاؤوك؟

رأى رجلٌ من ولد عبيد الله بن زياد(وكان قد قتل الحسين بن علي) كأن النبي وعلياً وفاطمة - عليهم السلام - في داره، فصام وتصدق تبركاً برؤياه، وقصها والجماز حاضر؛ فقال: أتدري لم جاؤوك؟ قال: لا. قال: جاءوك ليشكروك على فعل أبيك بابنهم، فانخذل الرجل وود أنه لم يذكر من ذلك شيئاً.

لأنه يشتري الخبز:

وذكر يوماً رجلاً قام من عنده؛ فقال: كأن قيامه من عندنا سقوط جمرةٍ من الشتاء. وقيل له: ما بقى من شهوتك للنساء؟ فقال: القيادة عليهن. قال الجماز: رأيت عجوزاً تسأل وتقول: من تصدق علينا بكسرةٍ أطعمه الله من طيبات باب الطاق. وقال: قلت لرجلٍ: قد زاد سعر الدقيق؛ فقال: أنا لا أبالي لأني أشتري الخبز.

---

(١) الآبي، نثر الدر،٣ /١٧١.

العنزروت:

قال: قلت لرجلٍ رمد العين: بأي شيءٍ تداوي عينيك؟ فقال: بالقرآن ودعاء الوالدة. قلت: اجعل معهما شيئاً يقال له: العنزروت [١].

نعم بترك العودة:

ودخل عليه ثقيلٌ يعوده من مرضه؛ فلما نهض قال للجماز: تأمر بشيء. قال: نعم بترك العودة.

وقال لرجل: ما أخرك عنا؟؛ فقال: أصابتني خلفة؛ فقال الجماز: ما أبين الخلفة في وجهك.

أن يصح ما اشتهوا:

شهى جعفر بن سليمان أصحابه؛ فتشهى كل إنسان منهم جنساً من الطعام؛ فقال للجماز: فأنت ما تشتهي؟ قال: أن يصح ما اشتهوا.

كم غسلةٍ يصير القميص زراً:

ودفع إلى القصار قميصاً ليغسله، فضيقه، ورد عليه قميصاً صغيراً؛ فقال: ليس هذا قميصي، قال: بلى هو قميصك ولكنه توزى وفي كل غسلةٍ يتقلص ويقصر؛ فقال الجماز: فأحب أن تعرفني في كم غسلةٍ يصير القميص زراً؟.

وقيل له: لم تقصر شعرك؟ قال: أليس قليل ما أجيء به كثيراً في جنب ما يعطونني.

رغيفاً مقصوص الجناح:

وحضر دعوة بعض الناس فجعل رب البيت يدخل ويخرج ويقول: عندنا سكباجةٌ تطير طيراناً، عندنا قليةٌ تطير في السماء، فلما طال ذلك على الجماز وجاع قال: يا سيدي، أحب أن تخرج لي رغيفاً مقصوص

(١) نثر الدر،٣ /١٧٢.

الجناح إلى أن تقع ألوانك الطيارات.

قال الجماز: اجتزت ببابٍ وصاحب الدار يقاتل امرأته ويقول: لأحملن عليك اليوم مائة رجل، فجلس شيخ كان خلفي على الباب ينتظر؛ فلما طال دق الباب وقال: تريد أن تحمل على هذه القحبة أو انصرف.

وما تستحسن منه؟:

رأى رجلٌ الهلال فاستحسنه؛ فقال له الجماز: وما تستحسن منه؟ فو الله إن فيه لخصالاً لو كانت إحداهن في الحمار لرد بها؛ قال: وما هي؟ قال: إنه يدخل الروازن، ويمنع من الدبيب، ويدل على اللصوص، ويسخن من الماء، ويخرق الكتان، ويورث الزكام، ويحل الدين، ويزهم اللحم[1].

انظر في المرآة:

وقال رجل للجماز: أشتهي أن أرى الشيطان. فقال له: انظر في المرآة فإنك تراه.

على أنك لا تلفح أبداً:

وقال له رجل: يا أبا عبد الله؛ أنا رجل جامد العين، لو مات أبي ما بكيت، ولكن إذا سمعت الصوت الفريح من الوجه المليح، بكيت حتى أغمي علي. فعلام يدل هذا؟ قال: على أنك لا تلفح أبداً.

فخذها في ورقة:

وقال له رجل: أردت أن أحمل أمي إلى بغداد، فخفت إن حملتها في البحر أن تعطب، وإن حملتها في البر أن تتعب. قال: فخذها في ورقة.

دعوت أناساً ولم أدع نمل:

وكان الجماز لا يدخل بيته أكثر من ثلاثة لضيقه، فدعا ثلاثةً من

(١) الآبي، نثر الدر، ٣/ ١٧٤.

إخوانه فأتاه ستة، ووقف كل واحد على رجل وقرعوا الباب، فنظر من كوة أسفل الباب وكذلك كان يعمل فعد ستة أرجل، فلما فتح الباب دخلوا؛ فقال: اخرجوا عني فإني دعوت أناساً ولم أدع نملاً.

فإذا قرأت كتابي، فأحرقوا القرطاس:

وقال الجماز: أراد أن يكتب أبو نواس إلى إخوان له دعاهم، فلم يجد قرطاساً يكتب فيه! فكتب في رأس غلام له أصلع ما أراد، ثم قال فيه: فإذا قرأت كتابي، فأحرقوا القرطاس. فضحكوا منه وتركوا للغلام جلدة رأسه[1].

* * *

(١) ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، أخبار الظراف والمتماجنين، ص ٨٤.

بديح مولـى عبد الله بن جعفر

أعـلام الظرفـاء

بديح مولى عبد الله بن جعفر

من أهل المدينة وهو مولى عبد الله بن جعفر وكان يقال له بديح المليح

وله صنعة يسيرة وإنما كان يغني أغاني غيره مثل سائب خاثر ونشيط وطويس وهذه الطبقة وله رواية في الحديث عن عبد الله بن جعفر.

مواقف من حياته:

وحشاً من وحوش رقيق الحجاز:

وعن بديح قال: أن عبد الله بن جعفر قدم على عبد الملك بن مروان، فأهدى له رقيقاً من رقيق المدينة، فقال له يحيى بن الحكم وهو عنده: إنما أهديت لأمير المؤمنين وحشاً من وحوش رقيق الحجاز، وقال له يحيى بن الحكم: ما فعلت خبثة؛ يعني المدينة؟ قال له عبد الله بن جعفر: سماها رسول الله طيبة وسميتها خبثة! وفي رواية: خالفت رسول الله ، ما أرى الله سيخالف بينك وبينه.

إن الكريم طروب:

قال أبو الحسن المدائني: دخل عبد الله بن جعفر على معاوية ومعه بديح، فقال لبديح: هات بعض هناتك، فغنى، فحرك معاوية رجليه، فقال ابن جعفر: ما هذا يا أمير المؤمنين؟ قال: إن الكريم طروب.

فعليك ضعف ذلك:

قال الأصمعي: قال الوليد بن عبد الملك لبديح: خذ بنا في المنى، فوالله لأغلبنك قال: لا تغلبني.

قال: بلى لأفعلن، قال: فستعلم، قال الوليد: فإني أبداً أتمنى ضعف ما تتمنى أنت فهات، قال: فإني أتمنى سبعين كفلاً من العذاب، ويلعني الله

قال: غلبتني قبحك الله.

فطفق عبد الملك ضاحكاً يفحص برجليه:

دخل عبد الله بن جعفر على عبد الملك بن مروان وهو يتأوه فقال يا أمير المؤمنين لو أدخلت عليك من يؤنسك بأحاديث العرب وفنون الأسمار، قال: لست صاحب هزل والجد مع علتي أحجى بي، قال: وما علتك يا أمير المؤمنين، قال: هاج بي عرق النسا في ليلتي هذه، فبلغ مني قال: فإن بديحاً مولاي أرقى الناس منه، فوجه إليه عبد الملك، فلما مضى الرسول سقط في يدي ابن جعفر وقال: كذبة قبيحة عند خليفة، فما كان بأسرع من أن طلع بديح، فقال: كيف رقيتك من عرق النسا، قال: أرقى الخلق يا أمير المؤمنين.

قال: فسري عن عبد الله لأن بديحاً كان صاحب فكاهة، يعرف بها فمد رجله فتفل عليها ورقاها مراراً، فقال عبد الملك: الله أكبر وجدت والله خفاً يا غلام ادع فلانة حتى تكتب الرقية، فإنا لا نأمن هيجها بالليل فلا نذعر بديحاً:

فلما جاءت الجارية: قال بديح يا أمير المؤمنين امرأته الطلاق إن كتبتها حتى تعجل حبائي فأمر له بأربعة آلاف درهم، فلما صار المال بين يديه قال وامرأته الطلاق إن كتبتها أو يصير المال إلى منزلي، فأمر به فحمل إلى منزله فلما أحرزه، قال يا أمير المؤمنين امرأته الطلاق إن كنت قرأت على رجلك إلا أبيات نصيب:

ألا إنّ لَيلَـــى العامريّـــةَ أصـــبحَتْ ::: على النأي منِّي ذَنْبَ غـــيرِيَ تـــنقِمُ

وذكر الأبيات وزاد فيها

(وما زلْتُ أستصفِي لكِ الودّ أبتغـــي ::: مُحاسَـــنةً حتَّـــى كـــأنّي مُجْـــرِمُ)

قال: ويلك ما تقول قال امرأته الطلاق إن كان رقاك إلا بما قال:

قال: فاكتمها علي، قال: وكيف ذاك، وقد سارت بها البرد إلى أخيك،

بمصر فطفق عبد الملك ضاحكاً يفحص برجليه[1].

فهــــذا سِــــحْرُكَ النِّـــــسْوانَ ::: قـــــد خَبَّرْنَنِــــــي خَـــــبرَكْ

قال بديح: حجت بنت محمد بن الأشعث الكندية فراسلها عمر بن أبي ربيعة ووعدها أن يتلقاها مساء الغد وجعل الآية بينه وبينها أن تسمع ناشداً ينشد إن لم يمكنه أن يرسل رسولا يعلمها بمصيره إلى المكان الذي وعدها، قال: بديح فلم أشعر به إلا متلثما، فقال لي: يا بديح ائت بنت محمد بن الأشعث فأخبرها أني قد جئت لموعدها، فأبيت أن أذهب، وقلت: مثلي لا يعين على مثل هذا فغيب بغلته عني ثم جاءني فقال لي: قد أضللت بغلتي فانشدها لي في زقاق الحاج فذهبت فنشدتها فخرجت علي بنت محمد بن الأشعث وقد فهمت الآية فأتته لموعده وذلك قوله

(وآيـــــةُ ذلـــــكِ أن تـــــسمَعي ::: إذا جئـــــتُكم ناشـــــداً يَنْـــــشُد)

قال بديح فلما رأيتها مقبلة عرفت أنه قد خدعني بنشدي البغلة فقلت له يا عمر لقد صدقت التي قالت لك

(فهــــذا سِــــحْرُكَ النِّـــــسْوانَ ::: قـــــد خَبَّرْنَنِــــــي خَـــــبرَكْ)

قد سحرتني وأنا رجل فكيف برقة قلوب النساء وضعف رأيهن وما آمنك بعدها ولو دخلت الطواف ظننت أنك دخلته لبلية قال وحدثها بحديثي فما زالا ليلتهما يفصلان حديثهما بالضحك مني [2].

لعلّ البرقَ ذاك يعودُ نارا:

قدم بديح الكوفة فغنى بها دهرا وأصاب مالا كثيرا، ثم خرج إلى البصرة ثم أتى الأهواز ثم عاد إلى البصرة فصحب ابن مفرغ في سفينة حتى إذا كان في نهر معقل تغنى وهو لا يعرف ابن مفرغ بقوله

(سَـــمَا بـــرقُ الجُمانـــة فاســـتَطارا ::: لعـــلّ الـــبرقَ ذاك يعـــودُ نـــارا)

قال فطرب ابن مفرغ، وقال يا ملاح كر بنا إلى الأهواز، فكر وهو

(١) الأصفهاني، الأغاني، ١٥ /١٩٧.
(٢) الأصفهاني، الأغاني، ١٥ /١٧٠.

يغنيه ثم كر راجعا إلى البصرة وكروا معه وهو يعيد هذا الصوت قال ووصل ابن مفرغ بديحا وكساه.

لعل الشيخ ضنين بجاريته:

قال عيسى بن يزيد بن دأب: أرسل يزيد بن معاوية إلى عبد الله بن جعفر في جارية له مغنية يسأله إياها؛ فقال له الرسول: أمير المؤمنين يقرئك السلام ويقول لك: فلانة أعجبتني، ويجب أن تؤثرني بها. فقال عبد الله لمولاه بديح المليح: أي شيء يقول؟ قال بديح: فقلت له: يقرئك السلام، ويقول: كيف بت في ليلتك هذه؟ قال: يقول عبد الله: أقرئ أمير المؤمنين السلام. فقال الرسول: ليس كذا قلت ولا له جئت. فقال: ما يقول؟ فأعاد بديح القول، فخرج الرسول مغضباً ومضى إلى يزيد فقال: يا أمير المؤمنين، بلغت ابن جعفر رسالتك وإلى جنبه رجل مجنون ما أدري كيف هو يحكي خلاف ما أقول! فقال: علي به، قال بديح: فذهب بي إليه، فلما دخلت شتمني وقال: تصنع هذا؟ فقلت: يا أمير المؤمنين، متى عهدك بابن جعفر لا يسمع؟ إقباله علي يسألني منع لجاريته وبخل بها؛ كره أن يعطيكها لمحبته لها فما ذنبي أنا؟! فضحك يزيد وقال: لعل الشيخ ضنين بجاريته[1].

* * *

(١) الحُصري، جمع الجواهر في الملح والنوادر، ٨/١.

عبد الله بن أبي عتيق

أعــلام الظرفــاء

عبد الله بن أبي عتيق

هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن أبي قحافة بن عثمان بن عامر ابن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم ابن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي التيمي المدني.

وأمه رميثة بنت الحارث بن حذيفة بن مالك بن ربيعة من بني فراس بن غنم بن مالك بن كنانة وأم ابنه محمد بن عبد الرحمن أميمة بنت عدي بن قيس بن حذافة بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب.

كان أمرأ صالحا، وكانت فيه دعابة، ويعد في الطبقة الثانية من تابعي أهل المدينة، سمع الحديث من أم المؤمنين عائشة وعامر بن سعد بن أبي وقاص روى عنه ابناه محمد وعبد الرحمن ومحمد بن إسحاق وأبو حزرة يعقوب بن مجاهد القاص وخالد بن سعد وشريك بن عبد الله بن أبي نمر.

وقال موسى بن عقبة ما نعلم أربعة في الإسلام أدركوا هم وأبناؤهم النبي إلا هؤلاء الأربعة أبي قحافة وأبي بكر ابنه وابن ابنه عبد الرحمن بن أبي بكر وأبو عتيق بن عبد الرحمن بن أبي بكر واسم أبي عتيق محمد.

وعاش مائة سنة ولد سنة خمس وسبعين وثلاثمائة ومات سنة خمس وسبعين وأربعمائة [1].

مواقف من حياته :

يوم البغلة:

حدث عبد الله بن كثير بن جعفر قال اقتتل غلمان عبد الله بن العباس

---

(١) ترجمته وأخباره في نسب قريش للمصعب الزبيري، ص ٢٧٨، تهذيب الكمال، ١٠ / ٥٠٠، تهذيب التهذيب، ٣ / ٢٥٧، الوافي بالوفيات، ١٧ / ٤٢٥، المعارف، ص ٢٣٣، تاريخ دمشق، ٣٢ /٢٣٦، ابن الأثير، أسد الغابة، ١/١٢١٢، الإستيعاب في معرفة الأصحاب، ١/٤٢٨.

وغلمان عائشة، فأخبرت عائشة بذلك فخرجت في هودج على بغلة لها فلقيها ابن أبي عتيق فقال: أي أمي جعلني الله فداك أين تريدين قالت: بلغني أن غلماني وغلمان ابن عباس اقتتلوا، فركبت لأصلح بينهم، فقال: يعتق ما يملك أن لم ترجعي، فقالت: يا بني ما حملك، وقال ابن النقور: ما الذي حملك على هذا؟ قال: ما انقضى منا يوم الجمل حتى تريدين أن تأتينا بيوم البغلة[1].

قال الزبير: حدثني أبي أن ابن أبي عتيق دخل على أم المؤمنين عائشة، وهو مشتمل على قرد، فقال لها: يا أماه بركي في فقالت: بارك الله فيك، قال: وفيما معي قالت وفيما معك، فكشف لها عنه، فغضبت، وقالت: لقد هممت أن ادعو عليك بدعوة تدخل معك قبرك.

وحدث مصعب بن عثمان وغيره أن ابن أبي عتيق دخل على عائشة في مرضها الذي ماتت فيه فقال لها كيف تجدينك يا أمي جعلني الله فداك: قالت: أجدني يا بني ذاهبة، قال: فلا إذا [2].

قد قضيناه عنك:

كان لرجل على ابن أبي عتيق دين فتقاضاه فلما ألح عليه، قال: ائتني العشية في مجلس القلادة، وكان مجلس القلادة مجلسا لقريش يتذاكرون الفقه وأصناف العلوم، فاسألني عن بيت قريش فأتاه الغريم في المجلس، فقال: أنا تلاحينا في بيت قريش ورضيناك حكما، فقال: اعفني من الكلام في هذا، قال: لا بد من أن تقول، قال: فإن بيت قريش آل حرب بن أمية، قال: ثم قال: ثم آل أبي العاص، قال وعبد الله بن عباس حاضر، فقال الرجل: فأين بنو عبد المطلب فقال لم أظنك تسألني عن بيت لملائكة ومهبط جبريل إنما ظننتك تسألني عن بيت الآدميين فأما إذا صرت إلى بيت رسول الله وسيد كل شهيد وعم رسول الله والطيار في الجنة مع

(١) تاريخ دمشق، ٣٢ /٢٤٠.
(٢) تاريخ دمشق، ٣٢ /٢٤١.

الملائكة، فمن يسامي هؤلاء، وأي فخر إلا وهو ينقطع دونهم، قال: فجلا عن ابن عباس ما كان فيه فدعاه بعدما ما قام الناس، فقال: ألك حاجة، قال: نعم علي دين، فقال: قد قضيناه عنك.

هل له من حاجة:

عن مجالد قال دخل ابن أبي عتيق على الحسين بن علي وعنده جماعة فقعد عنده فجاء غريم لأبن أبي عتيق يتقاضاه فجلس مع القوم فقال غريم ابن أبي عتيق من أشرف العرب قال: يا جاهل وهل يشك في ذلك حرب بن أمية لا تصدر قريش إلا عن رأيه، قال: فاستحيا الرجل من الحسن، ووجد الحسن في نفسه فقال له الرجل: فأين عبد المطلب، قال: يا جاهل تذكر عبد المطلب مع الناس اذكر جبريل وميكائيل وإسرافيل وعبد المطلب، قال: فبتسم الحسن وقال: هل له من حاجة.

بغلة الحسن تعجبني:

قال مروان بن الحكم: بغلة الحسن تعجبني، فقال له ابن أبي عتيق: فإن أخذتها لك تقضي لي أربعين حاجة، قال: نعم، قال: فإذا كان العشية فأذن للناس، فإني سأذكر أولية قريش إذا جلس الحسن ولا أذكر من ناحية الحسن شيئا، فقل: ما لك لا تذكر أبا محمد، قال: فلما كان عشية أذن للناس، فلما أخذوا مجالسهم أفاض ابن أبي عتيق مع مروان يذكر أولية قريش وشرفهم، فقال له مروان: أراك تذكر أولية قريش وشرفهم ولا أسمعك تذكر أبا محمد وحظه من ذلك الحظ الوافر، فقال له ابن أبي عتيق: إنا كنا في ذكر الأشراف، ولو كنا في ذكر الأنبياء لذكرنا أبا محمد، فلما قام الحسن قام مع ابن أبي عتيق، فلما خرج أضحك الحسن، وأقبل عليه فقال: ألك حاجة؟ قال: نعم، البغلة، قال: هي لك فأعطاها مروان.

حوض القيامة:

قال ابن عروة بن الزبير قد اشتقت إلى حديث ابن أبي عتيق وأرسل إليه يقول: إني قد اشتقت إلى حديثك، فأحب أن تزورني، قال: فقال: ابن أبي عتيق الحوض، فرجع الرسول إلى عبد الله بن عروة فأخبره، فقال: هذا موعد مغمس، ارجع إليه فاسأله أي حوض فرجع إليه، فقال له: يقول لك أي حوض؟ قال: حوض القيامة، فذكر ذلك الرسول لعبد الله بن عروة، فضحك، وقال: قل له: أتعدنا حوضا لا ترده.

لها أنف ظالمة:

جلس ابن أبي عتيق مع أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم في مجلس القضاء، فخاصمت إلى أبي بكر امرأة منتقبة لها عين حسنة حوراء، فأقبل أبو بكر على ابن أبي عتيق فقال ما تقول في أمر هذه، فقال لها: عين مظلومة إلى أن طالت بها الخصومة، فأذلقتها، فكشفت وجهها، فإذا أنفها ضخم قبيح، فقال له أبو بكر: ما تقول في أمرها، قال: لها أنف ظالمة، وأبو بكر بن محمد إذاك يلي عمل المدينة وقضاءها[1].

نجاح الصلح الذي سعى به ابن أبي عتيق :

أخبر بلال مولى ابن أبي عتيق قال: أنشد ابن أبي عتيق قول عمر:

مَنْ رسولي إلى الثريّا فإني ::: ضقتُ ذَرْعاً بهجرها والكتابِ

فقال ابن أبي عتيق: إياي أراد وبي نوه لا جرم والله لا أذوق أكلا حتى أشخص، فأصلح بينهما، ونهض ونهضت معه، فجاء إلى قوم من بني الديل بن بكر لم تكن تفارقهم، نجائب لهم فره يكرهونها، فاكترى منهم راحلتين، وأغلى لهم فقلت له: استوضعهم أو دعني أماكسهم، فقد اشتطوا عليك، فقال: ويحك أما علمت أن المكاس ليس من أخلاق الكرام، ثم ركب إحداهما، وركبت الأخرى، فسار سيرا شديدا، فقلت: أبق على نفسك فإن ما تريد ليس يفوتك فقال ويحك:

(١) تاريخ دمشق، ٣٢ /٢٤٤.

(أُبَادِرُ حَبْلَ الوُدّ أن يَتَقَضَّبا..)

وما حلاوة الدنيا إن تم الصدع بين عمر والثريا، فقدمنا مكة ليلا غير محرمين فدق على عمر بابه، فخرج إليه وسلم عليه ولم ينزل عن راحلته، فقال له: اركب أصلح بينك وبين الثريا، فأنا رسولك الذي سألت عنه، فركب معنا وقدمنا الطائف، وقد كان عمر أرضى أم نوفل، فكانت تطلب لها الحيل لإصلاحها فلا يمكنها فقال ابن أبي عتيق للثريا، هذا عمر قد جشمني السفر من المدينة إليك، فجئتك به معترفا لك بذنب، لم يجنه معتذرا إليك من إساءته إليك فدعيني من التعداد والترداد، فإنه من الشعراء الذين يقولون ما لا يفعلون، فصالحته أحسن صلح وأتمه وأجمله، وكررنا إلى مكة فلم ينزلها ابن أبي عتيق حتى رحل وزاد عمر في أبياته:

(أَزْهَقَتْ أُمُّ نوفلٍ إذ دَعَتْها ::: مُهْجَتِي ما لقَاتلي مِنْ مَتَابِ)

(حين قالتْ لها أَجِيبي فقالتْ ::: مَنْ دعاني قالَتَ أبو الخَطَّابِ)

(فاستجابتْ عند الدعاء كما لبَّى ::: رجالٌ يَرْجُون حسنَ الثوابِ)

قال الزبير: وما دعتها أم نوفل إلا لابن أبي عتيق، ولو دعتها لعمر ما أجابت، قال: وسألت عمي عن أم نوفل، فقال: هي أم ولد عبد الله بن الحارث أبي الثريا وسألته عن قوله:

(كما لبَّى رجال يرجون حسنَ الثوابِ..)

فقال: كررت في التلبية كما يفعل المحرم فقالت لبيك لبيك [1].

ثم عودي إلى ما عودكِ اللهُ:

ومن طريف أخباره أن عائشة بنت طلحة عتبت على مصعب بن الزبير فهجرته، فقال مصعبُ: هذه عشرة آلاف درهم لمن احتال لي أن تكلمني، فقال له ابن أبي عتيق: عدل المال، ثم صار إلى عائشة، فجعل

(١) الأغاني، ١ /٢٢٤.

يستعتبها لمصعب، فقالت والله ما عزمي أن أكلمه أبداً. فلما رأى جدها قال لها. يا بنتَ عم، إنه قد ضمن لي إن كلمته عشرةَ آلاف درهمٍ، فكلميه حتى آخذها، ثم عودي إلى ما عودكِ اللهُ.

أو ما تدري ما حدث؟:

ومن طريف أخباره أن عثمان بن حيان المري لما دخل المدينة والياً عليها اجتمع الأشراف عليه من قريش والأنصار، فقالوا له: إنك لا تعمل عملاً أجدى ولا أولى من تحريم الغناء والرثاءِ، ففعل، وأجلهم ثلاثاً، فقدم ابن أبي عتيق في الليلة الثالثة، فحط رحله بباب سلامة الزرقاء، وقال لها: بدأت بكِ قبل أن أصير إلى منزلي، فقالت: أو ما تدري ما حدث؟ وأخبرته الخبر، فقال: أقيمي إلى السحر حتى ألقاه، فقالت: إنا نخاف ألا تغني شيئاً وتنالنا شدة، فقال: إنه لا بأس عليك، ثم مضى إلى عثمان فاستأذن عليه، فأخبره أن أحب ما أقدمه عليه حب التسليم عليه، وقال له: إن من أفضل ما عملت به تحريم الغناء والرثاء. قال: إن أهلك أشاروا علي بذلك. قال: فإنك قد وفقت، ولكني رسول امرأةٍ إليك تقول: قد كانت هذه صناعتي فتبت إلى الله منها، وأنا أسألك أيها الأمير ألا تحول بينها وبين مجاورة قبر النبي ، فقال عثمان: إذن أدعها لك، قال: إذن لا يدعها الناس، ولكن تدعو بها فتنظرُ إليها، فإن كانت ممن يترك تركتها، قال: فادعُ بها، قال: فأمرها ابن أبي عتيق فتقشفت، وأخذت سبحةً في يدها، وصارت إليه، وحدثته عن مآثر آبائه، ففكهَ لها، فقال لها ابن أبي عتيق: اقرئي للأمير، ففعلت، فأعجب بذاك. فقال لها: فاحدي للأمير، فحركه حداؤها، ثم قال لها: غيري للأمير، فجعل يعجب بذلك عثمانُ، فقال له ابن أبي عتيق: فكيف لو سمعتها في صناعتها! فقال: قل لها فلتقل، فأمرها فتغنت:

سددن خصاص الخيم لما دخلنه ::: بكل لبانٍ واضحٍ وجبين

فنزل عثمان بن حيان عن سريره حتى جلس بين يديها، ثم قال: لا

والله، ما مثلك يخرجُ عن المدينة! فقال له ابن ابي عتيق: إذن يقول الناس أذنَ لسلامة في المقام ومنع غيرها! فقال لـه عثمـان: قد أذنتُ لهم جيمعاً [(١)].

الشمس عند رأسه، والقمر عند رجليه:

وحدث محمد بن الضحاك بن عثمان الحزامي وغيره أن ابن أبي عتيق وفد على الملك بن مروان فلقي حاجبه فسأله أن يستأذن له عليه، فسأله الحاجب ما نزعه؟ فذكر ديناً قد مسّه، فاستأذن له، فأمر عبد الملك بإدخاله، فأدخله وعند رأس عبد الملك ورجليه جاريتان وضيئتان، فسلَّم وجلس فقال له عبد الملك: ما حاجتك؟ قال: مالي حاجة إليك قال: ألم يذكر لي الحاجب أنك شكوت إليه ديناً عليك وسألتَه ذِكرَ ذلك لي؟ قال: ما فعلتُ وما علّي دَين وإني لأيسُر منك قال: انصرف راشداً فقام ودعا عبدُ الملك الحاجبَ فقال له: ألم تذكر لي ما شكا إليك ابن أبي عَتيق من الدَّين؟ قال: بلى قال: فإنه أنكر ذلك، فخرج إليه الحاجب فقال: ألم تَشكُ إلّي دَينك وذكرتَ أنك خرجت إلى أمير المؤمنين فيه وسألتني ذكره؟ قال له: بلى قال: فما حملك عَلى إنكار ذلك عند أمير المؤمنين؟ قال ابن أبي عَتيق: دخلت عليه وقد جلس الشمس عند رأسه، والقمر عند رجليه، ثم قال لي: كن سَألاً، والله ما كان الله ليرى هذا أبداً، فدخل الحاجب عَلى عبد الملك فأخبره خبره فضحك ووهب الجاريتين له وقضى دَينَهَ ووصَلَه وكان سببَ الأنس بينه وبين عبد الملك [(٢)].

واخِلافاه:

وعن عمرو بن دينار عن ابن أبي عتيق أنه مرَّ به رجل ومعه كلب فقال للرجل: ما اسمك؟ قال: وَثّاب قال: فما اسم كلبك؟ قال: عمرو فقال: واخِلافاه.

(١) المبرد، الكامل في اللغة و الأدب، ٢ /١٧٧.
(٢) أبو البركات بدر الدين محمد بن محمد الغزي، المراح في المزاح، ص ٨٢.

ابن أبي عتيق ونصيب وسعدى:

عن مؤرخ قال: أراد ابن أبي عتيقٍ الحج، فلقي نصيباً، فقال: هل توصي إلى سعدى بشيء؟ قال: نعم ببيتين. قال: ما هما؟ قال:

أتَصْبِرُ عَنْ سُعدَى، وَأنتَ صَبُورُ ::: وَأنتَ بحُسنِ الصّبرِ منكَ جَديرُ.
وَكِدتُ وَلَمْ أُخلَقْ من الطيرِ إنْ بَدا ::: سَنَا بَارِقٍ نَحْوَ الحِجَازِ أطِيرُ.

قال: فخرج ابن أبي عتيق، فوجد سعدى في مجلس لها، فقال لها: يا سعدى! معي إليك رسالة. قالت: وما هي؟ هاتها يا بن الصديق، فأنشدها البيتين، فتنفست تنفساً شديداً، فقال ابن أبي عتيق: أوه أجبته، والله، بأحسن من بيتيه، وعتق ما ملك أن لو سمعها لنعق وطار(1).

فلا إذن:

دخل على عائشة - وكانت عمّته - في مرضها الذي ماتت فيه، فقال: كيف أصبحت؟ جعلني الله فداك، قالت: أجدني ذاهبة. قال: فلا إذن.

قدّاحنا في هذه الليلة في البستان:

كانت له جارية، ولها صديق، فكان يجيء كل عشية فيصيح من الباب: اقدحوا لنا ناراً، فتخرج إليه الجارية. فخرجت الجارية مرة إلى البستان، وجاء الرجل على العادة فقال: اقدحوا لنا نارا. فصاح ابن أبي عتيق: يا هذا، قدّاحنا في هذه الليلة في البستان.

عافاك الله:

قال: بينا هو مرّة على سطحه، وجارية له تعشّيه، إذ مطرت عليه حجارة من فوق السطح، فأشرف فإذا فتىً يرمي بها ويؤذن الجارية بمجيئه. فقال له: عافاك الله. الساعة تعشّيني وتنزل إليك.

ستر الله عليك:

وقالت له جاريته يوماً: إن فلاناً القارئ - وكان يُظهر التنسك - قد

(1) السرّاج القارئ، مصارع العشاق، ٩٩/١.

قطع عليّ الطريق وآذاني ويقول لي: أنا أحبك. فقال لها: فقولي له: وأنا أيضاً أحبك ثم واعديه المنزل، ففعلت، وأدخلته المنزل، وكان قد واعد جماعة من أصحابه؛ ليضحكوا من الرجل. ودخلت الجارية إلى البيت الذي فيه الرجل، فدعاها، فاعتلت عليه، فوثب إليها، فاحتمالها، وضرب بها الأرض. فدخل عليه ابن أبي عتيق وأصحابه، وقد توركها، فخجل وقام، وقال: يا فساق، ما تجمّعكم هنا إلا لريبة. فقال ابن أبي عتيق وأصحابه: استر علينا، ستر الله عليك [1].

ما تُطعمنا إلا في كفارة يمين:

تغدّى يوماً عند عبد الله بن جعفر، في عدّة من قريش، وإذا عبد الله بن جعفر رثّ الثياب، فقال ابن أبي عتيق: أصلحك الله، ما تُطعمنا إلا في كفارة يمين.

غاق غاق وطر:

ولما بلغه قول نُصيب:

وُلدت ولم أُخلق من الطير إن بدا ::: سنا بارق نحو الحجاز أطير

قال: قل: غاق غاق وطر، أي أنك غراب، لأنه كان أسود.

سبحان الله ما تترك الهزل؟:

ولقي ابن أبي عتيق عبد الله بن عمر فقال له: ما تقول في إنسان هجاني، فقال لي:

أذهبت مالك غير مُترك ::: في كل مومسة وفي الخمر
ذهب الإله بما تعيش به ::: وبقيت وحدك غير ذي وفر؟

فقال: أرى أن تأخذ بالفضل وتصفح. فقال له ابن أبي عتيق: أنا، والله أرى غير ذلك. قال: وما هو؟ قال:

أرى أن أجامعه. فقال عبد الله: سبحان الله ما تترك الهزل؟ وافترقا،

(١) الآبي،نثر الدر،٧ /١٧٦.

ثم لقيه ابن أبي عتيق بعدما ظن أن ابن عمر قد نسي ذلك، فقال له: أتدري ما فعلت بذلك الإنسان؟ قال: أي إنسان؟ قال الذي أعلمتك أنه هجاني. قال: ما فعلت به؟ قال: كل مملوك لي فهو حر إن لم أكن قد جامعته، فأعظم ذلك ابن عمر، واضطرب. فقال له ابن أبي عتيق: امرأتي - والله - هي التي قالت الشعر وهجتني[١].

أفهمت؟:

كان ابن أبي عتيق يتعشّى، ومعه رجل من الأنصار، فوقع حجر في الدار، ووقع آخر، وثالث. فقال لجاريته: اخرجي فانظري أذنّوا للمغرب؟ فخرجت وجاءت بعد ساعة وقالت: قد أذنّوا وصلّوا. فقال له الرجل الذي كان عنده: أليس قد صلينا قبل أن ندخل؟ قال: بلى، ولكن لو لم أرسلها تسأل عن ذلك لرُجمنا إلى الغداة، أفهمت؟ قال: نعم قد فهمت.

ثم ركب بغلته وعاد:

ولما سمع قول عمر بن أبي ربيعة:

مــن رســولي إلى الثريــا فــإني ::: ضقت ذرعــاً بهجرهــا والكتــاب

ركب بغلته من المدينة يريد مكة، فلما بلغ قيل له: أحرم. قال: إن ذا الحاجة لا يحرم. وجاء حتى دخل على الثريا، فقال: ابن عمّك يقول: ضقت ذرعاً بهجرك والكتاب .. ثم ركب بغلته وعاد [٢].

فهلاّ سفاحاً:

وجاء إليه رجل: فقال: جئتك خاطباً موّدتك. قال: فهلا سفاحاً فهو ألذ؟

أخذكم اللحم من بين يديّ:

وجلس يوماً يتغدّى، ومعه أولاده، فجعلوا يتناولون اللحم من بين يديه.

---

(١) الآبي، نثر الدر،٧ /١٧٧.
(٢) الآبي، نثر الدر،٧ /١٧٨.

فقال: يا بني، إن الله أوصى بالوالدين، فقال:{فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ} [الإسراء: ٢٣]، والله لأن تقولوا لي: أفّ ثلاثين مرةً أيسر عليّ من أخذكم اللحم من بين يديّ.

ألوى بحُجّتي الزامر:

وكان يخاصم القاسم بن محمد في صدقة أبي بكر ليليها معه، فوكّل القاسم عبد الرحمن ابنه بخصومته، وكانت دار يزيد بن عبد الملك تُبنى بالمدينة باللعابين الدفوف، والزمر، والصنج. فتقدّم ابن أبي عتيق يوماً من ذاك إلى القاضي، وهو في رحبة القضاء، فجعل عبد الرحمن يُخاصمه ويحتج عليه، وابن أبي عتيق نفسه وعينه في ذلك اللعب، فعلاه عبد الرحمن يومئذ. فقيل لابن أبي عتيق: ما كانت قصّتك؟ ما قُمت اليوم له، ولا قعدت، ولا احتججت عليه؟ فقال: ؟؟؟ ' ألوى بحُجّتي الزامر " [(١)].

يا أصحابي:

ومرّ بصبيان يلعبون، فقال: يا أصحابي، ما ذقنا عيشاً منذ فارقناكم[(٢)].

قد أصبح فانج بنفسك:

ومن مجون عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن ما حكي أن جاريته قالت له: إن فلاناً القارئ، وكان يظهر النسك، قد قطع علي الطريق وآذاني ويقول لي: أنا أحبك. فقال لها: قولي له: وأنا أحبك أيضاً، وواعديه المنزل؛ ففعلت وأدخلته المنزل؛ وكان عبد الله قد واعد جماعة من أصحابه ليضحكوا على الرجل. ودخلت الجارية إلى البيت الذي فيه الرجل، فدعاها فاعتلت عليه، فوثب إليها فاحتملها وضرب بها الأرض، فدخل عليه ابن أبي عتيق وأصحابه وقد تولكها، فحجل وقام وقال: يا

(١) ألابي، نثر الدر،٧ /١٨٠.
(٢) الآبي، نثر الدر،٧ /١٨١.

فساق، ما تجمعتم ها هنا إلا لريبة، فقال له ابن أبي عتيق: استر علينا ستر الله عليك. ثم لم يرتدع عن العبث بها، فشكت ذلك إلى سيدها؛ فقال لها: هيئي من الطعام طحن ليلة إلى الغداة ففعلت، ثم قال لها: عديه الليلة، فإذا جاء فقولي له: إن وظيفتي الليلة طحن هذا كله، ثم اخرجي إلى البيت واتركيه، ففعلت. فلما دخل طحنت الجارية قليلاً، ثم قالت له: أدر الرحى حتى أتفقد سيدي، فإذا نام وأمنا أن يأتينا أحد، صرت إلى ما تحب، ففعل، ومضت الجارية إلى مولاها، وأمر ابن أبي عتيق عدة من مولياته أن يتراوحن على سهر ليلتهن ويتفقدن أمر الطحن ويحثثن عليه، ففعلن وجعلن ينادين الفتى كلما كف عن الطحن: يا فلانة إن مولاك مستيقظ والساعة يعلم أنك قد كففت عن الطحن، فيقوم إليك بالعصا كعادته مع من كانت نوبتها قبلك إذا هي نامت وكفت عن الطحن. فلم يزل كلما سمع ذلك الكلام منهن اجتهد في العمل والجارية تتفقده وتقول له: استيقظ مولاي والساعة ينام فأصير إلى ما تحب وهو يطحن، حتى أصبح وفرغ القمح. فأتته الجارية بعد فراغه فقالت له: قد أصبح فانج بنفسك. فقال: أو قد فعلتها يا عدوة الله وخرج تعباً نصباً، وأعقبه ذلك مرضاً شديداً أشرف منه على الموت، وعاهد الله ألا يعود إلى كلام الجارية، فلم تر منه بعد ذلك شيئاً تكرهه(١).

من مكة للسلام عليك:

وروى الأصفهاني أن ابن أبي عتيق وابن أبي ربيعة والأحوص بن محمدٍ الأنصاري أتوا منزل جميلة واستأذنوا عليها فأذنت لهم. فلما جلسوا سألت عن عمر، فقال لها: إني قصدتك من مكة للسلام عليك، فقالت: أهل الفضل أنت. قال: وقد أحببت أن تفرغي لنا نفسك اليوم وتخلي مجلسك، قالت: أفعل. فقال لها الأحوص: أحب ألا تغني إلا بما نسألك، فقالت: ليس المجلس لك، القوم شركاؤك، فقال: أجل. قال عمر: فإني أرى أن نجعل

(١) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ٤ /٨ - ٩.

الخيار إليها. قال ابن أبي عتيق: وفق الله. فدعت بعود فغنت:

تمشي الهوينى إذا مشت فضلاً ::: مشي النزيف المخمور في الصعد
تظل من بعد بيت جارتها ::: واضعةً كفها على الكبد
يا من لقلبٍ متيمٍ سدمٍ ::: عانٍ رهينٍ مكلم كمد
أزجره وهو غير منزجرٍ ::: عنها بطرفٍ مكحل السهد

قال راوي هذه الحكاية: فلقد سمعت للبيت زلزلةً وللدار همهمةً. فقال عمر: لله درك يا جميلة ماذا أعطيت أنت أول الغناء وآخره ثم سكتت ساعةً وأخذت العود فغنت، فطرب القوم وصفقوا بأيديهم وفحصوا بأرجلهم وحركوا رؤوسهم، وقالوا: نحن فداؤك من المكروه، ما أحسن ما غنيت وأجمل ما قلت، وأحضر الغداء فتغدى القوم بأنواع من الأطعمة ومن الفواكه، ثم دعت بأنواع الأشربة، فقال عمر: لا اشرب، وقال ابن أبي عتق مثل ذلك، فقال الأحوص: لكني أشرب، وما جزاء جميلة أن يمتنع من شرابها فقال عمر: ليس ذلك كما ظننت. فقالت جميلة: من شاء أن يحملني بنفسه ويخلط روحه بروحي فعل، ومن أبي ذلك عذرناه، ولم يمنعه ذلك عندنا ما يريد من قضاء حوائجه والأنس بمحادثته. قال ابن أبي عتيق: ما يحسن بنا إلا مساعدتك. فقال عمر: إني لا أكون أخسكم، افعلوا ما شئتم تجدوني سامعاً مطيعاً. فشرب القوم أجمع، فغنت بشعر ابن أبي ربيعة:

ولقد قالت لجارات لها ::: كالمها يلعبن في حجرتها
خذن عني الظل لا يتبعني ::: ومضت تسعى إلى قبتها
لم تعلق رجلاً فيما مضى ::: طفلةٌ غيداء في حلتها
لم يطش قط لها سهمٌ ومن ::: ترمه لا ينج من رميتها

فصاح عمر ثم شق جيب قميصه إلى أسفله، ثم ثاب إليه عقله فندم واعتذر وقال: لم أملك من نفسي شيئاً. وقال القوم: قد أصبنا الذي أصابك وأغمي علينا غير أننا قد فارقناك في تخريق الثياب. فدعت جميلةُ بثيابٍ فجعلتها على عمرٍ فقبلها ولبسها، وانصرف القوم إلى منازلهم. وكان

عمر نازلاً على ابن أبي العتيق، فوجه إلى جميلة بعشرة آلاف درهم وعشرة أثوابٍ كانت معه فقبلتها جميلة، وانصرف عمر إلى مكة جذلان مسروراً [1].

من أهل ومال وملك؟:

روي عن ابن أبي عتيق أنه جاء إلى الحسن والحسين ابني علي عليه السلام وعبد الله بن جعفر وجماعة من قريش فقال لهم: إن لي حاجة إلى رجل أخشى أن يردني فيها، وإني أستعين بجاهكم وأموالكم عليه. قالوا: ذلك مبذول لك. فاجتمعوا ليوم وعدهم فيه، فمضى بهم إلى زوج لبنى صاحبة قيس بن ذريح الكناني، وكانت زوجته لما طلقها قيس، وكان قيس صديق ابن أبي عتيق. فلما رآهم أعظمهم وأكبر مصيرهم إليه فقالوا: قد جئناك في حاجة لابن أبي عتيق فقال: هي مقضية كائنة ما كانت. قال ابن أبي عتيق: قد قضيتها كائنة ما كانت من أهل ومال وملك؟ قال: نعم، قال: تهب لي ولهم زوجتك لبنى وتطلقها، قال: فأشهدكم أنها طالق ثلاثاً. فاستحيا القوم واعتذروا وقالوا: والله ما عرفنا حاجته، ولو علمنا أنها هذا ما سألناك إياه. وعوضه الحسن من ذلك مائة ألف درهم، ولما انقضت عدتها تزوجها قيس، فقال قيس:

جزى الرحمن أفضل ما يجازي ::: على الإحسان خيراً من صديق
فقد جربت إخواني جميعاً ::: فما ألفيت كابن أبي عتيق
سعى في جمع شملي بعد صدع ::: ورأي جرت فيه عن الطريق
وأطفأ لوعة كانت بصدري ::: أغصتني حرارتها بريقي

فقال ابن أبي عتيق: يا حبيبي، أمسك عن هذا المديح فما يسمعه أحد إلا ظنني قواداً[2].

أما تستحيي:

(١) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ٥ /٤٦.
(٢) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ٢ /٣٨.

قال ابن أبي عتيق لأشعب: أما تستحيي - وعندك ما أرى - من أن تسأل الناس؟ قال: معي والله من لطف المسألة ما لا تطيب نفسي بتركه.

عمر بن أبي ربيع وامرأة من ربيعة:

وقال الأصمعي: كان عمر بن أبي ربيعة وابن أبي عتيق جالسين بفناء الكعبة، فمرت بهما امرأة من ربيعة، وقيل: من آل أبي سفيان، فدعا عمر بكتف، فكتب فيها:

ألما بذات الخـال، فاسـتطلعا لنـا ::: على العهد باق ودهـا أم تـصرما
وقـولا لهـا: إن النـوى أجنبيـة ::: بنا وبكم، قـد خفـت أن تيمما

فقال له ابن أبي عتيق: ما تريد إلى امرأة مسلمة محرمة تكتب إليها بمثل هذا؟ فقال: أترى ما سيرت في الناس من الشعر، ورب هذه البنية ما قبل منها وما دبر، ما قولت امرأة قط ما لم تقله، ولا طالعت فرج حرام قط.

هل نلت من عزة شيئًا:

وقيل لكثير عزة: هل نلت من عزة شيئاً طول مدتك؟ فقال: لا والله، إلا أنه ربما كان يشتد بي الأمر، فآخذ يدها، فأضعها على جبيني فأجد لذلك راحة.

موت عروة بن حزام:

وحكي عن ابن أبي عتيق قال: بينا أنا أسير في أرض بني عذرة، إذا أنا ببيت حرير، فدنوت منه، فإذا عجوز تمرض شاباً، وقد نهكته العلة، وبانت عليه الذلة، فسألتها عن خبره، فقالت: هذا عروة بن حزام، فدنوت منه فسمعته يقول:

من كان من أمهـاتي باكيـاً لغـد ::: فـاليوم إني أراني اليـوم مقبوضـا
تـسمعيه، فـإني غـير سـامعه ::: إذا علوت رقاب القـوم معروضـا

فقلت: أنت عروة بن حزام؟ قال: نعم، أنا الذي أقول:

جعلت لعراف اليمامة حكمه ::: وعراف نجد إن هما شفياني
فقالا: نعم تشفى من الداء كله ::: وقاما مع العواد يبتدران[1]

هذا البيت يحتاج إلى حاضنة؟ :

ولابن أبي عتيق عجائب ظريفة، أذكر لك منها ما يصلح ويملح؛ منها أنه سمع وهو بالمدينة قول ابن أبي ربيعة:

فما نلت منها محرماً غير أنّنا ::: كلانا من الثوب المطارف لابس

فقال: أبنا يلعب ابن أبي ربيعة؟ فأي محرم بقي؟ فركب بغلته متوجهاً إلى مكة، ودخل أنصاب الحرم، وقيل له: أحرم! قال: إن ذا الحاجة لا يحرم. فلقي ابن أبي ربيعة؛ فقال: أما زعمت أنك لم تركب محرماً قط؟ قال: بلى! قال: فما قولك: كلانا من الثوب.. البيت؟ فقال له: إني أخبرك؛ خرجت بعلة المسجد، وخرجت زينب تريده، فالتقينا فاتعدنا، فصرنا إلى بعض الشعاب، فأخذتنا السماء، فأمرت بمطرفي فسترنا الغلمان لئلا يروا بها بلة فيقولوا لها: هلا استترت بسقائف المسجد؟ فقال له ابن أبي عتيق: يا عاهر! هذا البيت يحتاج إلى حاضنة؟

فإنما كان ثوابي أن أشكر:

وابن أبي عتيق الذي سمع قول ابن أبي ربيعة:

قال لي صاحبي ليعلم ما بي ::: أتحبّ القتول أخت الرّباب
قلت وجدي بها كوجدك بالما ::: ء إذا ما فقدت برد الشراب
أزهقت أُمّ نوفلٍ إذ دعتها ::: مهجتي، ما لقاتلي من متاب
أبرزوها مثل المهاة تهادى ::: بين خمسٍ كواعب أتراب
وهي مكنونةٌ تحيّر منها ::: في أديم الخدّين ماء الشباب
ثم قالوا تحبّها قلت بهراً ::: عدد الرمل والحصى والتراب
من رسولي إلى الثريّا بأني ::: ضقت ذرعاً بهجرها والكتاب

فلما سمع هذا البيت قال: إياي أراد وبي هتف ونوه؛ والله لا ذقت

---

(١) الوشاء، الموشى، ٢٤/١.

طعاماً أو أشخص إليها وأصلح بينهما.

قال مولى لبني تميم: فنهض ونهضت معه حتى خرج إلى سوق الضمرتين، فأتى قوماً من بني الديل من حنيفة يكرون النجائب، فقال: بكم تكرونني راحلتين إلى مكة؟ قالوا: بكذا وكذا، فقلت لبعض التجار: استوضعوا شيئاً؛ فقال ابن أبي عتيق: ويحك! إن المكاس ليس من أخلاق الناس، ثم ركب واحدة وركبت الأخرى وأجد السير، فقلت: ارفق بنفسك. فقال: ويحك: أبادر حبل الوصل أن يقتضبا وما أملح الدنيا إذا تم الوصل بين عمر والثريا. فقدمنا مكة، وأتى باب الثريا، فقالت: والله ما كنت لنا زواراً. قال: أجل! ولكني جئت برسالة؛ يقول لك ابن عمك عمر: ضقت ذرعاً بهجرك والكتاب. فلامه عمر. فقال ابن أبي عتيق: إنما رأيتك مبادراً تلتمس رسولاً فخففت في حاجتك، فإنما كان ثوابي أن أشكر.

إن أجاز أهلها ذلك:

وسمع ابن أبي عتيق قول العرجي:

وما ليلةٌ عندي وإن قيل ليلة ::: ولا ليلة الأضحى ولا ليلة الفطر

معادلة الاثنين عندي وبالحري ::: يكون سواءً مثلها ليلة القدر

وما أنس م الأشياء لا أنس قولها ::: لخادمها قومي سلي لي عن الوتر

فجاءت تقول الناس في تسع عشرة ::: ولا تعجلي عنه فإنّك في أجر

فقال: هذه أفقه من ابن شهاب، وهي حرة لله عز وجل من مالي إن أجاز أهلها ذلك.

ما تدع مزحك بحال!:

دخل على عائشة وهي مريضة، فقال: كيف أنت يا أماه؟ جعلت فداك! قالت: في الموت، قال: فلا إذاً، إنما ظننت أن في الأمر فسحةً، فضحكت وقالت: ما تدع مزحك بحال! (1).

(1) الحُصري، جمع الجواهر في الملح والنوادر، ص ٢١.

جيران يتشممون الأماني:

قال ابن أبي عتيق لامرأته: تمنيت أن يهدى إلينا مسلوخ، فنتخذ من الطعام لون كذا ولون كذا، فسمعته جارة له، فظننت أنه أمر بعمل ما سمعته، فانتظرت إلى وقت الطعام، ثم جاءت فقرعت الباب، وقالت: شممت رائحة قدوركم فجئت لتطعموني منها. فقال ابن أبي عتيق لامرأته: أنت طالق إن أقمنا في هذه الدار التي جيرانها يتشممون الأماني.

قصير القميص فاحش عند بيته:

وعن أبي عبيدة قال: كان الحزين الكناني قد ضرب على كل رجل من قريش درهمين في كل شهر منهم ابن أبي عتيق فجاءه لأخذ درهميه على حمار له أعجف قال: وكثير مع ابن أبي عتيق، فأمر ابن أبي عتيق للحزين بدرهمين، فقال الحزين: لابن أبي عتيق: من هذا الذي معك؟ قال أبو صخر كثير بن أبي جمعة قال وكان قصيرا دميما فقال له الحزين: أتأذن لي في أن أهجوه ببيت من الشعر، قال: لعمري لا آذن لك أن تهجو جليسي، ولكني أشتري عرضه منك بدرهمين، ودعا له بهما، فأخذهما، وقال: لا بد لي من هجائه ببيت، قال: وأشتري ذلك منك بدرهمين آخرين، فدعا له بهما فأخذهما أيضا، وقال: ما أنا بتاركه حتى أهجوه، قال: وأشتري ذلك منك بدرهمين أيضا، فقال له كثير: أيذن له وما عسى أن يقول في بيت واحد قال: فأذن له ابن عتيق فقال:

(قصير القميص فاحش عند بيته ::: يعض القراد باسته وهو قائم)

قال: فوثب إليه كثير فلكزه فسقط عن الحمار، فخلص ابن أبي عتيق بينهما وقال لكثير: قبحك الله أتاذن له وتسفه عليه، فقال كثير: وأنا ما ظننت أن يبلغ بي في بيت واحد هذا كله [1].

* * *

(١) الشيخ عبد الرحيم بن أحمد العباسي، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، بيروت، ١٣٦٧هـ ١٩٤٧م، ٢ /١٣٧.

جحظة البرمكي

جحظة البرمكي

هو أبو الحسن أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك المعروف بجحظة البرمكي النديم؛ ولد في شعبان سنة أربع وعشرين ومائتين. وجحظة لقب، غلب عليه لقبه به عبد الله بن المعتز.

قال أبو عبد الله الحسن ابن علي بن مقلة: سألت جحظة عمن لقبه بهذا اللقب، فقال: ابن المعتز لقيني يوماً فقال لي: ما حيوان إذا قلب صار آلة للبحرية؟؟ فقلت: علق، إذا عكس صار قلعاً فقال: أحسنت يا جحظة، فلزمني هذا اللقب، وهو من في عينيه نتو جداً، وكان قبيح المنظر، وكان له لقب آخر، يلقبه به المعتمد، وهو خنياكر، وما أدري أي شيء معناه؟ كان حسن الأدب، كثير الرواية للأخبار، متصرفاً في فنون من العلم، كالنحو واللغة والنجوم، مليح الشعر، مقبول الألفاظ، حاضر النادرة وكان طنبورياً حاذقاً فيه فائقاً، مات في شعبان سنة أربع وعشرين وثلاثمائة بجيل، ومولده سنة أربع وعشرين ومائتين، ذكره محمد بن إسحاق النديم، فقال: ولجحظة من التصانيف: كتاب الطبيخ - لطيف، - كتاب الطنبوريين، كتاب فضائل السكباج، كتاب الترنم، كتاب المشاهدات، كتاب ما شاهده من أمر المعتمد على الله، كتاب ما جمعه مما جربه المنجمون فصح من الأحكام، كتاب ديوان شعره.

قال: كان جحظة وسخاً قذراً دني النفس، في دينه قلة، وهو القائل:

إذا ما ظمئت إلى ريقه ::: جعلت المدامة منه بديلا

وأين المدامة من ريقه؟ ::: ولكن أعلل قلباً غليلا

وله الأشعار الرائقة، فمن شعره قوله:

أنا ابن أناس مول الناس جودهم ::: فأضحوا حديثاً للنوال المشهر

فلم يخل من إحسانهم لفظ مخبر ::: ولم يخل من تقريظهم بطن

دفتر وله أيضاً:

فقلت لها بخلت علي يقظى ::: فجودي في المنام لمستهام
فقالت لي وصرت تنام أيضا ::: وتطمع أن أزورك في المنام

وله أيضاً:

أصبحت بين معاشرٍ هجروا الندى ::: وتقبلوا الأخلاق من أسلافهم
قوم أحاول نيلهم فكأنما ::: حاولت نتف الشعر من آنافهم
هات اسقنيها بالكبير وغنني ::: ذهب الذين يعاش في أكنافهم

وله أيضاً:

يا أيها الركب الذي ::: ن فراقهم إحدى البليه
وصيكم الصب المقي ::: م بقلبه خير الوصيه

وله أيضاً:

وقائلة لي كيف حالك بعدنا ::: أفي ثوب مثرٍ أنت أم ثوب مقتر
فقلت لها لا تسأليني فإنني ::: أروح وأغدو في حرامٍ مقتر

وله ديوان شعر أكثره جيد، وقضاياه مشهورة، ومن أبياته السائرة قوله:

ورق الجو حتى قيل هذا ::: عتاب بين جحظة والزمان

ولابن الرومي فيه - وكان مشوه الخلق -:

نبئت جحظة يستعير جحوظه ::: من فيل شطرنج ومن سرطان
وارحمتا لمناديمه تحملوا ::: ألم العيون للذة الآذان

وتوفي سنة ست وعشرين وثلثمائة، وقيل: سنة أربع وعشرين، بواسط، وقيل: حمل تابوته من واسط إلى بغداد، رحمه الله تعالى[1].

مواقف من حياته:

(١) انظر: معجم الأدباء، ٢/ ٢٤١، تاريخ بغداد، ٤/ ٦٥، الفهرست، ص ١٤٥، وفيات الأعيان، ١ /١٣٣،، الأنساب: ٢ / ١٧٠ - ١٧١، المنتظم، ٦ / ٢٨٣ - ٢٨٦، العبر، ٢ / ٢٠١، الوافي بالوفيات، ٦ / ٢٨٦ - ٢٨٩، مرآة الجنان، ٢ / ٢٨٨، البداية والنهاية، ١١ / ١٨٥ - ١٨٦، لسان الميزان، ١ / ١٤٦، النجوم الزاهرة، ٣ / ٢٥٠ - ٢٥١، سير أعلام النبلاء، ١٥ /٢٢٢.

وهذا يسير في جنب ما تبلغه الغيرة بصاحبها:

حدث علي بن سعيد الكاتب قال: قال لي جحظة: إن كتمت عليّ حدثتك بحديث ما مر على مسامعك مثله قط، قلت: أنا موضع سرك والمجالس بالأمانة، قال: اصطبحت أياماً فأصبحت يوماً مخموراً، فبينا أنا جالس على باب داري إذ أقبلت جارية متنقبة راكبة على حمار وبين يديها وصائف كالغزلان يحففن بها ويمسكن عنان حمارها، وقد سطعت السكة من روائح طيبها، فبقيت مبهوتاً متحيراً أعجب من كمال خلقها ونور ما بدا لي من وجهها، فلما جاوزتني وقفت وتأملتني ساعة ثم سلمت فرددت عليها أحفى سلام وأبره وقمت على قدمي إجلالاً لها وإعظاماً، فقالت: يا فتى هل في منزلك محتمل للقايلة في هذا اليوم، قلت: يا سيدتي على الرحب والسعة ولك الفضل والمنة؛ فما كذبت أن ثنت رجلها ونزلت، وقالت: أدخل بين يدي، وأمرت جواريها فدخلن بالحمار إلى الدهليز ثم دخلت وما أحسب جميع ما أراه إلا نوماً لا يقظة وشكاً لا يقيناً، فلما استقر بها المجلس مدت يدها إلى نقابها فحلته كما قال الشاعر:

فألقت قناعاً دونه الشمس واتقت ::: بأحسن موصولين كفٍ ومعصم

فتفكرت في أمري وأنا لا أعقل، من السرور فقلت: هذه جارية مغنية.

بلغها عني صوت من صنعتي فأرادت أن تأخذه عني، فقلت: يا سيدتي أتأذنين في أن أقرب ما حضر من طعام وشراب وأغنيك ما لعله بلغك من متخير أصواتي فقالت: ما على ذلك فوت، ولكن قم الآن وشأنك فاقض حاجتك، ثم تصير إلى ما تريد. فقمت إليها، وقد أخذني الروع حتى ما أملك نفسي مهابة لها، فلما فرغت مما لم أكن آمله ولا تسمو همتي إليه، قلت: يا سيدتي هل لك في الطعام وأدعو بالعود فأغنيك ما قصدت له؟ قال: عسى أن يكون هذا في يوم غير هذا، ومدت يدها إلى قناعها فاعتجرت به ونهضت مسرعة، فلم أحر جواباً وبقيت متحيراً؛ فلما صارت إلى الدهليز لتركب قلت: سألتك بنعمة الله عليك ما خبرك؟ قالت: لو تركت المسألة كان أحب

إليك وأعود عليك، قلت: لابد لي من علم حالك، قالت: أما إذ أبيت فسأصدقك؛ لي ابن عم هو بعلي يخالفني إلى جويرية لي مشوهة المنظر، فأقسمت بالأيمان المحرجة أن أطوف بغداد حتى أبذل نفسي لأقبح من أرى وجهاً وأوحش من أقدر عليه صورة، فأنا أطوف من الفجر إلى هذه الساعة فما رأيت بها أقبح منك، فبررت قسمي، وإن عاد إلى مثل فعله عدت إليك إن لم أجد أوحش منك، وهذا يسير في جنب ما تبلغه الغيرة بصاحبها؛ ثم تولت عني وبقيت أخزى ممن دخل النار، فوالله ما ظننت يا أبا الحسن أن إفراط القبح لينتفع به حتى كان ذلك اليوم؛ قلت: هون عليك فإن القرد إنما يقع السرور به والضحك منه لتجاوزه في قبح الصورة، قال: فاكتم علي، قلت: نعم[1].

إلا الماء:

سئل عن دعوة حضرها. فقال: كل شيء كان بها بارداً إلا الماء.

فقطعني عنه:

وكتب ابن المعتز: كتب عليّ أن أجيب داعي الأمير فانقطع شريان الغمام فقطعني عنه. فكتب إليه: إن فاتني السرور برؤيتك لم يفتني الأنس بلفظتك.

وقال جحظة لابن طومار:

خيالك سمير نفسي إذا نمت ::: وذكرك مزاجها إذا انتبهت

ومن كلامه: رب غائب بشخصه حاضر بخلوص نفسه.

وكان الشبلي يرقص على قوله:

ورق الجو حتى قيل: هذا عتاب بين جحظة والزمان [2]

كيف حالك؟:

(١) وفيات الأعيان، ١ /٤٠٤.
(٢) الثعالبي، الإعجاز والإيجاز، ص ١٣٥.

وقيل لجحظة: كيف حالك؟ فقال: كما قال الشاعر:

أي شيء رأيت أعجب من ذا ::: إن تفكرت ساعة في الزمان؟
كل شيء من السرور بوزن ::: والبلايا تكال بالقفزان [1]

ومن شعره:

إن الزمان لمن تقدم ::: في النباهة منقلب
وكان صديق الورى ::: بالحق ينطق عن لسانه [2]
قد نلتم منحة ما نالها بشر ::: وحزتم نعمة ما حازها ملك
فليت شعري أمقدار تعمدكم ::: بما أتاكم به أم خولط الفلك؟[3]

وقل يتمني زوال مملكة خسيس:

سألت الله تعميراً طويلاً ::: ليبهجني بخطب يعتريكم
أخاف بأن أموت وما أرتني ::: صروف الدهر ما أهواه فيكم!

والتعريض بالغدر

وأمنتني ثم عاقبتني ::: فكان أمان أبي مسلم!

من تصاحبه النذالة:

كم سألنا عن النذالة واللؤ ::: م فكانا في داره راتبين[4]

المدعى أكارم العجم:

وأهل القرى كلهم ينتمون ::: لكسرى ادعاء فأين النبيط؟ [5]

الدعاء بإزالة الدولة:

سألت الله تعميراً طويلاً ::: ليبهجني بخطب يعتريكم
أخاف بأن أموت ولن تريني ::: صروف الدهر ما أهواه فيكم[6]

---

(١) معجم الأدباء، ١ /٨٦.
(٢) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، ٤٩/١.
(٣) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، ٧٨/١.
(٤) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، ١٣٩/١.
(٥) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، ١٦١/١.
(٦) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، ١٨٦/١.

شكاية من لا يعوده إخوانه:

مرضت فلم يكـن في الأرض حـرّ ::: يـشرفني بـبرّ أو سـلام
وضـنّوا بالعيـادة وهـي أجـر ::: كـأن عيـادتي بـذل الطعـام[1]

ترك مبيع لغلائه:

وأنشد جحظة هذا البيت:

إلا الـدقيق فإنـه قـوت لنـا ::: فإذا غلا يوماً فقـد نـزل الـبلا[2]

ما معنى مانع نفسه؟:

وقال جحظة: رأيت سوقياً ينادي على جدي علقه يقول: هذا مانع نفسه. فقلت له: ما معنى مانع نفسه؟ فقال: يا سيدي لا يقدر أحد أن يأكل منه لقمتين لسمنه. قال: ورأيت آخر وهو يقول زبد في أديم. وقال جراب الدولة: ورأيت ثلاثة من الهراسين على بقعة، وهم يتكايدون في مدح هرائسهم، فواحد أخرج قطعة هريسة علقها بالمغرفة وهو يقول: أنزل ولك الأمان، وآخر يقول: يا قوم ألحقوني أدركوني أجذبها، وتجذبني والغلبة لها، والثالث يقول: أنا لا أدري من أكل من هريستي لقمتين أضاء ببوله سراجه شهرين[3].

متعذر لفقره بأن الجود فوق ماله:

جاء الشتاء ومـا عنـدي لـه ورق ::: مما وهبت، ولا عنـدي لـه خلـع
كانت فبددها جـود ولعـت بـه ::: وللمساكين أيـضاً بالنـدى ولـع

معاتبة الدهر لتقديم جاهل وتأخير فاضل:

غلـط الـدهر بمـا أعطـاكم ::: وفعـال الـدهر جهـل وغلـط

استقباح مطل قادر:

إذا كانـت صـلاتكم رقاعـاً ::: تخطـط بالأنامـل والأكـف

---

(1) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، ١/١٩٧.
(2) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، ١/٢١٤.
(3) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، ١/٢١٦.

ولم تكـــن الرقـــاع تجـــر نفعـــاً ::: فما خطـــي خـــذوه بـــألف ألـــف

المتشفع بكرم مسؤولة:

وما لي حـــق واجـــب غـــير أنـــني ::: إليكم بكـــم في حـــاجتي أتوســـل

عذر من أفقره الجود:

جاء الشتاء ومـــا عنـــدي لـــه ورق ::: فيما عددت ولا عندي لـــه خلـــع

كانت فبددها جـــود ولعـــت بـــه ::: وللمساكين أيـــضاً بالنـــدى ولـــع

الحزين الهارب مخافة أن يسأل:

إذا ذكر الناس التطـــول أرعـــدت ::: فرائـــصه خوفـــاً لـــذكر التطـــول

الصداقة والصحبة:

– وإذا جفـــــاني صـــــاحبٌ ::: لم أَسْـــتَجزْ مـــا عـــشْتُ قَطْعَـــهْ

– وتركتُـــــهُ مثـــــلَ القبـــــو ::: ر (القبور) أزورُها في كـــلُ جمعـــهْ

– لاتعـــدَّنَّ للزمـــان صـــديقاً ::: وأعـــدَّ الزمـــانَ للأصـــدقاء

– إني إذا مـــا الخـــلُّ خادَعـــهُ ::: عني الزمانُ فحـالَ عـن عَهْـديَ

– جانيتُـــهُ ولـــو أنـــه عُمْـــري ::: وقطعتُـــهُ ولـــو أنـــه زنـــدي

من دعا صديقه ووصف له طعامه وشرابه:

كتب جحظة إلى صديق له:

لنـــا يـــا أخـــي فرحـــة وافـــره ::: وقـــدر مـــوفرة حاضـــره

وراح تريـــك إذا صـــففت ::: ســـنا الـــبرق في الليلـــة المـــاطره

ومـــسمعة لم يخنـــها الـــصواب ::: وزامـــرة أيمـــا زامـــره

ومـــا شـــئت مـــن خـــبر نـــادر ::: ونـــادرة بعـــدها نـــادره

فواف وإن كنت يـــا بـــن الكـــرام ::: وحاشـــاك في الـــساعة الآخـــرة

مدح القائم بخدمة الضيف:

يـــا أم طـــارق ليـــل قـــد ألم بنـــا ::: اســـتغنمي أجـــره فـــالأجر مغتـــنم

كوني لـــه أمـــة فيمـــا يحـــل لـــه ::: ورفهيـــه ففـــي ترفيهـــه كـــرم

من لا تمس يده ضيفه طعامه:

طوبى لمن يشبع من خبزكم ::: فهو على مهجته آمن

الاعتذار إلى من قللت زيارته:

فإن يك عن لقائك غاب وجهي ::: فلم تغب المودة والإخاء
ولم يزل الثناء عليك تترى ::: بظهر الغيب يتبعه الثناء

تمني عود الأيام السالفة:

ألا ليت عيشاً أولاً كر راجعاً ::: وإلا فعيشٌ آخرٌ مثل أول

تسلط أيام البين على وصف الأحباب:

جرت نوب الأيام بيني وبينه ::: فلم يبق إلا ما أعيد من الذكر

تباطؤ الصبح:

وليلي في كوكبه حرانٌ ::: فليس لطوله منه انقضاء
عدمت محاسن الإصباح فيه ::: كان الليل جودٌ أو رفاء

وأنشد جحظة لنفسه:

الحمد لله ليس لي كاتب ::: ولا على باب منزلي حاجب
ولا حمار إذا عزمت على ::: ركوبه، قيل: جحظة راكب
ولا قميص يكون لي بدلاً ::: مخافة من قميصي الذاهب
وأجرة البيت فهي مقرحة ::: أجفان عيني بالوابل الساكب
إن زارني صاحب عزمت على ::: بيع كتاب لشبعة الصاحب
أصبحت في معشر تشمتهم ::: فرض من الله لازب واجب
فيهم صديق في عرسه عجب ::: إذا تأملت، أمرها عاجب
تحسبها حرة وحافرها ::: أرق من شعر خالد الكاتب

وأنشد لنفسه:

ألحمد لله لم أقل قط: يا بد ::: ر ويا منصفاً ويا كافور
لا، ولا قلت: أين أين الشوا ::: هين ووزاننا وأين البذور
لا ولا قيل: قد أتاك من الضي ::: عة بر موفر وشعير
وأتاك العطاء بالنقد لما ::: قيل لي إن في الخزين بخور
أنا خلو من المماليك والأم ::: لاك جلد على البلا وصبور

لـــــيس إلا كيـــــسرة وقـــــديح ::: وخليـــق أتـــت عليـــه الـــدهور

قال جحظة: ومررت بوقاد يوقد في التنور ويغني:

أنـــا أهـــواك نـــور الـــل ::: ه فافعـــل مـــا بـــدا لـــك
إن تكـــن تمـــنعني شـــخ ::: صـــك فابـــذل لي خيالـــك
قـــد أخـــذت الـــدن والطـــن ::: بـــور والكلـــب فمالـــك؟
قـــل لمـــن جنبـــك القـــم ::: مـــوث مـــن دســـك والـــك

وله أيضاً:

ولي صـــاحب زرتـــه للـــسلا ::: م فقـــابلني بالحجـــاب الـــصراح
وقـــالوا تغيـــب عـــن داره ::: لخـــوف غـــريم ملـــح وقـــاح
ولـــو كـــان عـــن داره غائبـــاً ::: لأدخلـــني أهلـــه للنكـــاح

وقال يستزير بعض إخوانه:

لنـــا يـــا أخـــي زلـــة وافـــره ::: وقـــدر معجلـــة حاضـــره
وراح تزيـــل إذا صـــفقت ::: ســـنا الـــبرق في الليلـــة المـــاطره
ومـــسمعة لم يخنـــها الـــصوا ::: ب وزامـــرة أيمـــا زامـــره
ومـــا شـــئت مـــن خـــبر نـــادر ::: ونـــادرة بعـــدها نـــادره
فآت ولو كنت يـــا ابـــن الكـــرام ::: حاشـــاك مـــن ذاك في الآخـــره

وأنشد لنفسه أيضاً:

ما زارني في الحـــبس مـــن نادمتـــه ::: كأســـين: كـــأس مـــودة ومـــدام
بخلوا علي وقـــد طلبـــت ســـلامهم ::: فكـــأنني طالبتـــهم بطعـــام

وأنشد أيضاً لنفسه:

وذي جـــدة طلبـــت إليـــه بـــراً ::: مـــن الجلـــساء مـــذموم الخلائـــق
فأقـــسم أنـــه رجـــل فقـــير ::: أرانيـــه المهـــيمن وهـــو صـــادق
كـــأني بالمنـــازل عـــن قليـــل ::: خلـــون مـــن المطـــرزة النمـــارق
وقد ظفـــر النـــساء بمـــا تـــركتم ::: فـــصار لمـــاهر بالنيـــك حـــاذق

وأنشد أيضاً لنفسه في أماليه:

وقائل قال لي: من أنت؟ قلـــت لـــه ::: مقال ذي حكمه واتت لـــه الحكـــم

لست الذي تعرف البطحاء وطأته ::: والبيت يعرفه والحل والحرم
أنا الذي دينه إسعاف سائله ::: والضر يعرفه والبؤس والعدم
أنا الذي حب أهل البيت أفقره ::: فالعدل مستعبر والجور مبتسم

وله أيضاً:

ولي كبد لا يصلح الطب سقمها ::: من الوجد لا تنفك دامية حرى
فيا ليت شعري والظنون كثيرة ::: أيشعر بي من بت أرعى له الشعرى

وله أيضاً:

شكري لإحسانك شكر امرئ ::: يستوهب الإحسان من واهبه
وكيف لا أشكر من لا أرى ::: في منزلي إلا الذي جاد به

وأنشد جحظة لنفسه في أماليه.

حسبي ضجرت من الأدب ::: ورأيته سبب العطب
وهجرت إعراب الكلام ::: وما حفظت من الخطب
ورهنت ديوان النقا ::: ئض واسترحت من التعب

وله أيضاً:

لا تعجبي يا هند من ::: حالي فما فيها عجب
إن الزمان بمن تقد ::: م في النباهة منقلب
فالجهل يضطهد الحجى ::: والرأس يعلوه الذنب [(1)]

علي يا أبا الحسن كيف شئت:

حدث غرس النعمة في كتاب الهفوات قال: كان جحظة لما أسن يفسو في مجالسه، فيلقى من يعاشره منه جهداً. قال الحسين بن العباس: وكنت أحب غناءه، والكتابة عنه، لما عنده من الآداب، وكان يستطيب عشرتي، وكنت إذا جلست عنده أخذته غلبة الريح، فجئته يوماً في مجلس الأدب، والناس عنده، وهو يملي، فلما خفوا، قال لي ولآخر كان معي: اجلسا عندي حتى أقعدكما على أسود، وأطعمكما طباهجة بكبود، وأسقيكما من

(١) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ١ /٨٧.

معتقة اليهود، وأبحركما بعنبر وعود، أطيب من الندود، وأغنيكما غناء المشدود، فقلت: هذا موضع السجود، وجلسنا، وصديقي لا يعرف خلقه في الفساء، وأنا قد أخذت الريح فوقي، فوفى لنا بجميع ما ذكره، وقال لنا، وقد غنى وشربنا: نحن بالغداة علماء وبالعشي في صورة المخنكرين، فلما أخذ النبيذ منه، أخذ يفسو، وصديقي يغمزني ويتعجب، فأقول له: إن ذلك عادته وخلقه، وإن سبيله أن يحتمل، إلى أن غني صوتاً من الشعر، والصنعة له فيه، وكان يجيده:

إن بالحيرة قسا قد مجن ::: فتن الرهبان فيها وافتتن

ترك الإنجيل حيناً للصبا ::: ورأى الدنيا مجوناً فركن

قال: فطرب عليه صديقي طرباً شديداً، واستحسنه كثيراً، وأراد أن يقول له: أحسنت والله يا أبا الحسن. فقال له ما في نفسه يتردد من أمر الفساء: أفس علي يا أبا الحسن كيف شئت، فخجل جحظة، وخجل الفتى، انصرفنا.

أفرغ من فؤاد أم موسى:

وحدث الخطيب، عن أبي الفرج الإصبهاني، قال: حدثني جحظة قال: اتصلت علي إضاقة، أنفقت فيها كل ما أملكه، حتى بقيت ليس في داري سوى البواري، فأصبحت يوماً، وأنا أفلس من طنبور بلا وتر، كما في المثل، ففكرت كيف أعمل، فوقع لي أن أكتب إلى محبرة بن أبي عباد الكاتب، وكنت أجاوره، وكان قد ترك التصرف قبل ذلك بسنتين، وحالفه النقرس، فأزمنه حتى صار لا يتمكن من التصرف إلا محمولاً على الأيدي أو في محفة، وكان مع ذلك على غاية الظرف، وكبر النفس، وعظم الهمة، ومواصلة الشرب والقصف، فأردت أن أتطايب عليه ليدعوني، فآخذ منه ما أنفقه مدة، فكتبت إليه:

ماذا ترى في جدي ::: وفي عقار بوارد

وقهوة ذات لون ::: يحكي خدود الخرائد

ومسمع يستغني ::: من آل يحيى بن خالد
إن المضيع لهذا ::: نزر المروءة بارد

فما شعرت إلا بمحفة محبرة يحملها غلمانه إلى داري، وأنا جالس على بابي، فقلت له: لم جئت؟ ومن دعاك؟ فقال: أنت، فقلت: إنما قلت لك: ماذا ترى في هذا؟ وعنيت في بيتك، وما قلت لك: إنه في بيتي، وبيتي والله أفرغ من فؤاد أم موسى، فقال: الآن قد جئت ولا أرجع، ولكن أدخل إليك، وأستدعي من داري ما أريد، قلت: ذاك إليك، فدخل، فلم ير في بيتي إلا بارية، فقال: يا أبا الحسن، هذا والله فقر مطيح، هذا ضر مدقع، ما هذا؟ قلت: هو والله ما ترى، فأنفذ إلى داره، فاستدعى فرشاً وآلة وقماشاً وغلماناً، وجاء فراشوه ففرشوا ذلك، وجاء وافر الصفر والشمع وغير ذلك مما يحتاج إليه، وجاء طباخه بما كان في مطبخه، وهو شيء كثير، بآلات ذلك، وجاء شرابيه بالأواني والمخروط والفاكهة وآلة التبخير والبخور وألوان الأنبذة، وجلس يومه ذلك وليلته عندي، يشرب على غنائي وغناء مغنية أحضرها، كنت ألقنها، فلما كان من الغد سلم إلى غلامه كيساً فيه ألف درهم، ورزمة ثياب صحاح، ومقطوعة من فاخر الثياب، واستدعى محفة فجلس فيها، وشيعته، فلما بلغ آخر الصحن،قال: مكانك يا أبا الحسن، احفظ بابك، فكل ما في دارك لك، فلا تدع أحداً يحمل منه شيئاً، وقال للغلمان: اخرجوا، فخرجوا بين يديه، وأغلقت الباب على قماش بألوف كثيرة.

وأنشد السلامي لجحظة في سعد الحاجب:

يا سعد إنك قد خدمت ثلاثة ::: كل عليه منك وسم لائح
وأراك تخدم رابعاً لتميته ::: رفقاً به فالشيخ شيخ صالح
يا خادم الوزراء إنك عندهم ::: سعد ولكن أنت سعد الذابح[1]

وحسبنا الله ونعم الوكيل:

(١) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ١ /٨٨.

وحدث جحظة قال: دخلت، وأنا في بقايا علة، على كاتب، قال ابن بشران، على هارون ابن عريب الخالي، فقدم إلينا مضيرة عصبان(طعام)، فأمعنت فيها، فقال: - جعلت فداك - أنت عليل، وبدنك نحيل، والعصب ثقيل، واللبن يستحيل، فقلت له: والعظيم الجليل، المفضل المنيل، لا تركت منها كثيراً ولا قليلاً، وحسبنا الله ونعم الوكيل، فغضب علي فضربني عشرين مقرعة، فقلت:

ولي صاحب لا قدس الله روحه ::: وكان من الخيرات غير قريب
أكلت عصيداً عنده في مضيرة ::: فيالك من يوم علي عصيب

وأما إذا كانت حامضةً فلا!:

قال: ودخلت إليه يوماً آخر، فقدم إلي لوزينجاً (حلوي) لها أيام وقد حمضت، فأخذت أمعن في أكلها، فقال لي: إن اللوزينج إذا كان بالجوز أبشم وإذا كان باللوز أتخم، فقلت: نعم يا سيدي إذا كانت لوزينجاً، وأما إذا كانت حامضةً فلا!

فأضحت كالسماء على السماء:

وحدث عبد الله بن المعتز، قال: عربد ابن أبي العلاء على جحظة بحضرتي، فأمرت بتنحية جحظة إلى أن رضي أحمد، فكتب إلي جحة:

أليس من العجائب أن مثلي ::: يقام لأحمد بن أبي العلاء
ولي نفس أبت إلا ارتفاعاً ::: فأضحت كالسماء على السماء
لقد غضب الزمان على أناس ::: فأبلاهم بأولاد الزناء

يا قتيل القطائف:

قال جحظة: سلمت على بعض الرساء وكان مبخلاً، فلما أردت الانصراف قال لي. يا أبا الحسن، إيش يقول في قطائف تأتيه؟ ولم يكن له بذلك عادة؟ فقلت: ما آبى ذلك، فأحضر لي جاماً فيه قطائف، قد خمت فأرجفت فيها، وصادفت مني سغبة، وهو ينظر إلي شزراً، فقال لي: يا أبا الحسن، إن القطائف إذا كانت بجوز أتخمتك، وإذا كانت بلوز أبشمتك،

قال: فقلت: هذا إذا كانت قطائف، أما إذا كانت مصوصاً فلا. وعملت لوقتي هذه الأبيات:

دعاني صديق لي لأكل القطائف ::: فأمعنت فيها آمناً غير خائف
فقال، وقد أوجعت بالأكل قلبه ::: رويدك، مهلاً، فهي إحدى المتالف
فقلت له: ما إن سمعنا بهالك ::: ينادى عليه: يا قتيل القطائف

والله حتى يحفظ تلك السورة:

وحدث أبو الفرج الإصبهاني قال: دعاني محمد بن النشار يوماً، ودعا جحظة، وأطال حبس الطعام جداً، وجاع جحظة، فأخذ دواة وبياضاً وكتب:

مالي وللنشار وأولاده ::: لا قدس الوالد والوالده
قد حفظا القرآن واستعملوا ::: ما فيه إلا سورة المائده

ورمى بها إلي، فقرأتها، ودفعتها إلى ابن النشار، فقرأها، ووثب مسرعاً، فقدم المائدة، فقاطعه جحظة، فكان يجهد جهده أن يجيئه فلا يفعل، فإذا عاتبناه قال: والله حتى يحفظ تلك السورة.

وله أيضاً:

يطول علي الليل حتى أمله ::: فأجلس والنوام في غفلة عني
فلا أنا بالراضي من الدهر فعله ::: ولا الدهر يرضى بالذي ناله مني[(١)]

إذا حضرت بين هذين الأسدين ضعت أنت وطنبورك:

وحدث جحظة في أماليه: دخلت إلى عريب المأمونية مع شروين المغنى، وأبي العبيس المغنى، وأنا يومئذ غلام على قباء ومنطقة، وأنكرتني، وسألت عني، فأخبرها شروين، وقال لها: هذا فتى من أهلك، هذا ابن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد البرمكي، وهو يغني بالطنبور، فأدنتني، وقربت مجلسي، ودعت بطنبور، وأمرتني أن أغني، فغنيت أصواتاً، فقالت: أحسنت يا بني، ولتكونن مغنياً، ولكن إذا حضرت

(١) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ١ /٨٩.

بين هذين الأسدين ضعت أنت وطنبورك، تعني بين عوديهما، وأمرت لي بمائة دينار.

وأنشد لنفسه في أماليه:

دعيني من العـــذل أيـــن الكـــبير؟ ::: بحرمــــــة معبـــــودك الأكـــــبر
فلـــست ببــــاك علـــى ظــاعن ::: ولا طلـــــل محـــــول مقفـــــر
ولكـــن بكـــائي علــى ماجـــد ::: أراد نــــوالاً فلـــــم يقـــــدر

وأنشد فيه لنفسه:

مرضت فلــم يعــدني في شــكاتي ::: مــن الإخــوان ذو كــرم وخـــير
فــإن مرضـــوا، وللأيـــام حكـــم ::: ســـينفذ في الكـــبير وفي الـــصغير
غدوت علـــى المدامـــة والملاهـــي ::: وإن ماتوا حزنـــت علـــى القبـــور

وأنشد فيه لنفسه:

يا راقـــداً، ونـــسيم الـــورد منتبـــه ::: في ربقة القفص والأطيـــار تنتحـــب
الورد ضيف، فلا تجهـــل كرامتـــه ::: وهاهَا قهـــوة في الكـــاس تلتـــهب
سقياً له زائـــراً تحيـــا النفـــوس بـــه ::: يجـــود بالوصـــل حينـــاً ثم يجتنـــب
تبـــاً لحـــر رآه وهـــو ذو جـــدة ::: لم يقض من حقه بالشرب ما يجـــب

وقد قال جحظة:

ناديت عمراً، وقـــد مالـــت بجانبـــه ::: مدامة، أخـــذت بـــالراس والقـــدم
قد لاح في الدير نار الراهبين وقـــد ::: ناداك بالـــصبح ناقوســـاهما، فقـــم
فقـــام يعثـــر في أثـــواب نعـــسته ::: لبزل صـــافية كـــالنجم في الظلـــم
فاستلها، وشدا، والكأس في يـــده: ::: سلم على الربع من سلمى بذي سلم
لو دام لي في الورى خـــل وعاتقـــة ::: لما حفلت بـــذي قـــربى ولا رحـــم
ولا بكـــرت إلى حلـــو لنائلـــه ::: ولا التفت إلى شيء مـــن الـــنعم[1]

فأنا على أي شيء أطرب؟:

قال جحظة: ربحت بأكلة افتديتها مع الحسن ابن مخلد خمسمائة دينار،

(١) معجم الأدباء، ١ /٩٠.

وخمسمائة درهم، وخمسة أثواب فاخرة، وعتيدة طيبة سرية، فقيل له: كيف كان ذلك؟ فقال: كان الحسن بن مخلد بخيلاً على الطعام، سمحاً بالمال، وكان يأخذ ندماءه بغتة، فيسقيهم النبيذ، ويؤاكلهم فمن أكل قتله قتلا، ومن شرب معه على الخسف حظي عنده، قال: فكنت عنده يوماً، فقال لي: يا أبا الحسن، قد عملت غداً على الصبوح الجاشري فبت عندي، فقلت: لا يمكنني، ولكني أباكرك قبل الوقت، فعلى أي شيء عملت أن تصطبح؟ فقال: قد أعد لنا كذا وكذا، ووصف ما تقدم به إلى الطباخ بعمله، فعقدنا الرأي أن أباكره، وقمت وجئت إلى منزلي، ودعوت طباخي فتقدمت إليه بأن يصلح لي مثل ذلك بعينه، ويفرغ منه وقت العتمة، ففعل، ونمت، وقمت وقد مضى نصف الليل، فأكلت ما أصلح، وغسلت يدي وأسرج لي وأنا عامل على المضي إليه، إذ طرقتني رسله، فجئته، فقال. بحياتي أكلت؟ قلت. أعيذك بالله، انصرفت من عندك قبل الغروب، وهذا نصف الليل، فأي وقت أصلح لي شيء؟ أو أي وقت أكلت شيئاً؟ سل غلمانك على أي حال وجدوني، فقالوا. وجدناه يا سيدنا وقد لبس ثيابه، وهو ينتظر أن يفرغ له من إسراج بغلته ليركبها، فسر بذلك سروراً شديداً، وقدم الطعام، فما كان في فضل أشمه، فأمسكت عن تشعيبه ضرورة، وهو يستدعي أكلي، ولو أكلت أحل دمي، قال: وكذا كانت عادته، فأقول: هو ذا آكل يا سيدي أفي الدنيا أحد يأكل أكثر من هذا؟ وانقضى الأكل، وجلسنا على الشرب، فجعلت أشرب بأرطال، وهو يفرح، وعنده أنى أشرب على الريق، أو على ذلك الأكل الذي جلست معه، ثم أمرني بالغناء، فغنيت، فاستطاب ذلك، وطرب، وشرب أرطالاً، فلما رأيت النبيذ قد عمل فيه، قلت: يا سيدي تطرب أنت على غنائي، فأنا على أي شيء أطرب؟ فقال: يا غلام هات دواة، فأحضرها، فكتب لي رقعة ورمى بها غلي، وإذا هي على صيرفي يعامله بخمسمائة دينار، فأخذتها وشكرته، ثم غنيته، وطرب وزاد سكره، فطلبت منه ثياباً، فخلع

علي خمسة أثواب، ثم أمر أن يبخر كل ما بين يديه، فأحضرت عتيدة حسنة سرية فيها طيب كثير، فأخذ الغلمان يبخرون منها للناس، فلما انتهوا إلي، قلت: يا سيدي: وأنا أرضى أن أتبخر فحسب؟ فقال لي: ما تريد؟ قلت: أريد نصيبي من العتيدة، قال: قد وهبتها لك، فأخذتها، وشرب بعد ذلك رطلاً، واتكأ على مسورته، وكذا كانت عادته، إذا سكر، فقام الناس من مجلسه، وقمت وقد طلع الفجر وأضاء، وهو وقت يبكر الناس في حوائجهم، فخرجت كأني لص قد خرج من بيت قوم على قفا غلامي الثياب والعتيدة كلها، فصرت إلى منزيلي ونمت نومة، ثم ركبت إلى رب عون أريد الصيرفي، فأوصلت إليه الرقعة، فقال: يا سيدي أنت لا رجل المسمى في التوقيع؟ قلت: نعم، قال: أنت تعلم أن مثلنا يعاملون للفائدة، قلت: أجل، قال: ورسمنا أن نعطى في مثل هذا ما يكسر في كل دينار درهماً، فقلت له: ليس أضايقك في هذا القدر، فقال: ما قلت هذا إلا لأربح عليك الكبير أيما أحب إليك: أن تأخذ كما يأخذ الناس، وهو ما قد عرفتك، أو تجلس مكانك إلى الظهر، حتى أفرغ من شغلي، ثم تركب معي إلى داري، فتقيم عندي اليوم والليلة تشرب، فقد والله سمعت بك، وكنت أتمنى أن أسمعك، ووقعت الآن لي رخيصاً، فإذا فعلت هذا، دفعت إليك الدنانير من غير خسران، فقلت: أقيم عندك، فجعل الرقعة في كمه، وأقبل على شغله، فلما دنا الظهر، جاء غلامه ببغلة فارهة، فركب وركبت معه، وصرنا إلى دار سرية حسنة، بفاخر الفرش والآلات، ليس فيها إلا جوار روم للخدمة من غير فحل، فتركني في مجلسه، ودخل، ثم خرج بثياب أولاد الخلفاء من حمام داره، وتبخر وبخرني بيده بند عتيق جيد، وأكلنا أسرى الطعام وأنظفه، وقمنا إلى مجلس سري للشرب، فيه فواكه وآلات بمال، وشربنا ليلتنا، فكانت ليلتي عنده أطيب من أختها عند الحسن بن مخلد، فلما أصبحنا، أخرج كيسين، في أحدهما دنانير، وفي الأخرى دراهم، فوزن خمسمائة دينار، وخمسمائة درهم، وقال: يا سيدي تلك ما

أمرت به، وهذه الدراهم هدية مني إليك، فأخذتها وصار الصيرفي صديقي، وداره لي[1].

ولكن كان يبقى إلى أن تستوفي أجرتك:

حدث ابن سيف الكاتب الراوية، قال: رأيت جحظة قد دعا بناءً ليبني له حائطاً فحضر، فلما أمسى اقتضى البناء الأجرة، فتماكسا وذلك أن الرجل طلب عشرين درهماً؛ فقال جحظة: إنما عملت يا هذا نصف يوم وتطلب عشرين درهماً؟ قال: أنت لا تدري، إني قد بنيت لك حائطاً يبقى مائة سنة؛ فبينما هما كذلك وجب الحائط وسقط؛ فقال جحظة: هذا عملك الحسن؟ قال: فأردت أن يبقى ألف سنة؟ قال: لا، ولكن كان يبقى إلى أن تستوفي أجرتك. فضحك - أضحك الله سنه - [2].

أهكذا كان أبوك يغنيك؟:

وقال لنا أبو يوسف: قال جحظة: حضرت مجلساً فيه جماعةٌ من وجوه الكتاب، وعندنا قينةٌ محسنةٌ حاضرة النادرة، فقال لها بعضهم: بحياتي عليك غني لي:

لست مني ولست منك فدعني ::: وامض عني مصاحباً بسلام

فقالت: أهكذا كان أبوك يغنيك؟ فأخجلته.

والله لو كلت بها حسناتٍ ما قبلتها:

اشترى مدينيٌ رطباً، فأخرج صاحب الرطب كيلجة صغيرةً ليكيل بها، فقال المديني: والله لو كلت بها حسناتٍ ما قبلتها [3].

ما البعجدة؟:

---

(١) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ١ /٩١.

(٢) أبو حيان علي بن محمد بن العباس التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤٢٤ هـ ٢٠٠٣ م، ٣٥/١.

(٣) أبو حيان علي بن محمد ابن العباس التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، ٢٤١/١.

وحدث جحظة في أماليه قال: كنت يوماً في مجلس ثعلب، فقال له رجل ياسيدي: ما البعجدة؟ قال: لا أعرفها في كلام العرب، فقال الرجل: فإني وجدتها في شعر عبد الصمد بن المعذل حيث يقول:

أعـــــــاذلتي أقـــــــــصري ::: أبــــــع جـــــــدتي بـــــــالمنن

فاغتاظ أبو العباس غيظاً عظيماً وقال: ياقوم، أجيدوا أذنيه عركاً، أو يحلف أنه لايرجع يحضر حلقتي، ففعلنا[١]

كلوا بين يديه حتى يعرق:

استأذن جحظة على صديقٍ له مبخلٍ؛ فقال غلمانه: هو محمومٌ؛ فقال لهم: كلوا بين يديه حتى يعرق.

ما رأيت أذل من الرغيف في يدك:

وقال جحظة: أكلت مع بخيلٍ مرة؛ فقال لي: يا هذا، ما رأيت أذل من الرغيف في يدك [٢].

ولا يكاد يوجد:

قال جحظة: قال لي ثعلب: ' المرأة الصالحة كالغراب الأعصم '، وهو الأبيض الرجلين، ولا يكاد يوجد [٣].

ومن حكمه:

وللمساكين أيضا بالندى ولعٌ.

وقال أيضا:

وآفة التبر ضعف منتقده.

وقال أيضا:

متى يلتقي الميت والغاسل؟

(١) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ٢١١/١.
(٢) الآبي، نثر الدر، ١٩٦/٣.
(٣) الآبي، نثر الدر، ٨١/٧.

وقال أيضا:

لا تعـــدن للزمـــان صــــديقا ::: وأعــــد الزمـــان للأصــــدقاء

وقال أيضا:

وما كذب الذي قـــد قـــال قبلـــي ::: إذا مـــا مـــر يـــوم مـــر بعـــضي

وقال أيضا:

إذا الـــشهر حـــل ولا رزق لي ::: فعـــــدي لأيامـــــه باطـــــل

وقال أيضا:

وإذا جفــــاني جاهــــــلٌ ::: لم أســـتخر مـــا عـــشت قطعـــه

وجعلتــــه مثــــل القبـــو ::: ر أزوره في كـــل جمعــــه[1]

يكذب عليَّ وأكذبُ عليه:

قال جحظة: قال لي بعض إخواني: رأيت إنساناً يشتم مخنَّثاً أقبح الشَّتم والمخنَّث يُجيبه من المدح والتفضيل له بأحسن ما يكون، فلمَّا طال الأمر بينهما التفت المخنَّث فقال لي: يكذب - وحياتك - عليَّ وأكذبُ عليه، فضحكت سائر يومي من قوله[2].

فحيرني حسنها:

قال جحظة: وصف لي خياط يقول الشعر، فذهبت إليه لأسمع وأهزأ به، فأستنشدته فأنشدني:

أيـــا مـــن وصـــله نعـــم ::: ويـــا مـــن قولـــه نعـــم

تقـــول لقـــد ســـعى الواشـــو ::: ن في التحـــريش لا ســـلموا

وقـــد رامـــوا قطيعتنـــا ::: فقلـــت لـــه: أنـــا لهـــم

قال: فحيرني حسنها[3].

فلا تطمع:

(١) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ٣ /٩٨.
(٢) الخالديان، الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين، ٨٣/١.
(٣) أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ٥/١.

قال جحظة: سأل رجل رجلاً عن جارة له أراد أن يتزوجها، فقال: إن كنت تريدها خالصة لك من دون المسلمين فلا تطمع[1].

الفضة أخذت الفضة:

قال جحظة: فقدت مشربة من فضة في دار بعض الرؤساء الجلة، فوجه إلى ابن خامان المنجم فحسب فقال: المشربة سرقت نفسها، فضحك منه فغاظه ذلك فقال: هل في الدار جارية يقال لها فضة؟ فأحضرناها فقال: هذه أخذتها، فسألناها فأقرت، فقال: الفضة أخذت الفضة، وخرج غضبان، فوصل بمال، فحلف بالطلاق أنه لا يقبل شيئاً[2].

وهؤلاء بنوهم:

قال جحظة: دخلت على عبيد الله بن عبد الله بن طاهر يوماً، فجاءه مشيخة، فأمرهم بالجلوس عن يمينه، وجاء كهول فأمرهم بالجلوس عن شماله، ودخل أحداث فوقفوا بين يديه ولم يأمرهم بالجلوس. فسألته عنهم، فقال: هؤلاء بنيّ، وأومأ إلى الشيوخ، وهؤلاء بنوهم وأومأ إلى الكهول، وهؤلاء بنوهم وأومأ إلى الأحداث[3].

جحظة يصف ضيق العيش:

ألم جحظة البرمكي بهذا المعنى فقال:

إنّـــي رضـــيت مـــن الرحيـــق ::: بـــشراب تمـــرٍ كـــالعقيق
ورضـــيت مـــن أكـــل الـــسمي ::: ذ بأكـــل مـــسودّ الـــدقيق
ورضـــيت مـــن ســـعة الـــصحو ::: ن بمنـــزلٍ ضـــنك وضـــيق
وجعلـــت تغريـــد الحمـــا ::: مـــة منـــزلي عنـــداً الـــشروق
فغـــدوت كـــسرى صـــاحب ال ::: إيـــوان والعـــيش الأنيـــق
وحجبـــت نفـــسي عـــن حجـــا ::: ب البـــاخلين ذوي الطريـــق

(١) أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ٦٤/١.
(٢) أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ٣٠٩/١.
(٣) أبو الفرج الأصبهاني، الديارات، ٢٠/١.

القاطعين مخافة ال ::: إنفاق أسباب الصّديق[1]

وقال جحظة البرمكي في صفة ثقيل:

يا لفظة النعي بموت الخليل ::: يا وقفة التوديع بين الحمول
يا شربة اليارج يا أجرة المنزل ::: يا وجه العدو الثقيل
يا طلعة النعش ويا منزلاً ::: أقفر من بعد الأنيس الحلول
يا نهضة المحبوب من غضبة ::: يا نعمة قد آذنت بالرحيل
ويا كتابا جاء من مخلفٍ ::: للوعد مملوء بعذر طويل
يا بكرة الثكلى إلى حفرة ::: مستودع فيها عزيز الثكول
يا وثبة الحافظ مستعجلا ::: بصرفه القينات عند الأصيل
ويا طبيب قد أتى باكراً ::: على أخي سقم بماء البقول
يا شوكة في قدم رخصة ::: ليس إلى إخراجها من سبيل
يا عشرة المجذوم في رحلهٍ ::: ويا صعود السعر عند المعيل
يا ردة الحاجب عن قسوة ::: يا نكسة بعد برء العليل! [2]

وعلى أثر قبح الصورة يقول بعض الشعراء في جحظة:

من كان مشتاقاً إلى منكر ::: فجحظة أنكر من منكر
لو عذب اللّه به ناره ::: أطفأها برداً ولم تزفر[3]

لأني أشبعت من أجعته :

حدثني أبو الحسن أحمد بن يوسف التنوخي، قال: حدثني أبو علي بن الأعرابي الشاعر قال: كنت في دعوة جحظة، فأكلنا، وجلسنا نشرب، وهو يغني، إذ دخل رجل، فقدم إليه جحظة زلة كان زلها له من طعامه ونحن نأكل، وكان بخيلاً على الطعام.

قال: وكأن الرجل، كان طاوي سبع، فأتى على الزلة، وشال الطيفورية فارغة، وجحظة يرمقه بغيظ، ونحن نلمح جحظة، ونضحك.

---

(١) الحُصري، جمع الجواهر في الملح والنوادر، ٦٨/١.
(٢) اليوسي، زهر الأكم في الأمثال و الحكم، ١٥١/١.
(٣) الوطواط، غرر الخصائص الواضحة، ٩٩/١.

فلما فرغ، قال له جحظة: تلعب معي بالنرد (الطاولة)؟ فقال: نعم.

فوضعاها بينهما، ولعبا، فتوالى الغلب على جحظة من الرجل، بأن تجيء الفصوص على ما يريد الرجل من الأعداد.

فأخرج جحظة رأسه من قبة الخيش، إلى السماء، وقال، كأنه يخاطب الله تعالى: لعمري، إني أستحق هذا، لأني أشبعت من أجعته[1].

فقد رحمتهم من الجوع :

قال أبو علي: حدثني أبو القاسم الحسين بن علي البغدادي، وكان أبوه ينادم ابن الحواري، ثم نادم البريديين بالبصرة، وأقام بها سنين، قال: كان جحظة خسيف الدين، وكان لا يصوم شهر رمضان، وكان يأكل سراً.

فكان عند أبي يوماً في شهر رمضان، مسلماً، فأجلسته.

فلما كان نصف النهار، سرق من الدار رغيفاً، ودخل المستراح، وجلس على المقعدة.

واتفق أن دخل أبي فرآه، فاستعظم ذلك، وقال: ما هذا يا أبا الحسن؟ فقال: أفت لبنات وردان ما يأكلون، فقد رحمتهم من الجوع[2].

ذنب جحظة إلى الزمان:

قال جحظة: أنشدت عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بن الحسين، قولي:

قد نادت الدنيا على نفسها ::: لو كان في العالم من يسمع

كم واثق بالعمر واريته ::: وجامع بذرت ما يجمع

فقال لي: ذنبك إلى الزمان الكمال[3].

القاضي التنوخي يهدي إلى جحظة البرمكي طيلساناً:

قال: أهدى إلي أبو القاسم التنوخي القاضي، رضي الله عنه، طيلساناً

(١) القاضي التنوخي، نشوار المحاضرة، ١٢٣/١.
(٢) القاضي التنوخي، نشوار المحاضرة، ٢٠١/١.
(٣) القاضي التنوخي، نشوار المحاضرة، ٢٣٠/١.

فكتبت إليه:

قد أتى الطيلسان مــستوعباً شــك ::: ري في حـــــسن منظـــــر و رواء
مثقلاً عاتقي و إن كــان في الخــف ::: ة و اللطـــف في قيـــاس الهـــواء
تسرح العين منــه و القلــب في الآ ::: ل، و في الماء، و الـــسنا، و البـــهاء
يتلقـــى حـــر الـــصدود بـــبرد ال ::: وصل و الصيف في طبـــاع الـــشتاء
يخفق الدهر في النـــسيم كمـــا يـــخ ::: فـــق قلـــب الجبـــان في الهجـــاء
كـــل جـــزء منـــه يمـــج إلى الأر ::: واح روح المـــنى و بـــرد الوفـــاء
ليس فيـــه للنـــار و الأرض حـــظ ::: هو مـــن جـــوهري هـــواء و مـــاء
زاد في همـــتي و نفـــسي و تـــأ ::: ميلـــي علـــواً و زاد في كبريـــائي
فكــــأني إذا تبختـــــرت فيـــــه ::: قد تطيلست نصف بدر الـــسماء[1]

* * *

(١) القاضي التنوخي، نشوار المحاضرة، ٣٥٢/١.

سليمان الأعمش

أعـلام الظرفـاء

سليمان الأعمش

الإمام، شيخ الإسلام، شيخ المقرئين والمحدثين، أبو محمد الأسدي، الكاهلي مولاهم، الكوفي، الحافظ.

هو سليمان بن مهران الأسدي بالولاء، أبو محمد، الملقب بالأعمش: تابعي، مشهور. أصله من بلاد الري، ومنشؤوه ووفاته في الكوفة. كان عالما بالقرآن والحديث والفرائض، روي نحو ١٣٠٠ حديث.

وتوفي في سنة ثمان وأربعين ومائة في شهر ربيع الأول، وقيل سنة سبع وأربعين، وقيل سنة تسع واربعين، رحمه الله تعالى.

قال عنه الإمام الذهبي: كان رأسا في العلم النافع والعمل الصالح.

وقال السخاوي: قيل: لم ير السلاطين والملوك والأغنياء في مجلس أحقر منهم في مجلس الأعمش مع شدة حاجته وفقره.

قال سفيان بن عيينة: كان الأعمش أقرأهم لكتاب الله، وأحفظهم للحديث، وأعلمهم بالفرائض.

وقال يحيى القطان: هو علامة الإسلام.

قال وكيع بن الجراح: كان الأعمش قريبا من سبعين سنة لم تفته التكبيرة الأولى.

وقال عبد الله الخريبي: ما خلف الأعمش أعبد منه.

وقال ابن عيينة: رأيت الأعمش لبس فروا مقلوبا، وبتا تسيل خيوطه على رجليه.

ثم قال: أرأيتم لولا أني تعلمت العلم، من كان يأتيني لو كنت بقالا؟ كان يقدر الناس أن يشتروا مني[١].

---

(١) أنظر: طبقات ابن سعد، ٦ / ٣٤٢، تاريخ خليفة، ص ٢٣٢، ٤٢٤، طبقات خليفة، ص١٦٤، التاريخ الصغير، ٢ / ٩١، الجرح والتعديل، ٤ / ١٤٦، مشاهير علماء الأمصار، ص١١١، حلية الأولياء، ٥ / ٤٦ - ٦٠، تاريخ بغداد، ٩ / ٣، الكامل في

مواقف من حياته:

إنه لكما قلت:

قال الأعمش: قال لي محارب بن دثار: وليت القضاء فبكى أهلي وعزلت عنه فبكوا، فما أدري مم ذاك؟ فقلت له: وليت القضاء فكرهته وجزعت منه فبكى أهلك، وعزلت عنه فكرهت العزل وجزعت منه فبكى أهلك. فقال: إنه لكما قلت.

من يعلق الدر على الخنازير؟!:

عن سفيان بن حسين، قال: خرج الأعمش إلى بعض السواد، فأتاه قوم، فسألوه عن الحديث؟

قال: فقال له جلساؤه: لو حدثت هؤلاء المساكين؟

فقال: من يعلق الدر على الخنازير؟!

أتضرب لي هذا المثل:

عن الأعمش، قال: جلست إلى إياس بن معاوية بواسط، فذكر حديثا، فقلت: من ذكر هذا؟

فضرب لي مثل رجل من الخوارج، فقلت:

أتضرب لي هذا المثل، تريد أن أكنس الطريق بثوبي، فلا أمر ببعرة، ولا خنفس إلا حملتها؟!

أنه ليس من القريتين عظيم:

حدث الأعمش: دخل علي إبراهيم يعودني، وكان يمازحني، فقال: أما

التاريخ، ٥ / ٥٨٩، وفيات الأعيان، ٢ / ٤٠٠ - ٤٠٣، تهذيب الكمال، ٥٤٨ - ٥٤٩، تذهيب التهذيب، ٢٠ / ٥٤، تاريخ الإسلام، ٦ / ٧٥، ميزان الاعتدال، ٢ / ٢٢٤، تذكرة الحفاظ، ١ / ١٥٤، غاية النهاية، ١ / ٣١٥، تهذيب التهذيب، ٤ / ٢٢٢ - ٢٢٦، خلاصة تذهيب الكمال، ١٥٥، شذرات الذهب، ١ / ٢٢٠ - ٢٢٣، سير أعلام النبلاء، ٦ /٢٢٨.

أنت، فتعرف في منزلة: أنه ليس من القريتين عظيم.

احمد الله على العافية:

حدث ابن إدريس، قال لي الأعمش: أما تعجب من عبد الملك بن أبجر، قال: جاءني رجل، فقال: إني لم أمرض، وأنا أشتهي أن أمرض؟

قال: فقلت: احمد الله على العافية.قال: أنا أشتهي أن أمرض.

قال: كل سمكا مالحا، واشرب نبيذا مريسا، واقعد في الشمس، واستمرض الله.

فجعل الأعمش يضحك، ويقول: كأنما قال له: واستشف الله عز وجل [1].

لأن أعمالهم لا تصعد إلى السماء:

عن الأعمش، قال: آية التقبل الوسوسة؛ لأن أهل الكتابين لا يدرون ما الوسوسة؛ وذلك لأن أعمالهم لا تصعد إلى السماء[2].

الناس مجانين:

عن أبي بكر بن عياش، قال:

رأيت الأعمش يلبس قميصا مقلوبا، ويقول: الناس مجانين، يجعلون الخشن مقابل جلودهم.

في عرض مصيبتي فيك.:

وقيل: إن الأعمش كان له ولد مغفل، فقال له: اذهب، فاشتر لنا حبلا للغسيل.فقال: يا أبة! طول كم؟

قال: عشرة أذرع. قال: في عرض كم؟

قال: في عرض مصيبتي فيك[3].

هذا علف الشاة:

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٦ /٢٣٠.
(٢) سير أعلام النبلاء، ٦ /٢٣٨.
(٣) سير أعلام النبلاء، ٦ /٢٣٩.

عن أبي بكر بن عياش، قال: كنا نسمي الأعمش سيد المحدثين، كنا نجيء إليه إذا فرغنا من الدوران، فيقول: عند من كنتم؟

فنقول: عند فلان.فيقول: طبل مخرق.

ويقول: عند من كنتم؟

فنقول: عند فلان.فيقول: طير طيار.

ونقول: عند فلان.فيقول: دف.

وكان يخرج إلينا شيئا، فنأكله، فقلنا يوما: لا يخرج شيئا إلا أكلتموه.

فأخرج شيئا، فأكلناه، وأخرج، فأكلناه، فدخل، فأخرج فتيتا، فشربناه، فدخل، وأخرج إجانة وقتا، وقال: فعل الله بكم وفعل، أكلتم قوتي وقوت المرأة، وشربتم فتيتها، هذا علف الشاة.

قال: فمكثنا ثلاثين يوما لا نكتب عنه، فزعا منه، حتى كلمنا إنسانا عطارا كان يجلس إليه حتى كلمه لنا.

لا أرى أحدا يا أبا محمد:

قال أبو خالد الأحمر: سئل الأعمش عن حديث، فقال لابن المختار: ترى أحدا من أصحاب الحديث؟

فغمض عينيه، وقال: لا أرى أحدا يا أبا محمد، فحدث به.

هذا سيدنا:

قال عيسى بن موسى لابن أبي ليلى: اجمع الفقهاء؛ قال: فجمعهم، فجاء الأعمش في جبة وفرو وقد ربط وسطه بشريط فأبطأوا فقام الأعمش فقال: إن أردتم أن تعطونا شيئاً وإلا فخلوا سبيلنا، فقال عيسى المذكور: قلت لك تأتي بالفقهاء فتجيء بهذا فقال: هذا سيدنا، هذا الأعمش.

قد أخبرتها بعيوبي كلها:

وجرى بينه وبين زوجته كلام، وكان يأتيه رجل يقال له أبو ليلى مكفوف

فصيح يتكلم بالإعراب يتطلب الحديث منه، فقال: يا أبا ليلى، امرأتي نشزت علي وأنا أحب أن تدخل عليها فتخبرها مكاني من الناس وموضعي عندهم، فدخل عليها وكانت من أجمل أهل الكوفة فقال: يا هنتاه إن الله قد أحسن قسمك، هذا شيخنا وسيدنا وعنه نأخذ أصل ديننا وحلالنا فلا يغرنك عموشة عينيه ولا حموشة ساقيه، فغضب الأعمش وقال: يا أعمى يا خبيث، أعمى الله قلبك كما أعمى عينيك، قد أخبرتها بعيوبي كلها؛ اخرج من بيتي.

وما عليك أن يسلموا ونسلم:

وأراد إبراهيم النخعي أن يماشيه فقال الأعمش: إن الناس إذا رأونا معاً قالوا: أعور وأعمش، قال النخعي: وما عليك أن نؤجر ويأثموا فقال له الأعمش: وما عليك أن يسلموا ونسلم.

أيكما الأعمش:

وجاء رجل يطلبه في منزله ووصل وقد خرج مع امرأته إلى المسجد فجاء فوجدهما في الطريق فقال: أيكما الأعمش فقال الأعمش: هذه، وأشار إلى المرأة (1).

وترك الأسود يخبط في الماء:

قال محمد بن حميد، حدثنا جرير قال: جئنا الأعمش يوماً فوجدناه قاعداً في ناحية فجلسنا في ناحية أخرى وفي الموضع خليج من ماء المطر، فجاء الأعمش رجل عليه، فلما بصر بالأعمش وعليه فروة حقيرة قال: قم فعبرني هذا الخليج، وجذب يده وأقامه وركبه وقال:{سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقۡرِنِينَ} [الزخرف: ١٣]. فمضى به الأعمش حتى توسط به الخليج فرمى به وقال:{رَّبِّ أَنزِلۡنِي مُنزَلٗا مُّبَارَكٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ} [المؤمنون: ٢٩]. ثم خرج وترك الأسود يخبط في الماء.

ما خرجت إليكم:

---

(١) وفيات الأعيان، ٢ /٤٠١.

وكان لطيف الخلق مزاحاً، جاءه أصحاب الحديث يوماً ليسمعوا عليه، فخرج إليهم، وقال: لولا أن في منزلي من هو أبغض إلي منكم ما خرجت إليكم.

لا بأس بها على غير وضوء:

وقال له داود بن عمر الحائك: ما تقول في الصلاة خلف الحائك(الخياط) فقال: لا بأس بها على غير وضوء، فقال: ما تقول في شهادة الحائك فقال: تقبل مع عدلين.

والله إنك لتثقل علي وأنت في بيتك:

ويقال إن الإمام أبا حنيفة رضي الله عنه عاده يوماً في مرضه، فطول القعود عنده، فلما عزم على القيام قال له: ما كأني إلا ثقلت عليك، فقال: والله إنك لتثقل علي وأنت في بيتك.

شفى الله مريضكم بالعافية:

وعادة أيضاً جماعة فأطالوا الجلوس عنده فضجر منهم، فأخذ وسادته وقام وقال: شفى الله مريضكم بالعافية.

من نام عن قيام الليل بال الشيطان في أذنه:

وقيل عنده يوماً: قال :**من نام عن قيام الليل بال الشيطان في أذنه** فقال: ما عمشت عيني إلا من بول الشيطان في أذني. وكانت له نوادر كثيرة.

فعليك بخاصة نفسك، والسلام:

وقال أبو معاوية الضرير: بعث هشام بن عبد الملك إلى الأعمش أن اكتب لي مناقب عثمان ومساوئ علي، فأخذ الأعمش القرطاس وأدخلها في فم شاة فلاكتها، وقال لرسوله: قل له هذا جوابك، فقال له الرسول: إنه قد آلى أن يقتلني إن لم آته بجوابك، وتحمل عليه بإخوانه، فقالوا له: يا أبا محمد، افتده من القتل، فلما ألحوا عليه كتب له " بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد يا أمير المؤمنين، فلو كانت لعثمان رضي الله عنه مناقب أهل الأرض ما نفعتك، ولو كانت لعلي رضي الله عنه مساوئ أهل الأرض ما

ضرتك، فعليك بخاصة نفسك، والسلام ".

وإن عاشا إلى حين:

وكتب إلى بعض إخوانه يعزيه:

إنا نعزيك لا أنا على ثقة ::: من البقاء ولكن سنة الدين
فلا المعزى بباق بعد ميته ::: ولا المعزي وإن عاشا إلى حين[1]

واضيق مسكناه:

وقال زائدة بن قدامة: تبعت الأعمش يوماً، فأتى المقابر فدخل في قبر محفور فاضطجع فيه، ثم خرج منه وهو ينفض التراب عن رأسه ويقول: واضيق مسكناه[2].

إذن يرجعون بغير قضاء حاجة:

قال الحجاج بن أرطاة للاعمش: ما انتهيت حتى جاءك أشراف أهل الكوفة! فقال الأعمش: إذن يرجعون بغير قضاء حاجة.

وفقدت الأعمش من أجلكما:

وقال ابن إدريس: كنت أمشي مع الأعمش فمررنا بجماعة، فقال أحدهما: للآخر: من هذا؟ قال: سليمان الأعمش. فقال الأعمش: فقدتكما وفقدت الأعمش من أجلكما.

قال قيس بن الربيع: كنا عند الأعمش فدخل استثقالا لنا، فما لبث أن خرج فقال: فررت منكم إلى البيت فإذا ثم من هو أثقل منكم، فرجعت إليكم، يعني زوج ابنته.

إن كففت عني وإلا تقيأتها:

وقال العباس بن يزيد: أهدى رجل إلى الأعمش بطيخة، فلما أصبح جلس الأعمش، فقال له الرجل: يا أبا محمد كيف كانت البطيخة؟

قال: طيبة، ثم عاد ثانية فقال: طيبة، ثم عاد الثالثة فقال الأعمش: أن

(١) وفيات الأعيان، ٢ /٤٠٢.
(٢) وفيات الأعيان، ٢ /٤٠٣.

كففت عني وإلا تقيأتها.

اكتر بالنصف الاخر وارجع:

وقال المدائني: جاء رجل إلى الأعمش فقال: يا أبا محمد! اكتريت (استأجرت) حمارا بنصف درهم وأتيتك أسألك عن حديث كذاوكذا،فقال الأعمش: اكتر بالنصف الآخر وارجع.

وقال الربيع بن نافع: كنا نجلس إلى الأعمش فيقول: في السماء غيم.

يعني ها هنا من نكره.

وقال ابن عيينة: كان الأعمش يدع أصحاب الحديث، ويذهب إلى حائك

في جواره يحدثه.استثقالا منه لهم.

هلاّ أشرت بذلك على الكبش!:

ومن نوادره رحمه الله: أنه كان يلبس جلد كبش، فجعل الفرو من الخارج والجلد من الداخل عكس ما يفعل الناس، فهابوا أن يكلموه مدة ثم تجرأ أحد تلامذته فقال: يا أبا محمد، هلا جعلت الفرو من داخل فكان أدفأ لك؟ فقال: هلا أشرت بذلك على الكبش! الناس حمقى يجعلون الخشن مما يلي جلودهم.

كثرة فضول الحلاقين!:

ومن نوادره رحمه الله: أنه طال شعره جدا، فقال له أحد طلابه: يا أبا محمد: ما يمنعك أن تأخذ من شعرك؟ قال: كثرة فضول الحلاقين! قال التلميذ: أنا آتيك بحلاق لا يكلمك أبداً!

حاشاك يا إمام ان تكذب على رسول الله!!:

ومن نوادره رحمه الله أنه كان عسرا في الرواية، فاحتال له طالب حريص فقال له بعد أن قضوا الصلاة على الجنازة؛ هل أقودك لتتبع الجنـــــــــــــــــــازة
يا إمام! قال: نعم فانطلق يقوده حتى أوصله إلى أطراف المدينه ثم قال له

أتعلم أين أنت يا إمام!! فوالله لتملأن الواحي من حديثك وإلا تركتك هنا ورجعت وما زال به حتى ملأ الواحة، ثم قال: الآن أرجعك، وفي طريق العودة دفع الطالب الألواح لصاحب له فلما أوصله قال: هذا بيتك يا إمام فصاح به الأعمش أيها الناس أعينوني على هذا السارق، انزعوا الألواح من يده، قال الطالب: هيهات هيهات الألواح ياشيخ فوالله لقد مضت إلى مأمنها فلما يئس منها الشيخ قال له كل ما حدثتك به كذب، قال الطالب: حاشاك يا إمام إن تكذب على رسول الله!! نقلتها من الذاكرة.

سل ابنك:

قال حفص بن غياث: رأيت إدريس الأودي جاء بابنه عبد الله إلى الأعمش فقال: يا أبا محمد هذا ابني، ان من علمه بالقران، إن من علمه بالفرائض، إن من علمه بالشعر، إن من علمه بالنحو، إن من علمه بالفقه، والأعمش ساكت، ثم سأل الأعمش عن شيء، فقال: سل ابنك.

دخولك:

دخل على الأعمش رجل يعوده، فقال له: ما أشد ما مر بك في علتك هذه؟ قال: دخولك.

هكـذا:

قال إسحاق الأزرق: قال رجل للأعمش: كيف بت البارحة؟ قال: فدخل، فجاء بحصير ووسادة ثم استلقى وقال: هكذا.

إن الذي كان يأمر بالمعروف قد مات:

كان للأعمش كلب، وكان إذا جاءه طلابه ليأخذوا عنه الحديث أرسل فيهم الكلب فيفروا، حتي إذا كان يوم جاء الطلاب كعادتهم، فلم يجدوا الكلب، فلما أتو شيخهم وجدوه يبكي، فحين سألوه في ذلك أجابهم إن الذي كان يأمر بالمعروف قد مات.

تجر ما بعدها:

وعن أبي عبد الله الشطيري قال: كان إبراهيم يقرأ على الأعمش، فقال: قال لمن حوله ألا تستمعون، فقال الأعمش: لمن حوله، فقال: ألست أخبرتني إن من تجر ما بعدها [(١)].

أنا رسول الخاشعين اليك بأنك ثقيل:

وعن مندل بن علي قال خرج الأعمش ذات يوم من منزله بسحر، فمر بمسجد بني أسد وقد أقام المؤذن الصلاة، فدخل يصلي، فافتتح الإمام الركعة الأولى بالبقرة، ثم في الركعة الثانية آل عمران، فلما انصرف قال له الأعمش: أما تتقي الله؟ أما سمعت حديث رسول الله :**من أم الناس فليخفف، فإن خلفه الكبير والضعيف وذا الحاجة** فقال الإمام: قال الله عز وجل:{وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ} [البقرة: ٤٥]، فقال الأعمش: أنا رسول الخاشعين إليك بأنك ثقيل [(٢)].

حدثني الأعمش عن إبراهيم قال: أتاه رجل فقال: إني ذكرت رجلاً بشيء فبلغه عني فكيف لي أن أعتذر إليه، قال: تقول: والله أن والله ليعلم ما قلت من ذلك من شيء.

لا ندري أين هو:

قال إبراهيم بن هاشم عن رجل قد سماه، قال: كنا إذا خرجنا من عند إبراهيم، يقول: إن سئلتم عني، فقولوا: لا ندري أين هو، فإنكم إذا أخرجتم لا تدرون أين أكون.

لعلمت ما لقي الحوت من هذا:

حدث أبو بكر بن عياش، قال: كان الأعمش إذا صلى الفجر جاءه القراء فقرؤوا عليه، وكان أبو حصين أمامهم، فقال الأعمش يوماً: أن أبا حصين يتعلم القراءة منا لا يقوم من مجلسه كل يوم حتى يفرغ، ويتعلم بغير شكر، ثم قال لرجل ممن يقرأ عليه: إن أبا حصين يكثر أن يقرأ بالصافات في

---

(١) ابن الجوزي، أخبار الحمقى والمغفلين،٧٦/١.

(٢) ابن الجوزي، أخبار الحمقى والمغفلين،١١١/١.

صلاة الفجر فإذا كان غدا فاقرأ على الصافات، واهمز الحوت، فلما كان من الغد قرأ عليه الصافات وهمز الحوت، ولم يأخذ عليه الأعمش، فلما كان بعد يومين أو ثلاثة قرأ أبو حصين بالصافات في الفجر، فلما بلغ الحوت همز، فلما فرغوا من صلاتهم ورجع الأعمش إلى مجلسه دخل عليه بعض إخوانه فقال له الأعمش: يا أبا فلان لو صليت معنا الفجر لعلمت ما لقي الحوت من هذا المحراب فعلم أبو الحصين ما الذي فعل به، فأمر بالأعمش فسحب حتى أخرج من المسجد قال: وكان أبو حصين عظيم القدر في قومه من بني أسد(١).

مثل يضربه الأعمش:

سئل الأعمش عن حديث فامتنع منه، فلم يزالوا به حتى استخرجوه منه، فلما حدث له ضرب مثلاً، فقال: جاء قفاف، إلى صيرفي بدارهم يزنه إياها، فلما ذهب يزنها وجدها تنقص سبعين، فقال:

عجبت عجيبة من ذئب سوء ::: أصاب فريسة من ليث غاب

فقف بكفه سبعين منها ::: تنقاها من السود الصلاب

فإن أخدع فقد تخدع وتؤخذ ::: عتيق الطير من جو السحاب(٢)

عليك لعنة الله:

قال الأعمش: دخلتُ على المُغيرة بن سعد، فسألته عن فَضائل عليّ؛ فقال: إنك لا تَحْتملها؛ قلتُ: بلى. فَذكر آدم صلواتُ الله عليه، فقال: عليٌّ خير منه، ثم ذكر مَن دونه من الأنبياء، فقال: عليٌّ خير منهم، حتى انتهى إلى محمد ، فقال: عليّ مثلُه، فقلت: كذبت، عليك لعنة الله؛ قال: قد أعلمتُك أنك لا تحتملها(٣).

عندك القِصَّة في الكتاب فاقرأها:

ومَرِض الأعمش فأبرمه الناس بالسُّؤال عن حاله، فكَتب قصَّته في

(١) ابن الجوزي، الأذكياء، ٣٣/١.
(٢) المعافى بن زكريا، الجليس الصالح والأنيس الناصح، ٢٢/١.
(٣) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ٢٢٣/١.

كِتاب وجعله عند رأسه، فإذا سأله أحدٌ، قال: عندك القِصَّة في الكتاب فاقرأها[1].

لأنه ثقيل السمع:

دخل رجل على الأعمش يسأله عن مسألة، فرد عليه فلم يسمع، قال له: زدني في السماع يرحمك الله. قال ما ذلك لك، ولا كرامة. قال: فبيني وبينك رجل من المسلمين. قال: فخرجا إلى الطريق، فمر بهما شريك القاضي فقال: إني حدثت هذا بحديث فلم يسمع، فسألني أن أزيده في السماع لأنه ثقيل السمع وزعم أن ذلك واجب له، فأبيت. قال له شريك: عليك أن تزيده، لأنك تقدر أن تزيد في صوتك، ولا يقدر أن يزيد في سمعه.

رمانة فشقها ووضعها بين يديه:

أتت ليلة الشك من رمضان، فكثر الناس على الأعمش يسألونه عن الصوم، فضجر، ثم بعث إلى بيته في رمانة فشقها ووضعها بين يديه، فكان إذا نظر إلى رجل قد أقبل يريد أن يسأله تناول حبة فأكلها، فكفى الرجل السؤال ونفسه الرد.

ولكني أعجب من قوم زوجوك:

طلبت بنت الأعمش من الأعمش حاجة، فحجبها بالرد، فقالت: والله ما أعجب منك، ولكني أعجب من قوم زوجوك.

فنكس رأسه:

ودخل رقبة بن مصقلة على الأعمش، فقال: إنا والله لنأتينك فما تنفعنا، ونتخلف عنك فما تضرنا، وإن الوقوف إليك لذل، وإن تركك لحسرة، تسأل الحكمة فكأنما تسعط الخردل، وما أشبهك إلا بالصماخيقون، فإنه كريه الشربة، نافع للمعدة. فرفع رأسه الأعمش وقال:

(١) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ٢٣٨/١.

من هذا المتكلم؟ فقيل له: رقبة بن مصقلة. فنكس رأسه.

ما دعاك إلى هذا؟:

وقال رجل من تلاميذ الأعمش: صنعت للأعمش طعاماً، ثم دعوته، فمضى معي وأنا أقوده، حتى سقطت رجله في حفرة يعملها الصبيان للكرة، فقال: ما هذا؟ قلت: حفرة يعملها الصبيان للكرة. قال: لا، ولكنك حفرتها لتقع رجلي فيها. والله لا أكلت عندك يومي هذا طعاماً. قال: فحملت الطعام إليه، ثم صنعت له بعد ذلك طعاماً ودعوته إليه، فقال: ادخل بنا الحمام قبل ذلك؟ فأدخلته الحمام، فلما جئت أن أصب الماء الحار على رأسه قال: ما دعاك إلى هذا؟ أردت أن تسلق قفاي، والله لا أكلت عندك يومي هذا طعاماً! قال: فحملت الطعام إليه.

فحلفناه ألا يسأله عن شيء:

وكثر الشعر على الأعمش فقلنا له: لو أخذت من شعرك؟ قال: لا أجد حجاماً يسكت حتى يفرغ. قلنا له: فإنا نأتيك بحجام ونتقدم إليه أن يسكت حتى يفرغ. قال: فافعلوا. قال: فأتيناه بحجام وأعذرنا إليه ألا يتكلم حتى ينقضي أمره، فبدأ الحجام بحلقه، فلما أمعن في حلقه سأله عن مسألة، فنفض ثيابه وقام بنصف رأسه محلوقاً، حتى دخل بيته؛ ثم جئناه بغيره، فقال: لا والله لا أخرج إليه حتى تصوموه أو تحلفوه. فحلفناه ألا يسأله عن شيء. فخرج إليه[1].

لم ينقص ذلك من سيئاتك:

وروي أنه كتب إسماعيل بن علي إلى الأعمش أن اكتب إلينا بمناقب علي ووجوه الطعن على عثمان، رضي الله عنهما، فكتب: لو أن علياً لقي الله جل وعز بحسنات أهل الدنيا لم يزد ذلك في حسناتك، ولو لقيه عثمان، رضي الله عنه، بسيئات أهل الأرض لم ينقص ذلك من

(١) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ٥٢/٣.

سيئاتك[1].

أَين السمك؟:

قال الأعمش لجليس له: أما تشتهي بناني زُرق العيون بيض البطون سود الظهور (السمك) وأرغفة باردة لينة وخَلاً حاذقاً؟ قال: بلى قال: فانهض بنا قال الرجل: فنهضتُ معه فدخل منزله وقال جُرَّ تيك السلة قال: فكشطها فإذا فيها رغيفان يابسان وَسُكُرَّجة كامَخ شُبَّت قال فجعل يأكل وقال: كُل فقلت: أين السمك؟ فقال: ما عندي سمك، إنما قلت: تشتهيه؟

تمام الحجّ شَجَّ الجمال:

وحجَّ الأعمش فلما أحرم لاحاه الجَمَّال في شيء، فرفع عكازه فشجه بها فقيل له: يا أبا محمد وأنت مُحرِم؟ فقال: إن من تمام الحجّ شَجَّ الجمال[2].

دع هذا عنك:

قال محمد بن عبد الرحمن: عن رجل من قريش قال: كنت عند الأعمش فقيل: إن الحسن بن عمارة ولى للمظالم فقال: ما للحائك بن الحائك والمظالم فخرجت حتى أتيت الحسن بن عمارة وأجريته له فقال على بمنديل وأثواب فوجه بها إليه فلما كان من الغد بكرت إلى الأعمش وقلت: أجرى الحديث قبل أن يجتمع الناس فأجريته فقال: بخ بخ هذا لحسن بن عمارة زان العمل وما زانه فقلت بالأمس قلت ما قلت؟ واليوم تقول هذا: قال دع هذا عنك [3].

---

(١) إبراهيم البيهقي، المحاسن والمساوئ، ٢١/١.

(٢) أبو البركات بدر الدين محمد بن محمد الغزي، المراح في المزاح، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، دار ابن حزم - بيروت - ١٤١٨ هـ ١٩٧٧م، ص ٨٧.

(٣) أبي هلال العسكري، كتاب جمهرة الأمثال تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم و عبد المجيد قطامش، دار الفكر - دار الفكر، الطبعة الثانية، ١٩٨٨، ١ /٣٢٣.

وسمع الأعمش إنساناً يلحن فقال: من هذا الذي يتكلم وقلبي منه يتألم؟ [١].

وقال الأعمش: نقض العهد مع من لا عهد له وفاء بالعهد[٢].

إلا اشتكت عيني:

قال الأعمش: ما نظرت إلى ثقيل إلا اشتكت عيني. وقال: ربما سألني ثقيل عن مسألة فأنساها في الوقت لما ينالني منه[٣].

ما تنظرين في وجهي؟ :

خرج الأعمش يوماً وهو يضحك، فقال لأصحابه: أتدرون مم أضحك؟ قالوا: لا. قال: إني كنت قاعداً في بيتي، فجعلت ابنتي تنظر في وجهي، فقلت: يا بنية، ما تنظرين في وجهي؟ قالت: أتعجّب من رضا أمي بك[٤].

أنت ما وجدت أحداً تتزوجين به غير هذا؟:

خرج الأعمش يوماً إلى جماعة حضروا مجلسه ليحدثهم وهو يضحك، فسألوه عن ضحكه فقال: طلبت مني ابنتي قطعة، فقلت لها: ليس معي. فقالت لأمها: أنت ما وجدت أحداً تتزوجين به غير هذا؟.

رأيتكم فأبغضتكم:

قال بعضهم: صرنا إلى باب الأعمش، فرأيناه واقفاً ببابه، فلما رآنا أسرع الدخول، ثم أسرع الخروج، فقلنا له في ذلك، فقال: رأيتكم فأبغضتكم، فدخلت إلى من هو أبغض منكم فخرجت إليكم[٥].

عين الله عليه:

جاز الأعمش يوماً بابن له صغير وهو عريان، يلعب في الطين مع الصبيان فلم يثبته، فقال لبعض من كانوا معه: انظر إلى هذا، ما أقذره من

(١) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، ٢٥/١.
(٢) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، ١٣٣/١.
(٣) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، ٣١٩/١.
(٤) أبو سعد منصور بن الحسين الآبي، نثر الدر،١٠٥/٢.
(٥) أبو سعد منصور بن الحسين الآبي، نثر الدر،١٠٧/٢.

صبي وأطفسه ويجوز أن يكون أبوه أقذر منه. فقال له صاحبه: هذا ابنك محمد. ففتح عينيه ومسحهما، ونظر إليه وتأمله، ثم قال: انظروا إليه بحق الله عليكم، كيف يتقلب في الطين كأنه شبل؟ عين الله عليه [١].

برد وسعة:

واشترى جارية فقال له أصحابه: كيف رأيتها؟ قال: فيها من صفة الجنة خصلتان: برد وسعة.

لا يقعد لنا في طريق الخير:

قال حفص بن غياث: أتيت باب الأعمش فسألته عن حديث، فألجأني إلى الحائط، وعصر حلقي وأفلتني، فعدوت وقلت: والله لأشكونك إلى أبي. فقال: ردوه، لا يقعد لنا في طريق الخير. وكان غياث أبوه يجرى على الأعمش[٢].

فلست أترك منه واحدة:

أضاف الأعمش أعرابياً وجاءه برطب وجعل ينتقي أطايبه، فقال الأعرابي: لا تنتق منه شيئاً، فلست أترك منه واحدة.

صدق:

ومن نوادر الأعمش أن أبا جعفر المنصور وجه ببدرة، وأمر بأن تدفع إلى أفقه أهل الكوفة، فأتى بها أبو حنيفة وابن أبي ليلى، فلم يعرضا لها وأتى الأعمش فقال للرسول: هاتها. فقال: حجتك. قال: تسأل أبا حنيفة وابن أبي ليلى عن أفقه أهل الكوفة بعدهما فإنهما يدلانك علي، فتجيز شهادتهما لي وتبطلها لأنفسهما فأتى الرجل المنصور فأخبره فقال: صدق[٣].

قال الأعمش: إذا رأيت العالم يأتي باب السلطان فاعلم أنه لص[٤].

عد إلى ما كنت عليه من الخرس:

(١) أبو سعد منصور بن الحسين الآبي، نثر الدر،١٠٩/٢.
(٢) أبو سعد منصور بن الحسين الآبي، نثر الدر،٢ /١٧٧.
(٣) أبو سعد منصور بن الحسين الآبي، نثر الدر،٩٤/٤.
(٤) أبو سعد منصور بن الحسين الآبي، نثر الدر،١٩٦/٤.

كان رجل يختلف إلى الأعمش فيؤثره، وكان أصحاب الأعمش يسوؤهم ذلك، ففتشوا الرجل فإذا هو حمار، وكان سكوته للعي. فقالوا: سل الأعمش كما نسأله نحن وخاطبه. فقال له: يا أبا محمد، متى يحرم على الصائم الطعام؟ قال: إذا طلع الفجر، قال: فإن طلع الفجر نصف الليل؟ فقال الأعمش: عد إلى ما كنت عليه من الخرس[1].

إن لم يشتر بسبعة أبيعة بستة؟:

قال الأعمش: دخل رجل داراً فسرق طستاً، فلما خرج رأى على باب الدرا نفراً، فالتفت إلى الدار فقال: إن لم يشتر بسبعة أبيعته بستة؟ يوهمهم أنه دفع إليه ليبيعه[2].

امرأةٍ ورثت مالاً من زوجها كلّه؟:

قال الأعمش لإبراهيم النّخعيّ: ما أعلم عندك شيئاً إلا وقد أخذته؛ قال: فما تقول في امرأةٍ ورثت مالاً من زوجها كله؟ قال: لا أدري؛ قال: هذه امرأةٌ أعتقت عبداً ثم تزوجته ثم مات، فورثت الرّبع بالتزويج والباقي بالولاء[3].

لا يحسبنا شاءً:

قال أبو بكر بن عيّاش: رأيت على الأعمش فروةً مقلوبةً، صوفها خارج، فأصابنا مطرٌ، فمررنا بكلبٍ فتنحّى الأعمش وقال: لا يحسبنا شاءً [4].

تدرون ما قالت الأذن؟:

قال حفص بن غياث: خرج إلينا الأعمش يوماً فقال لنا: تدرون ما قالت الأذن؟ قلنا: وما قالت؟ قال: قالت لولا أني أخاف أن أقمع بالجواب

(١) أبو سعد منصور بن الحسين الآبي، نثر الدر،١٩٢/٧.
(٢) أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ١٤٩/١.
(٣) أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ٣٦٣/١.
(٤) أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ٤٤٣/١.

لطلت كما طال اللسان قال حفص: فكم من كلمة غاظني صاحبها منعني جوابها قول الأعمش [١].

كيف أنت، وكيف الحال؟

قال الأعمش: أدركت أقواماً كان الرجل منهم لا يلقى أخاه شهراً وشهرين فإذا لقيه لم يزده على كيف أنت، وكيف الحال، ولو سأله شطر ماله لأعطاه، ثم أدركت أقواماً لو كان أحدهم لا يلقى أخاه يوماً سأله عن الدجاجة في البيت، ولو سأله حبة من ماله لمنعه[٢].

حتى تمنيت أن الشاة لم تبرأ:

وقال الأعمش: كانت عندي شاة فمرضت، وفقدت الصبيان لبنها فكان خيثمة بن عبد الرحمن يعودها بالغداة والعشي ويسألني هي استوفت علفها وكيف صبر الصبيان منذ فقدوا لبنها وكان تحتي لبد أجلس عليه فكان إذا خرج يقول خذ ما تحت اللبد حتى وصل إليَّ من علة الشاة أكثر من ثلثمائة دينار من بره حتى تمنيت أن الشاة لم تبرأ [٣].

إسناد حديث:

وسأله رجل عن إسناد حديث، فقام وأخذ بحلقه وأسنده إلى الحائط يخنقه، وقال: هذا سنده[٤].

من أين لك هذا؟:

سأل الأعمش أبا حنيفة عن مسائل، فقال: من أين لك هذا؟ قال: مما حدثتنا به، فقال: يا معشر الفقهاء أنتم الأطباء ونحن الصيادلة[٥].

هم الذين يحفظون عليك دينك:

(١) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ١/١٨٥.
(٢) أبو حيان التوحيدي، الصداقة والصديق، ١/١٩.
(٣) ابن حجة الحموي، ثمرات الأوراق، ١/١٧٨.
(٤) الحُصري، جمع الجواهر في الملح والنوادر، ١/١٣٦.
(٥) الزمخشري، ربيع الأبرار، ١/٣١١.

أبو بكر بن عياش: كنا عند الأعمش ونحن صبيان نكتب الحديث، فمر صديق له فقال: من هؤلاء؟ قال: هم الذين يحفظون عليك دينك[١].

كل لا خير فيه:

الأعمش عن أبي وائل مثل: قراء هذا الزمان كمثل غنم. ضوائن ذات صوف عجاف، أكلت من الحمض، وشربت من الماء حتى انتفخت خواصرها، غمرت برجل فأعجبته، فقام إليها فحبس منها شاه فإذا هي لا تنقى، ثم، مس أخرى فإذا هي لا تنقى، ثم مس أخرى فإذا هي كذلك، فقال: كل لا خير فيه[٢].

* * *

(١) الزمخشري، ربيع الأبرار، ٣١٥/١.
(٢) الزمخشري، ربيع الأبرار، ٣٢٧/١.

الشعبـي

الشعبـي

أعـلام الظرفـاء

الشعبـي

والشعبي: هو عامر بن شراحيل الكوفي عالم أهل زمانه، وكان حافظاً علامة ذا فنون، كان يقول: ما كتبت سوداء في بيضاء، وأدرك خلقاً كثيراً من الصحابة، وعاش بضعاً وثمانين سنة.

وكان رحمه الله تعالى من نوادر الحفاظ، ما يسمع شيئاً إلا حفظه، حتى إنه كان إذا دخل السوق يضع في أذنيه كرسفاً - أي: قطناً - ويقول: حتى لا أسمع أقوال الناس فأحفظها؛ لأنه كان كلما سمع شيئاً حفظه، ولهذا لم يكن يكتب، ولا يحتاج إلى الكتابة؛ لأنه كان يستمع الشيء فيحفظه، وهذا من النوادر التي يقل وجودها في الناس، أي: الحافظة الخارقة، وله نظراء من الحفاظ المعروفين.

مر رضي الله عنه برجل يغتابه فأنشد:

هنيئــاً مريئــاً غــير داء مخــامر ::: لعزة من أعراضــنا مــا اســتحلت

وكان يقول: إياكم والقياس في الدين فإن من قاس فقد زاد في الدين، وكان يقول: لأن أقيم في حمام أحب إلي من أن أقيم بمكة قال سفيان رضي الله عنه: إعظاماً لها وخوفاً من وقوع ذنب فيها، وكان يقول: اتقوا الفاجر من العلماء، والجاهل من المتعبدين، فإنهما فتنة لكل مفتون، وكان رضي الله عنه يقول: لم يحضر وقعة الجمل من أصحاب رسول الله إلا أربعة علي وعمار وطلحة والزبير فإن جاؤوا بخامس فأنا كاذب، وقيل له مـــــرة:

يا فقيه فقال: لست بفقيه، ولا عالم إنما نحن قوم سمعنا حديثاً فنحن نحدثكم بما سمعنا، وإنما الفقيه من تورع عن محارم الله عز وجل، والعالم من خشي الله تعالى بالغيب، وكان رضي الله تعالى عنه يقول: تعايش الناس بالدين زمناً طويلا حتى ذهب الدين، ثم تعايشوا بالمروءة زمناً طويلا حتى ذهبت المروءة، ثم تعايشوا بالحياء زمناً طويلا حتى ذهب الحياء، ثم تعايشوا بالرغبة والرهبة، وسيأتي بعد ذلك ما هو أشد منه.

وكان يقول: ليتني لم أتعلم علماً وددت أن أخرج من الدنيا كفافاً لا علي ولا لي، وكان رضي الله عنه يقول: ما بكينا من زمان إلا وبكينا عليه، وكان رضي الله عنه يقول: أدركنا الناس وهم لا يعلمون العلم إلا لعاقل ناسك وصاروا اليوم يعلمونه لمن لا عقل له ولا نسك.

ولد ونشأ ومات فجأة بالكوفة. اتصل بعبد الملك بن مروان، فكان نديمه وسميره ورسوله إلى ملك الروم. وكان ضئيلا نحيفا، ولد لسبعة أشهر. وسئل عما بلغ وهو من رجال الحديث الثقات، استقضاه عمر بن عبد العزيز. وكان فقيها،شاعرا.واختلفوا في اسم أبيه فقيل: شراحيل وقيل: عبد الله. نسبته إلى شعب وهو بطن من همدان.

روي أن ابن عمر رضي الله عنه مر به يوماً وهو يحدث بالمغازي فقال: شهدت القوم وإنه أعلم بها مني. وقال الزهري: العلماء أربعة: ابن المسيب بالمدينة، والشعبي بالكوفة، والحسن البصري بالبصرة، ومكحول بالشام. ويقال إنه أدرك خمسمائة من أصحاب رسول الله .

وحكى الشعبي قال: أنفذني عبد الملك بن مروان إلى ملك الروم، فلما وصلت إليه جعل لا يسألني عن شيء إلا أجبته، وكانت الرسل لا تطيل الإقامة عنده، فحبسني أياماً كثيرة حتى استحثثت خروجي، فلما أردت الانصراف قال لي: من أهل بيت المملكة أنت فقلت: لا، ولكني رجل من العرب في الجملة، فهمس بشيء، فدفعت إلي رقعة وقال لي: إذا أديت الرسائل إلى صاحبك فأوصل إليه هذه الرقعة، قال: فأديت الرسائل عند وصولي إلى عبد الملك وأنسيت الرقعة،، فلما صرت في بعض الدار أريد الخروج تذكرتها، فرجعت فأوصلتها إليه، فلما قرأها قال لي: أقال لك شيئاً قبل أن يدفعها إليك قلت: نعم، قال لي: من أهل بيت المملكة أنت قلت: لا، ولكني من العرب في الجملة. ثم خرجت من عنده، فلما بلغت الباب رُددت، فلما مثلت بين يديه قال لي: أتدري ما في الرقعة قلت: لا، قال: اقرأها، فقرأتها فإذا فيها " عجبت من قوم فيهم مثل هذا كيف ملكوا

غيره "، فقلت له: والله لو علمت ما حملتها، وإنما قال هذا لأنه لم يرك، قال: أفتدري لم كتبها قلت: لا، قال: حسدني عليك، وأراد أن يغريني بقتلك، قال: فتأدى ذلك إلى ملك الروم فقال: ما أردت إلا ما قال.

وكان أعرابي يجالس الشعبي ويطيل الصمت، فقال له الشعبي يوماً: ألا تتكلم فقال: أسكت فأسلم وأسمع فأعلم؛ إن حظ المرء في أذنه له، وفي لسانه لغيره.

وقال رجل للشعبي كلاماً أقذع فيه فقال له: ان كنت صادقاً غفر الله لي وإن كنت كاذباً غفر الله لك.

وكان موسراً يشتري اللحم في كلّ جمعة بدرهم واحد، وكان يقول: لدرهم أعطيه في النوائب أحبُّ إليَّ من خمسة أتصدق بها. - مرّ على قوم وهم ينالون منه ولايرون، فلما سمع كلامهم قال " من الطويل " :

هنيئاً مريئاً غير داء مخامرٍ ::: لعزَّةَ من أعراضنا ما استحلتِ

وسئل الشعبي عن الرجل يعسر عن الأضحية ولا يجد ما يشتري فقال: لأن أتركها وأنا موسر أحب إلي من أن أتكلفها وأنا معسر.

وقال الشعبي: كانت درة عمر رضي الله عنه أهيب من سيف الحجاج؛ وقال أيضاً: من زوج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها.

* * *

الخاتمـة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

الحمد لله رب العالمين حمداً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربُّنا ويرضى، وكما ينبغي لكرم وجهه وعزِّ جلاله، غير مَكْفِيٍّ ولا مكفورٍ ولا مودَّعٍ ولا مستغني عنه ربُّنا، ونسأله أن يوزعنا شكر نعمته، وأن يوفّقنا لأداء حقه، وأن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته، وأن يرزقنا الشهادة في سبيله، وأن يجعل ما قصدنا له في هذا الكتاب وفي جميع أقوالنا وأفعالنا خالصاً لوجهه الكريم، ونصيحة لعباده. فيا أيها القاريءُ له، لك غُنْمُه وعلى مؤلفه غُرْمُه، لك ثمرتُه وعليه تَبِعَتُه، فما وجدتَ فيه من صوابٍ وحقٍ فاقبله ولا تلتفت إلى قائله، بل انظر إلى ما قال لا إلى من قال وقد ذمَّ الله تعالى من يَرُدُّ الحقَّ إذا جاء به مَن يبغضه، ويقبله إذا قاله من يحبه فهذا خُلُقُ الأمة الغضبية أي: اليهود. فقد قال ابن القيم رحمه الله: اقبل الحق ممن قاله وإن كان بغيضاً، ورُدَّ الباطل على من قاله وإن كان حبيباً.

وقرر أنه لا يردُّ كل قول من أخطأ جملة، بل لا بد من تمييز الحق من الباطل، فقال: " فلو كان كل من أخطأ أو غلط ترك جملة، وأهدرت محاسنه، لفسدت العلوم والصناعات ".

وقال أيضًا: ".. فإن كل طائفة معها حق وباطل، فالواجب موافقتهم فيما قالوه من الحق، ورد ما قالوه من الباطل، ومن فتح الله له بهذه الطريق فقد فتح له من العلم والدين كل باب، ويسر عليه من الأسباب " [(١)].

فإذا مر بك - يا أخي - ما لا يعجبك فلا تصعِّر خدك، ولا تعرض بوجهك، ولا تسُلّ لسَانَكَ، ولا تجلب بخيلك ورَجِلك، وخذ من الكتاب ما

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين، ص٣٧٨.

يعجبك واتهم الفهم.

فكَمْ مِنْ عائبٍ قولا صَحِيحاً ::: وآفَتُهُ مِنَ الفَهْمِ السَّقِيمِ

ولا يصدنك عن الحكمة قائلها؛ فقد يقول الحكمة غير الحكيم، وتكون الرمية من غير الرامي، وربَّ حامل فقه إلى من هو أفْقَهُ.

اعْمَلْ بعلمِي وغُضِّ الطَّرْفَ عَنْ زَلَلي ::: يَنفَعْكَ قَوْلِي ولا يَضْرُرْكَ تَقْصِيرِي

وما وجد القارئ فيه من خطأ، فإن قائله لم يألُ جهد الإصابة، ويأبى الله إلا أن يتفرد بالكمال، كما قيل:

والنَّقْصُ في أصلِ الطبيعةِ كامنٌ ::: فَبَنُو الطبيعةِ نَقْصُهم لا يُجْحَدُ

وكيف يُعْصَمُ من الخطأ من خُلق ظلوماً جهولاً، ولكن من عُدَّت غلطاتُه أقربُ إلى الصوابِ ممن عُدَّت إصاباتُه، وعلى المتكلم في هذا الباب وغيره أن يكون مصدر كلامه عن العلم بالحق، وغايته النصيحة لله، ولكتابه، ولرسوله، ولإخوانه المسلمين، وإن جعلَ الحقَ تبعاً للهوى: فَسَدَ القلبُ والعملُ والحالُ والطريقُ..

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على خاتم المرسلين محمدٍ وعلى آله أجمعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الفقير إلي عفو ربه ومغفرته ورضوانه

د. رجب محمود إبراهيم بخيت

* * *

الفهرس

* * *

صدر من هذه السلسلة

١ - أعلام الفقه.

٢ - أعلام الحديث.

٣ - أعلام التابعين.

٤ - أعلام التصوف.

٥ - أعلام الخلفاء الأمويين.

٦ - أعلام الخلفاء العباسيين.

٧ - أعلام المؤرخين.

٨ - أعلام القادة العسكريين.

٩ - أعلام المفسرين.

١٠ - أعلام الشعراء.

١١ - أعلام الحكماء.

١٢ - أعلام الظرفاء.

١٣ - أعلام الشيعة.

١٤ - أعلام القضاء.

* * *